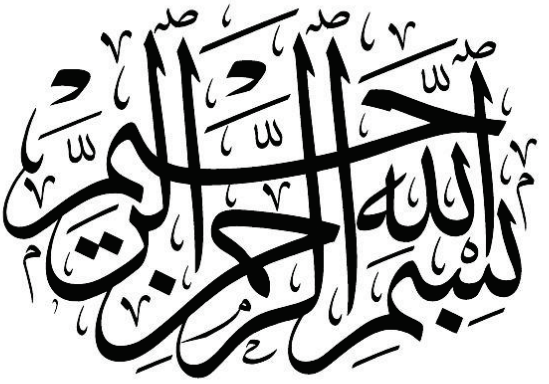
بسم الله الرحمن الرحيم

الطّبعة الأولى

عمان - الأردن

١٤٤٢هـ / ٢٠٢١م

المملكة الأردنية الهاشمية
رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
(٢٠٢١/٢/١١٤٧)

٤١٠,٦٥٦٥
الأردن.مجمع اللغة العربية الأردني
الموسم الثقافي لمجمع اللغة العربية الأردني لعام ٢٠٢٠/ مجمع اللغة العربية الأردني٠- عمان: المجمع، ٢٠٢١

( ) ص.
ر.إ.: ٢٠٢١/٢/١١٤٧.
الواصفات:/مجمع اللغة العربية الأردني//الموسم الثقافي//اللغة العربية//الأردن/
يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعبر هذا المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية.

ISBN 978-9957-8736-8-4 (ردمك)

حقوق الطّبع محفوظة لمجمع اللُّغة العربيّة الأردنيّ
ويمنع تصوير هذا الكتاب أو إعادة طبعه من دون إذن المجمع

المملكة الأردنية الهاشمية

الموسم الثّقافيّ الثامن والثلاثون

لمجمع اللُّغة العربيّة الأردنيّ

٢٠٢٠م

من منشورات مجمع اللغة العربية الأردني

١٤٤٢هـ / ٢٠٢١م

لجنة الندوات والمحاضرات والإعلام

الموسم الثقافي الثامن والثلاثون

الأستاذ الدكتور عودة أبو عودة، رئيساً الدكتور جعفر عبابنة

الأستاذ الدكتور محمد عصفور الأستاذ الدكتور محمود السرطاوي

الأستاذ الدكتور علي محافظة

الإشراف العام:

الأستاذ الدكتور محمد السعودي، الأمين العام للمجمع

الفهرس

الموضوع	الصفحة
- كلمة الأستاذ الدكتور رئيس المجمع في اليوم الأول.	٩
- عبد الكريم خليفة عاشق العربيّة وموروثها. الأستاذ الدكتور يوسف بكار.....	١٣
- عبدالكريم خليفة محققاً. الأستاذ الدكتور سمير الدروبي.....	٢٥
- الدكتور عبدالكريم خليفة ومجمع اللغة العربية الأردني سيرة ومسيرة. الأستاذة الدكتورة فاطمة العليمات.....	٦١
- الأستاذ الدكتور عبدالكريم خليفة معلماً وتربوياً. الدكتور عبدالكريم الحياري.....	١١١
- عبدالكريم خليفة الرئيس المؤسّس للمجمع: صمود أسطوريّ. الأستاذ الدكتور همام غصيب.....	١٦١
- كلمة الأستاذ الدكتور رئيس المجمع في اليوم الثاني.	١٨١
- شهادة لصاحب المعالي الأستاذ الدكتور محمد أحمد حمدان بعد زمالة ثلث قرن من تاريخ عمله الأكاديمي. الأستاذ الدكتور ضياء الدين عرفة	١٩١

- مواقف ووقفات مع أبي أحمد رحمه الله. الأستاذ الدكتور موسى الناظر.....	٢٠٧
- المرحـــوم الأســـتاذ الـــدكتور محمـــد حمـــدان العالم والإنسان. الأستاذ الدكتور عدنان عوض	٢١٥
- شهادة ابن. الأستاذ الدكتور أحمد حمدان.....	٢٣٣

اليوم الأول من الموسم

"الأستاذ الدكتور عبد الكريم خليفة"

- كلمة الأستاذ الدكتور رئيس المجمع.
- عبد الكريم خليفة عاشق العربيّة وموروثها، الأستاذ الدكتور يوسف بكار.
- عبدالكريم خليفة محققاً، الأستاذ الدكتور سمير الدروبي.
- الدكتور عبد الكريم خليفة ومجمع اللغة العربية الأردني سيرة ومسيرة، الأستاذة الدكتورة فاطمة العليمات.
- الأستاذ الدكتور عبدالكريم خليفة معلماً وتربوياً، الدكتور عبدالكريم الحياري.
- عبد الكريم خليفة الرئيس المؤسّس للمجمع: صمود أسطوريّ، الأستاذ الدكتور همام غصيب.

كلمة الأستاذ الدكتور رئيس المجمع

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبيه الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين.

الأستاذ الشيخ الجليل الدكتور عبدالكريم خليفة،

أيّها الراحل العزيز في وطنٍ كنتَ من أوائل أهله، علماً، وخلقاً، وغيرة على أحوال الأمّة، وأعلام الوطن العالية منذ أن أعلنت السلط العزيزة لحظة تأسيس مدرستها لنهضة الوطن العلمية، ويوم بدأت من الجامعة الأردنية رحلة الدفاع عن العربية الشريفة، وتابعت الرحلة من مجمع اللغة العربية الأردني رئيساً متميزاً بالحزم والتزام الرسالة العظيمة للأمة.

أبا وائل:

أقرأ الآن بين يديك صورة أندلسية تعيدني إلى مثولي وزملاءَ أعزاء بين يديك في دروسك عن الأندلس في مرحلتي الدراسة الجامعية الأولى والثانية... وكم طلبت إلينا أن نقرأ ونعلّق مع خشيتنا من خطأ هنا أو زلل هناك.

يقول الشاعر:

"فلنقل نحن هنا أندلسيون!
فلا نطلبُ في الأرض سوى ما يطلب الحُجّاج
أبناء السبيل.
ولنا من لغة الله كلام
نتهجّاه على تجعيدة الصخر
ونقراه هديلاً بهديل

. . .

ولنَقُلْ إنكّ شيخُ الوقت،

فانهض أيّها الشيخُ الجليلْ

آن أن يستأنف الأندلسيون الرحيلْ

....

شيخي الكبير،

ما زلت هنا، أمسح الغبار لو علق باللوحة الراسخة في مكتبك/ لوحة القدس، وقد رأيتكم ترحلون من حواليّ إلى رحاب الله، الشيخ إبراهيم زيد الكيلاني، والأستاذ ناصر الدين الأسد، والأستاذ محمود إبراهيم، والشيخ المعلم عبدالكريم غرايبة، والأستاذ عبداللطيف عربيات، والأستاذ إسحق الفرحان، والأستاذ محمود السمرة، والأستاذ محمد حمدان، والأستاذ إسماعيل عمايرة.

فلا تسأل عن حالنا اليوم؛

ألم يقل حسان بن ثابت في شهداء مؤتة:

بلاءٌ، وفقدان الحبيب بليّةٌ وكمْ من كريمٍ يُبتلى، ثمّ يصبرُ
رأيتُ خيار المؤمنين تواردوا شَعُوبَ وقدْ خُلّفتُ فيمن يُؤخّرُ

سيدي العزيز:

أيّها الراحلون من أهل المجمع،

من حقّي أن أراكم بين المجاهدين في هذا الزمان الذي تُدمّر فيه ثوابت الأمّة من خلال تدمير لغتها الشريفة لصالح الأميّة والعامية والرأسمالية

المتوحشة، والجامدين والجاحدين من أبناء الأمـــة، فيـــا أيهـــا المجاهـــدون الراحلون أقرأ لكم:

﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ زُمَرًا﴾

يا أبا وائل،

نشكو حال الأمة إلى الله العلي القدير الذي نزّل القرآن الكريم بلســـانها العربي المبين، لقد كرّمها، فكيف هانت حالها على نفـــوس أبنائهـــا، وعلـــى النّاس!

ها نحن على مشارف غرناطة، وقبلها قرطبة وأســـوار بغـــداد (أمـــام المغول الأوائل والمغول الجدد)، والأمة تخبئ ذهبها ونفطها ولا تدافع عـــن القدس وفلسطين!!

الله، كم زفرة ستكون على سفوح جبال الأمة يوم يهاجر أبـــو عبـــدالله الصغير من "دول الطوائف" إلى مغرب بعيد... بعيد.

كأن صوتك يملأ من جديد محذّراً ومنذراً وثائراً، ورد الحماسة والشهادة فينا، أو وأنت تستعيد كبرياء زمن بني العباس ومدرستهم العقلية العظيمة.

أعود إلى هذا الوطن الذي ضمّك ثراه..

بل أعود معك قبل ذلك من بغداد (دار المعلمين العالية)، إلى الطفيلة التي عَرَفتك معلماً بين عامي ١٩٤٢-١٩٤٣.

ومنها إلى حلب بين (١٩٤٧- ١٩٥١)، كنت تطلّ مـــن الســـلط علـــى فلسطين، ومن الطفيلة على حضارة أدوم، ومن حلب على قلعة سيف الدولـــة

وزمان المتنبي العظيم... ثم تكون في فرنسا تصحبك أخبار ثورة الزنج ومصادر تلك الثورة، وتبدأ في عمّان (التربية والتعليم) وعمّان الجامعة (أستاذاً ورئيساً)، ثم في المجمع العزيز من أجل اللغة الشريفة، ويستمر العطاء الثرّ في أجواء إخوان الصفا، وابن حزم، وأبي بكر الزبيدي، والمعرّي.... وقبل هذا وذاك تتفرغ للتربية وأصولها في بدايات الرحلة سنة ١٩٤٩م... وفصول أخرى في التعريب، واللغة، والمعاجم، والمصطلحات.

أيها العزيز،

أنا واحد من تلاميذك، وزميل لك في المجمع، أمّا الرئاسة بعدك فلها شأنٌ آخر... فوالله ما هممت بعمل إلا تذكرت غيرتك على اللغة والأمة، وحزمك في أمور كثيرة لأنك لا تهادن والحق واضح، ولا تجامل أحداً والعلم في خطر، ولا تتنازل عن موقف حتى لو خذلك الآخرون.

لك السلام والرحمة

والسلام عليكم جميعاً ورحمة الله وبركاته

عبدالكـــريم خليفـــة
عاشق العربيّة وموروثها

الأستاذ الدكتور يوسف بكّار
عضو مجمع اللغة العربية الأردني

الخميس ٢٥ ربيع الآخر ١٤٤٢هـ - ١٠ كانون الأول ٢٠٢٠م

-١-

الدكتور عبدالكريم خليفة (١٩٢٤-٢٠٢٠)[١] ابن العربية البار نشأة وتخصصًا وتدريسًا. فأمّا النشأة فمعروفة؛ أمّا التعلّم والتخصص فقد درسها دراسة أكاديميّة وحصل على الليسانس من دار المعلمين العالية ببغداد (كلية التربية الآن) عام ١٩٤٦، وعلى الدكتوراه من جامعة السوربون بباريس عام ١٩٥٤. وأمّا التدريس فقد درّسها في معظم مراحل التعليم الأولى في المدارس ودور المعلمين والمعلمات في الأردن وسوريا (الطفيلة ١٩٤٢-١٩٤٣، وحلب ١٩٤٦-١٩٥١م)، ثمّ عمل مفتّشًا (موجّهًا الآن) للغة العربية في وزارة التربية والتعليم الأردنية (١٩٥٦-١٩٦٣).

كان ذلك كله قبل أن يلتحق بهيئة التدريس بقسم اللغة العربيّة بالجامعة الأردنيّة منذ تأسيسها عام ١٩٦٣ حتّى عام ١٩٧٦ الذي اختير فيه رئيسًا لمجمع اللغة العربيّة الأردني حتّى عام ٢٠١٥. وكان اختيارًا موائمًا جدًّا، جهد عبدالكريم خليفة المسكون بالعربيّة، في هذه المدّة، أن يحقق كثيرًا من أحلامه وطموحاته في خدمة العربيّة وموروثها؛ وظلّ يسعى، بتفانٍ وإخلاص، إلى ترسيخ ما حقق، وبعثِ ما رقد من مشروعات، وإلى بلوغ آفاقٍ أوسع وارتياد مجالات أرحب.

تدرّج في الجامعة الأردنية في سلّم الترقيات العلمية، ونال درجة الأستاذيّة عام ١٩٦٦، ثم شغل عددًا من المناصب الإداريّة العلميّة وكيلاً لكلية الآداب (١٩٦٤-١٩٦٦)، ورئيسًا لقسم اللغة العربية وآدابها (١٩٦٤-١٩٦٨ و١٩٧١-١٩٨٨)، ورئيسًا للجامعة (١٩٦٨-١٩٧١). وقد أدى فيها

(١) توفي، رحمه الله، بعمان في ٢٠٢٠/٨/١٧.

جميعًا خدمات جليلة نافعة للّغة العربيّة وموروثها في مجالات شتّى لا تزيغ عنها عين الناظر لا في وثائق الجامعة الأردنيّة وملفاتها في تلك الحقبة، ولا في المخرجات العامّة المختلفة لمسيرتها.

- ٢ -

كان إيمان عبدالكريم خليفة الراسخ بالعربيّة ينبجس من أنّها لغة القرآن الكريم أي لغة الإسلام كافة وليست لغة أمة معينة، وأنها تصل الحاضر بالماضي السحيق، وأساس نهضة الأمّة ووحدتها[١]. وهي، كغيرها من اللغات، أُمّ التفكير والتعبير وليست أداة توصيل فقط[٢].

لقد انتهى به هذا الإيمان إلى عشق شموليّ للعربيّة يؤرخ لها، ويكشف عن ميزاتها ومقومّاتها وأصالة وجودها، وينقّب عن جوانب وضاءّة من موروثها، كالذي في كتابه "بحوث في القرآن والحديث واللغة"[٣]، ويقف عند ما يعترضها من مشكلات راهنة مقترحًا حلولاً مناسبة للتغلّب عليها. وقد أعانه في هذا، فضلاً عن الذات العاشقة والمنافحة في آنٍ، قراءاته في أمّهات كتب الموروث والإفادة منها، وما ألف هو عن بعض الأعلام والرموز، لا سيّما كتابيه "إخوان الصفاء وخلان الوفاء في القرن الرابع الهجري"[٤] و"ابن حزم: حياته وأدبه"[٥]. وقد كان ابن حزم رائده في بعض ما التفت إليه من موضوعات اللغة ونحوها وموروثها، ناهيك بما حققّه من أعمال.

---

(١) اللغة العربيّة والتعريب في العصر الحديث، ص٧٨. منشورات مجمع اللغة العربيّة الأردني- عمّان ١٩٨٧.

(٢) المصدر نفسه، ص١١.

(٣) منشورات دار جليس الزمان. عمّان ٢٠١١.

(٤) حلب ١٩٥٠.

(٥) بيروت ١٩٦٨.

-٣-

إن تحقيقاته لأسٌّ من أُسس انتمائه الصّادق الأصيل إلى العربيّة وعشقه لها ومنافحته عنها، وهي:

(١) الواضح، لأبي بكر الزَّبيدي الأشبيلي[١].

(٢) رسائل أبي العلاء المعريّ[٢] (ثلاثة أجزاء).

(٣) الإملاء المختصر في شرح غريب السِّير[٣]، للإمام مصعب بن مسعود الخشني.

(٤) الإبانة في اللغة العربية، لسَلمة[٤] بن مسلم العُوتبي الصحاري. (بالاشتراك)، وهو في أربعة أجزاء.

إن كلّ واحد من هذه الأعمال رافد مهم في ناحية ما من روافد العربيّة كما تشي عناوينها، وحقيق بوقفة طويلة خاصّة، لكن لا مندوحة من وقفة قصيرة مع "رسائل أبي العلاء"، التي تعدُّ اثنتين وأربعين رسالة بين متوسطة وقصيرة في مناسبات وأغراض شتّى من غير الرسائل الكبيرة المعروفة كرسالة الغفران ورسالة الملائكة ورسالة الصّاهل والشاحج.

لقد أعاد الدكتور خليفة نشرها بعد نشرتين سابقتين: نشرة بيروت (١٨٩٤)، ونشرة المستشرق الإنجليزي مرجوليوث (أكسفورد ١٨٩٨)، فضلاً

---

(١) طبع مرتين: الجامعة الأردنية – عمّان ١٩٧٦، ودار جليس الزمان – عمّان ٢٠١٠.

(٢) منشورات مجمع اللغة العربيّة الأردني – عمّان ١٩٧٦.

(٣) منشورات دار البشير – عمّان ١٩٩٠.

(٤) سلطنة عُمان. وزارة التراث القومي ١٩٩٩.

عن الرسالة التي في تعزية أبي عليّ بن أبي الرّجال في ولده التي حققها ونشرها المرحوم الأستاذ إحسان عبّاس، والتي اعتمدها المحقّق الجديد كلّها، بالإضافة إلى مخطوطة "ليدن" ونصوص في بعض المصادر القديمة[١]. إنّ هذا الأخير وحده داع مهم من دواعي إعادة نشر الرسائل فضلاً عن سقوط إحداها من نشرة بيروت[٢]، وقِدم النشرتين وقلة توافرهما.

الأهم أن المحقق كشف عن مسألة مهمّة فاتت بعض من حقّقوا رسائل المعريّ الكبرى، هي أن له كتابًا بعنوان "خادم الرسائل" شرح فيه ما يحتاج إليه شداة الأدب منها، وكان سببًا في اختلاط النصوص الأصلية بالشروح كما في "رسالة الغفران" وغيرها.

اهتبل عبدالكريم خليفة هذه السانحة فدعا إلى إعادة النظر في هذه الرسالة وأمثالها[٣]، لفصل ما دلف من الشروح إلى المتون عنها.

فضلاً عن هذا، كان حريصًا في مجمعنا الأردني، الذي يعدُّ إحياء التراث العربي والإسلامي في العلوم والآداب والفنون في طليعة أهدافه (المادة ٤ من قانونه– بند "د")، على بعث أمهات كتب التراث العربي بتحقيقها تحقيقًا علميًّا. وقد صدر عدد منها لا سيما في فهارس المخطوطات، وإن يكن أقلَّ مما صدر عن المجامع العربيّة الأخرى.

– ٤ –

أّما اللغة ذاتها، فعَمَد بدءًا، في ضوء ما سلف، إلى أن يؤرخ لها، ويتعرّف على نشأتها، ويتابع مسيرتها وتطورها منذ قبل الإسلام إلى يومنا

---

(١) رسائل أبي العلاء – المقدمة ١: ص ل.

(٢) المصدر نفسه ١: ص ف.

(٣) المصدر نفسه ١: ص ز – ص.

هذا[١]، وما رافق ذلك من قضايا التوحّد والتكوين والكتابة، والتقعيد اللغويّ والنحويّ والصرفيّ، والانتشار في ميادين العلم والمعرفة، وملامسة قضايا المصطلح والتعريب واللغة المحكيّة في حدود الأزمنة القديمة والإلماع إليها في الأعصر الحديثة التي توسّع فيها، من بعدُ، توسّعًا علميًّا دقيقًا وولجها من أوسع الأبواب منطلقًا من أهداف مجامع اللغة العربيّة ومساعيها وتوصيات مجالسها ولجانها ومؤتمراتها وندواتها وقراراتها.

-٥-

لقد أولى المصطلح والتعريب عناية خاصة. فهو يرى أن تترجم المصطلحات الأجنبيّة إلى مقابلات دقيقة بالعربيّة، وإلا فلا مندوحة من "تعريبها" أو أن تظل كما هي وهو ما يطلق عليه "الدّخيل". والتعريب غير غريب على العربيّة مذ كانت، بشرط إخضاعه لموازين العربيّة وقواعدها، وسحب ما يجري في العربية من اشتقاق ونحت وغيرهما عليه. الأهمّ في الأمر أن "تُوحّد" المصطلحات والمعرّبات، وما أحلاه من حلم، في كلّ فروع المعرفة في اللغة العربيّة في الوطن العربي كلّه تجنبًا للخلط واللّبس[٢]، ولا غرابة؛ فقد كان الفقيد من المنادين دائمًا بمجمع لغويّ عربيّ واحد[٣].

إن ترجمة المصطلحات أو تعريبها والتّرجمة من اللغات الأخرى إلى العربيّة بنقل أُمهات الفكر العالمي تشكّل رافدًا مهمًا من روافد اللغة في زيادة ثروتها، وتمكينها من التطور والخصب في وسائل تعبيرها[٤].

---

(١) اللغة العربيّة والتعريب، ص١١-٤٢.

(٢) راجع مثلاً على تعدّد المصطلحات في ترجمة الكتاب الواحد في غير ترجمة عربية في اللغة العربيّة والتعريب، ص٢١١.

(٣) اللغة العربيّة والتعريب، ص٢٣٧.

(٤) المصدر نفسه، ص٦٧.

وقد كان لمجمع اللغة العربيّة، الذي تسنّم رئاسته مدة طويلة تدنو من أربعين عامًا (١٩٧٦-٢٠١٥)، إسهامات في وضع المصطلحات وترجمة الكتب العلميّة تمهيدًا لتحقيق المفهوم الآخر لمصطلح التعريب، وهو تعريب التعليم الجامعي بتدريس المواد العلمية على اختلافها في الجامعات العربية باللغة العربيّة القادرة على النهوض بهذه المهمَّة. وهذا يتطلّب أن تنهض كلّ جامعة، بل كلّ كلية وقسم مختص فيها بتخطيط برامج يكفل رفع مستوى أعضاء هيئة التدريس في اللغة العربيّة، وتدريبهم في أثناء الخدمة، لكي يتمكنوا من استعمال العربيّة لغةً للتدريس والبحث العلمي وفق تخطيط تربويّ علميّ نفسيّ تدريبي مستمر في مجالين:

الأول، عضو هيئة التدريس، بحيث تُنظّم دورات مركّزة في اللغة العربيّة، وتُلقى محاضرات عن التعريب والمشكلات اللغويّة تركّز على قواعد النحو والصرف الأساسيّة.

والآخر، الوسائل والإمكانات التي تضمن بيئة علمية خصبة لقضيّة التعريب تنهض على إنشاء مراكز علميّة متخصصّة في جميع حقول المعرفة، وإنشاء مركز رئيسي للترجمة والتعريب والنشر يوفر المصادر والمراجع العلمية بالعربية في التخصصات كافّة[١].

كلّ هذا، لأنه كان يرفض مبدأ استبدال أية لغة أجنبيّة باللغة العربيّة، ومبدأ المناداة بالعاميّة[٢]، وما أكثر عاميّاتنا والمنادين بها! ولكنْ للكعبة ربّ يحميها. ورحم الله الدكتورة نفّوسة زكريا سعيد مؤلفة الكتاب الرائد "تاريخ

(١) اللغة العربيّة والتعريب، ص١٩١-٢٠٢.

(٢) المصدر نفسه، ص٢١٠.

الدّعوة إلى العاميّة وآثارها في مصر". (دار المعـــارف – القـــاهرة ١٩٦٤ و١٩٨٠).

بيد أنّه كان يأسى، لأنّه حيل بين هذه الجهود أن تأخذ طريقها إلى الحياة بين الناس والعلماء[١]، لأنّ "تعريب العلوم أو علم تعريبها، وأن تعريب التعليم الجامعي بفروعه العلميّة المختلفة أو عدم تعريبه، هي قضية لا علاقـــة لهـــا بطبيعة اللغة العربيّة أو بقدرتها على الاستيعاب، ولكنّها قضية تتعلق بتيـــار سياسيّ يعادي العروبة وتراثها ولغتها، وبالتالي يعادي الأمـــة فـــي جميـــع أقطارها، ويمنعها من المسيرة في مدارج الحرية والاستقلال الحقيقي"[٢]. إنّنا بأَخَرَة في حاجة إلى أن نعرّب أنفسنا أولاً، وإلى قرار سياسيّ صارم.

– ٦ –

وليس ببعيدٍ عمّا سلف إيمان عبدالكريم خليفة بتيسير العربيّة[٣] نحـــوًا وصرفًا وكتابة لتسهيل تعليمها للناشئة دون أيّ مساس بالأصول، وضـــرورة تأهيل أعضاء هيئة التدريس بالعربيّة، لأن "ثمة حقائقَ محزنة فـــي ضـــعف المثقفين العرب والمتخصصين منهم في شتى العلوم في لغتهم العربيّة. وقـــد يصل هذا الضعف، مع الأسف، إلى بعض المتخصصين في اللغة العربيّة"[٤].

---

(١) اللغة العربيّة والتعريب، ص٢٣٣.

(٢) المصدر نفسه، ص٢٣٣ كذلك.

(٣) يراجع كتابه: تيسير العربيّة بين القديم و الحديث. منشورات مجمع اللغة العربيّة الأردنـــي – عمّان ١٩٨٦.

(٤) اللغة العربيّة والتعريب، ص١٨٥.

ليس هذا حسب، إنّما كان يدعو إلى إعادة النظر جذريًّا في تعليم العربيّة في المراحل التعليميّة كافّة بدءًا مما قبل المدرسة إلى الجامعة من حيث الكتب المقرّرة، وأساليب التدريس، واستخدام الوسائل الحديثة وتقنياتها، للحفاظ على العربية ومعالجة المشكلات التي تواجهها، وتأكيد أنّها لغة حيّة متطورة.

اللافت أنه كان يأخذ على المؤسسات التعليميّة في الوطن العربي عامة، لا سيّما في النحو، اقتصارها أو تركيزها على "مدرسة البصرة"، وقلّة اهتمامها بمدرسة "الكوفة"؛ وهو محق في هذا كلّ الحق.

- ٧ -

وضع المعاجم، ومشكلاتها كذلك، من قضايا اللغة العربيّة التي كان عبدالكريم خليفة مسكوناً بها وحفيًّا، ناهيك بمعاجم المصطلحات العلميّة، والمعجم التاريخيّ للغة العربيّة[١]، التي ظلت لغتنا الوحيدة التي لا معجم تاريخيًّا لها باستثناء "المعجم اللغوي التاريخي" للمستشرق "أ. فيشر"، الذي صدر عن مجمع اللغة العربيّة بالقاهرة في جزء واحد من أول الهمزة إلى "أبد" عام ١٩٧٦.

كانت ذريعة مجامع اللغة العربيّة في عدم وضعه "ماديّة"، غير أنّها، من زمن قريب أيضًا، حُلّت بتبرع أمير الشارقة بالتكاليف، فأُلفت للمعجم التاريخي "لجنة المعجم التاريخي للغة العربيّة" في اتحاد المجامع اللغويّة العربيّة (٢٠٠٥)، و"مجلس الأمناء لهيئة المعجم التاريخيّ للغة العربيّة"

(١) اللغة العربيّة والتعريب، ص٢١٢ و٢٧٢. وراجع مبحث "نحو المعجم التاريخي للغة العربيّة" في: بحوث في القرآن والحديث واللغة، ص٢٤٩-٢٦٩.

(٢٠٠٧)، وكان الدكتور خليفة عضوًا في اللجنة والمجلس. والعمل في هـذا المعجم جارٍ وليس يدرى أيّان يُفرغ منه!

وثمّة مشروع "معجم الدّوحة التاريخي للّغة العربيّة" الذي أطلقه "المركز العربي للأبحاث ودراسة السّياسات" في دولة قطر في ٢٥ مايو/ أيّار ٢٠١٣، وأعلن أنّ إعداده قد يستغرق خمسة عشر (١٥) عامًا أو أكثر. وإنّنا نتطلّـع إلى هذا وذاك.

وكان، رحمه الله معنيًّا كذلك، بمعجم حديث موحّد لألفـاظ الحضـارة "يستجيب لحاجات العصر الحديث، ويوحّد أسماء الأشياء والأدوات والآلات، وجميع ما يستعمله الإنسان العربي من مأكل وملبس وأثاث، وجميع ما يخصّ حياته في عالم الحيوان والنبات، وفي شتى أنواع المهن"[١]. من هنا انبجست فكرة تبنيّه وضع "معجم ألفاظ الحياة العامة في الأردن"[٢]، الذي تعاورت عدّة لجان، كنت رئيسًا لواحدة منها هي لجنة شـماليّ الأردن، قبـل أن انتخـب عضوًا في المجمع، على إعداده في ثماني سنوات علّه يكون نـواة "المعجـم العربي الموحد لألفاظ الحياة العامّة". وما هذا بعزيـز إنْ صـحّت العـزائم وتوافرت النيّات!

- ٨ -

هذا غيضٌ من فيض جهود الرّاحل الأستاذ عبدالكريم خليفة في خدمـة اللغة العربيّة وموروثها. ومؤلفاته وتحقيقاته وبحوثه ومقالاته ونشاطاته فـي تأليف اللّجان وعقد المؤتمرات والنّدوات والمواسم الثقافيّة ومشـاركاته فـي كثير منها شهود عدول على هذا. أفلا يستحق، إذًا، أن يوصف بعاشق العربيّة وموروثها والمنافح عنها؟ أحسب أن نعم. رحمه الله وأحسن مثواه.

---

(١) اللغة العربيّة والتعريب، ص٢٧٣.

(٢) مكتبة لبنان- بيروت ٢٠٠٦.

عبدالكريم خليفة محققاً

الأستاذ الدكتور سمير الدروبي
عضو مجمع اللغة العربية الأردني
أستاذ الأدب العربي بجامعة مؤتة في الأردن

الخميس ٢٥ ربيع الآخر ١٤٤٢هـ - ١٠ كانون الأول ٢٠٢٠م

ملخص

حاولت في هذا البحث تسليط الضوء على بعضٍ من جهود عبدالكريم خليفة في تحقيق التراث العربي الإسلامي، وكان من الضروري الحديث عن البيئة التي هيّأت خليفة، وغرست في نفسه الإيمان بتراث أمته والاعتزاز به. إذ نشأ في مدينة السلط الأردنية، ذات التاريخ العريق الذي يرجع إلى أيام الأيوبيين والمماليك والعثمانيين، وبقيت شعلة العلم متقدة في هذه المدينة طوال هذه العصور، ولذا فإنه أنشئت فيها أول مدرسة ثانوية في الأردن في عهد الإمارة في النصف الأول من القرن العشرين، وكان لهذه المدرسة دور عظيم في تخريج كثير من رجالات التعليم والإدارة، والعلم، والأدب والصحة والجيش في الأردن.

تلقى خليفة تعليمه الأولي في كتاتيب السلط، التي كانت تعتمد القرآن أساساً في التعلم، إضافة إلى مبادئ القراءة والكتابة والحساب، ثم انتقل إلى الدراسة في مدرسة السلط، وتتلمذ في مادة اللغة العربية على يدي أستاذين جليلين هما: حسن البرقاوي الذي لقبه طلابه بـ"أستاذ الجيل"، وحسني فريز، وهما من علماء اللغة العربية وأدبائها، فكان لذلك الأثر المحمود في تعلمه، وتمسكه بالعربية لغة وتراثاً وتاريخاً وحضارة.

تابع خليفة دراسته الجامعية في دار المعلمين العالية ببغداد، التي درس فيها مناهج البحث العلمي، وتحقيق النصوص على يدي المؤرخ العلامة عبدالعزيز الدوري، وطه الراوي، وغيرهما من علماء العراق، وتابع دراسة الدكتوراه في فرنسا، التي تتلمذ فيها على يد ريجيس بلاشير (Blachere, R.L)، وهو من كبار المستشرقين المهتمين بتحقيق التراث العربي، وتابع خليفة اهتماماته بتحقيق التراث وله جهود مشكورة في تحقيق

الرسائل الأدبية، وكتب النحو، ومعاجم اللغة، وغريب الشعر وغيرها، وللرجل منهجية دقيقة في تحقيق النصوص ونشرها.

وقد وجه خليفة عدداً من طلابه في الجامعة الأردنية لتقديم رسائلهم في موضوعات تحقيق التراث، الذي جعل منه هدفاً أساسياً من أهداف مجمع اللغة العربية الأردني.

يعد الأستاذ الدكتور عبدالكريم خليفة واحداً من رواد تحقيق التراث وعشاقه ومحبيه، بل ربما كان أولَ من حقق نصاً أو نصوصاً تراثية في مطلع النصف الثاني من القرن العشرين في الأردن، وتوالى إنتاجه العلمي بعد ذلك في ميدان تحقيق كتب النحو والمعاجم، والرسائل الأدبية، وغريب السيرة النبوية وغيرها من ذخائر التراث العربي.

ولد عبدالكريم خليفة في سنة ١٣٤٣هـ/١٩٢٤م في مدينة السلط أو الصَّلْت كما يطلق عليها كتاب الدواوين والجغرافيون العرب، فقد تحدث القلقشندي في مطلع القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي عن نيابة عَجلُون وما لها من ولايات التي كانت الصَّلت وحُسبان السادسة منها فقال: "ولاية حُسْبانَ والصَّلْت من البلقاء. أخبرني القاضي ناصر الدين بن أبي الطيب كاتب السر بدمشق، أنهما إن جُمعا لوالٍ واحدٍ، كان أمير طبلخاناه أو أمير عشرة، وإن أُفرد كلٌّ منهما لوالٍ كان جندياً"[١].

ويبدو أن صلاح الدين الأيوبي بعد انتصاره العظيم في حطين المباركة عام (٥٨٣هـ/١١٨٧م)، قد خلص السلط من عدوان الصليبيين المتواصل عليها، إذ كانت قبل ذلك من أرض المناصفات التي يدفع أهلها نصف محاصيلهم للفرنج، وبدأت المدينة بالإزهار في العهد الأيوبي، وبنيت فيها

١- **القلقشندي**، أحمد بن علي (ت ٨٢١هـ/١٤١٨م): **صبح الأعشى في صناعة الإنشا**. وزارة الثقافة، القاهرة، بلا تاريخ: ج٤، ص٤٠١؛ وانظر: **العمري**، أحمد بن يحيى بن فضل الله (ت٧٤٩هـ/١٣٤٨م): **التعريف بالمصطلح الشريف**. دراسة وتحقيق: سمير الدروبي، ط١، منشورات عمادة البحث العلمي، جامعة مؤتة، الأردن، ١٤١٤هـ/١٩٩٢م: ص٢٥٤.

قلعة حصينة دمرها التتار الذين عاثوا في الشام جميعها، ومنها منطقة الصلت، فساداً وتقتيلاً، وأسراً وسبياً[١].

وبعد أن دحر المماليك التتار همج التاريخ ووحوشه، اهتم الظاهر بيبرس (ت٦٧٨هـ/١٢٧٩م) بترميم قلعة الصلت وإعادة بناء ما تهدم منها[٢].

ولم يقتصر اهتمام أمراء المماليك على الجانب العسكري بمدينة الصلت، بل أنشأ الأمير سيف الدين بكتمر (ت٧٢٤هـ/١٣٢٣م) مدرسة فيها، عرفت بـ"المدرسة السيفية"، ومن علمائها الفقيه داود بن سليمان الكوراني الذي وقف فيها كتباً على طلاب العلم[٣].

وبقيت السلط مدينة عامرة طوال العصر العثماني، وعندما مرّ بها الرحالة الإنجليزي بيركهارت سنة ١٨١٢م، ذكر أن بها أربعمائة عائلة من المسلمين، وثمانين عائلة من المسيحيين، يعيشون في إخاء وتسامح، وأن للمدينة قلعة حصينة، وأنها مدينة عامرة، وتكاد أن تكون مستقلة عن أية

١- انظر: **أبو شامة المقدسي**، شهاب الدين عبدالرحمن بن إسماعيل (ت ٦٦٥هـ/١٢٦٦م): **المذيل على الروضتين**. تحقيق: إبراهيم الزيبق. ط ١، دار الرسالة العالمية، بيروت، ٢٠١٠م/١٤٣١م: ج٢، ص١٤١، ١٤٥.

٢- انظر: **ابن شداد**، عز الدين محمد بن علي (ت ٦٨٤هـ/١٢٨٥م): **تاريخ الملك الظاهر**، تحقيق: أحمد حطيط، ط١، المعهد الألماني للأبحاث الشرقية، بيروت، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م: ص٣٥٦.

٣- انظر: **ابن كثير**، أبو الفداء إسماعيل (ت٧٧٤هـ/١٣٧٢م): **البداية والنهاية**. ط٢، دار المعارف. بيروت، ١٩٧٤م: ج١٤، ص١١٦؛ **النعيمي**، عبدالقادر (ت٩٢٧هـ/١٠٢٠م): **الدارس في تاريخ المدارس**. تحقيق: جعفر الحسيني، ط١، المجمع العلمي العربي، دمشق، ١٩٤٨م: ج١، ص٢٧٥.

حكومة، ولا تتبع أية ولاية، وقد حاصرها باشاوات دمشق، وآخرهم عبدالله باشا الذي حاصرها ثلاثة أشهر دون طائل، وبقيت السلط حرة لا تخضع لأحد"[١]. ولا ينسى بيركهارت أن يشيد بكرم الضيافة العربية التي لقيها عند أهل الصلت[٢].

وزار محمد كرد علي أثناء رحلته إلى المدينة المنورة، مدينة السلط في مطلع القرن العشرين، أي بعد رحلة بيركهارت بقرن من الزمان، وذكر أن عدد سكانها زهاء ١٦ ألف نسمة، مما يعني أن عدد سكانها قد تضاعف عدة مرات خلال قرن من الزمان، وأشاد كرد بما في المنطقة من نشاط زراعي وتجاري[٣].

وبناء على ما سبق، فإن مدينة الصلت ذات ماضٍ عريق في العصور الأيوبية والمملوكية والعثمانية، وإن مدرستها "السيفية" في العصر المملوكي كانت بمثابة جامعة في عصرنا، يضاف إلى ذلك قلعتها الحصينية التي أعادها الظاهر بيبرس بعد أن دمرت على أيدي التتار.

نشأ خليفة وترعرع في رحاب هذه المدينة التاريخية، وعرف آثارها وجبالها، ووديانها وعيونها، وحقولها وكروم عنبها التي تشتهر بزراعتها. وقد تميزت هذه المدينة بموقعها المتوسط بين عجلون والكرك، وحسبان وعمان،

١- **بيركهارت**، جون لويس: **رحلات في الديار المقدسة والنوبة والحجاز**. ترجمة: فيصل أبو غوش. ط١، وزارة الثقافة، عمان، ٢٠١٥: ج١، ص٢٢٥.

٢- انظر: **المصدر السابق**: ج١، ص٢٢٦.

٣- **كرد علي، محمد** (ت ١٩٥٣م): **المذكرات**. ط١، أضواء السلف. الرياض، بلا تاريخ: ج٣، ص٧٧٠-٧٧٤.

ونابلس والقدس، بحيث يمكن للناظر من مرتفعات السلط أن يشاهد مدينتي القدس ونابلس.

ويحدثنا خليفة أنه تعلم القرآن، والقراءة والكتابة، ومبادئ الحساب في أحد كتاتيب السلط، وبعد أن وصل في قراءة القرآن إلى سورة يس، انتقل إلى مدرسة السلط الحكومية، ويذكر أن عدد رفاقه في الصف الأول قد تجاوز الستين طالباً، لم يصل منهم إلى السابع الابتدائي سوى طالبين، كان خليفة واحداً منهما، وهو أمر لافت للنظر، وربما كانت صعوبة الدراسة، وارتفاع مستوى المناهج المقررة، وظروف المعيشة الصعبة من أهم الأسباب المؤدية إلى تسرب هذا الكم الهائل من الطلاب خلال المرحلة الابتدائية من جانب، ويدلنا على ذكاء خليفة واستعداده الفطري لتلقي العلم من جانب آخر[١]. وربما كان الانتداب البريطاني مسؤولاً عن ذلك؛ لأن سياسته كانت قائمة على تقليل عدد المتعلمين، خوفاً من وعيهم وسعيهم للتحرر، وكانت محاربة التعليم، وتقليل عدد المتعلمين سياسة بريطانية مدروسة في كل البلاد العربية التي فرض عليها الاستعمار الإنجليزي انتدابه الغاشم، بل احتلاله الظالم لمصر والعراق، وفلسطين والأردن وغيرها من البلاد العربية والإسلامية.

ويشير خليفة إلى أنه التقى في الصف الثانوي الثالث بمجموعة من الطلاب الأردنيين من عمان وإربد والكرك؛ لأن مدرسة الصلت كانت في

١- انظر **محاسنة**، محمد؛ **الطراونة**، محمد؛ **الطراونة**، سليمان؛ **الكركي**، خليل: **مدرسة السلط (سيرة ومسيرة)**. ط١، عمادة البحث العلمي، جامعة مؤتة الأردن، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م: ج٢، ص٦٢-٦٣.

تلك الفترة هي المدرسة الثانوية الوحيدة في الأردن، وكانت المنافسة العلمية بين الطلبة قوية جداً في هذه المرحلة[١].

وما هو جدير بالذكر، أن هذه المدرسة التي أنهى فيها خليفة دراسته الثانوية كانت تعرف بقلعة العلم في ذلك الوقت، وهي بمنزلة الجامعة في وقتنا الحاضر، وكانت معقلاً للتيارات الإسلامية والقومية واليسارية، إذ تخرج منها عشرات الطلاب الذين تسلم كثير منهم أعلى المناصب في الدولة الأردنية.

وقد غرست هذه المدرسة في نفوس طلابها معاني القومية، والوحدة العربية التي تقوم على العقيدة واللغة والتاريخ، والحفاظ على لغة القرآن الكريم، والحفاظ على تراث الأمة، فتخرج كثير من طلاب هذه المدرسة وهم على وعي تام، وإيمان راسخ، بدور أمتهم في مسيرة الإنسانية وحضارتها، وبعظمة تاريخها وتراثها ولغتها، وكان خليفة في طليعة هذا الرعيل المتمسك بموروث أمته العظيم، ومن المحافظين عليه أشد المحافظة، ومن الساعين إلى إعادة بعثه وازدهاره.

لقد توفر لهذه المدرسة نخبة متميزة من المعلمين المربين الفضلاء، الذين أفادوا الطلاب، وأثّروا في ميولهم الأدبية والعلمية، ومن هؤلاء المعلمين حسن البرقاوي المولود ببرقة في فلسطين سنة ١٨٩١م، وقد تعلم في المدرسة الدينية بنابلس، وأكمل تعليمه في الأزهر الشريف، واتصل بعلماء دمشق أمثال الشيخ بهجة البيطار وغيره من علماء دمشق. ودَرّس البرقاوي في إربد والكرك والسلط، وتوفي بعمان سنة ١٩٦٩م.

١- انظر **محاسنة**، محمد وآخرون: **المرجع السابق**: ج٢، ص٦٣.

ويبدو أن البرقاوي كان معلماً مؤثراً، وأستاذاً ملهماً لطلابه، حتى وصفه طالبه عبدالسلام المجالي رئيس الوزراء الأردني الأسبق بأنه: "العالم باللغة كان لا يحب الروتين"[١].

وقال عنه المؤرخ الأردني عبدالكريم غرايبة: إن الطلاب قد لقبوا البرقاوي، بـ"أستاذ الجيل". ويروي غرايبة قصة دخول وزير المعارف السقاف، ومدير المعارف، ومدير مدرسة السلط آنذاك على البرقاوي، وهو يشرح بيتاً من الشعر، يقول غرايبة: "... وأبدى الوزير ومدير المعارف إعجابهما بالشرح والفكرة والمعاني... وازددنا نحن فخاراً بمعلمنا القدير الذي ردد بعد خروج الزوار: استمعوا جيداً لكل ما أقول، فلن تسمعوا هذا من غيري..."[٢].

وقد تتلمذ خليفة في العربية على يدي المعلم القدير، والكاتب اللغوي النحرير، والمربي الكبير حسن البرقاوي الذي حبب العربية إليه، وقربها من نفسه، وجعلها مادة أثيرة عنده، على الرغم من تفوقه في كل الدروس إذ كان الأول في صفه، وقد كان خليفة معجباً بأستاذه البرقاوي، وبأستاذ آخر هو حسني فريز، الشاعر الأديب الذي يُعد من رواد الحركة الأدبية في الأردن[٣].

وعلى الرغم من احترام خليفة لأساتذته جميعاً، وإشادته بكفاءتهم وعلمهم، إلا أنه خص البرقاوي وفريز بالذكر، يقول: "وكان المدرسون جميعاً في

١- انظر **محاسنة**، محمد وآخرون: **المرجع السابق**: ج٢، ص٦٠.

٢- انظر: **المرجع السابق**: ج٢، ص٦٣.

٣- انظر: **المرجع السابق**: ج٢، ص٦٣.

المرحلة الثانوية مؤهلين تأهيلاً علمياً رفيع المستوى، إلى جانب إخلاصهم في العطاء، وأذكر منهم المرحوم محمد حسن البرقاوي، والمرحوم حسني فريز..."[١].

أنهى خليفة دراسته الثانوية في مدرسة السلط الثانوية، المدرسة الرائدة في تاريخ التعليم في الأردن، وحصل على الشهادة الثانوية عام ١٩٤٢م، وكان الأول على دفعة ذلك العام.

ومن المعلوم أن أوائل الطلبة يفتح لهم باب الاختيار لأكثر من موضوع أو تخصص في الدراسة الجامعية، وما كان من خليفة إلا أن اختار دراسة اللغة العربية، التي أصبحت لديه مادة عزيزة أثيرة، وكان غالباً ما يطلق عليها اللغة المقدسة الشريفة، لغة القرآن الكريم، فشد الرحال إلى بغداد الحضارة والتاريخ عاصمة الرشيد، والتحق بدار المعلمين العالية، لينهل من علوم العربية فيها، ويستقي من مواردها العذبة إلى أن تخرج منها عام ١٩٤٦م حاصلاً على درجة البكالوريوس.

وكانت دارُ المعلمين العالية ببغداد من أهم المراكز العلمية في الوطن العربي آنذاك، ويرجع تاريخ إنشاء هذه الدار إلى أيام ملك العراق فيصل بن الحسين، الذي كان عازماً على تأسيس جامعة عصرية، تخدم العراق والبلاد العربية في العشرينيات من القرن الماضي، وصدرت الإرادة الملكية بتأسيس جامعة آل البيت، وتم اختيار الموقع، وافتتحه الملك فيصل، وأنشأت بعض بنايات الجامعة، ورصدت لها الأموال اللازمة، ووافق مجلس الوزراء في

١- انظر **محاسنة، محمد وآخرون: المرجع السابق: ج٢**، ص٦٣.

العراق على ذلك، ولكن ساطعاً الحصري الذي كان مديراً عاماً للمعارف في العراق (١٩٢٣-١٩٢٧)، ومستر سمث مفتش المعارف العام زمن الانتداب البريطاني في العراق، أجهضا المشروع، وأجهزا عليه[١]، ولم ينتطح فيه عنزان كما تقول العرب في أمثالها.

وتوقف مشروع الجامعة بحجة قلة الموارد المالية، ولكن الحقيقة تكمن في أن الانتداب يريد حصر التعليم العالي في أضيق نطاق ممكن، وفي أقل عدد من الجامعيين، خوفاً من انتشار الوعي والتنوير في المجتمعات العربية، كي تبقى الهيمنة للغزاة الجدد، الذين وقفوا بكل قواهم سراً وعلناً، في طريق أمة تريد أن تنهض، وأن يكون لها مكانها في الحضارة المعاصرة، وفي تقدم العلوم والمعارف.

وبقيت دار المعلمين العالية تؤدي دورها التعليمي والتربوي حتى سنة ١٩٥٨م، وفي سنة ١٩٣٩م زيد عدد سنوات الدراسة في دار المعلمين، لتصبح أربع سنوات، يمنح بعدها الطالب المتخرج منها درجة البكالوريوس في الآداب أو التربية أو العلوم.

وكان للدار مجلة علمية باسم "الأستاذ" لنشر الأبحاث العلمية للمدرسين فيها، ثم تغير اسمها عام ١٩٥٨م إلى كلية التربية التي ألحقت بجامعة بغداد. وقد تخرجت منها أعداد كبيرة من النابهين العراقيين، وأبناء الوطن العربي، وكان عبدالكريم خليفة واحداً منهم، بعد أن تضلع من نمير العربية العذب،

١- انظر: **الجميل**، سيار: "**الملك فيصل الأول والتأسيس العلمي الحديث (جامعة آل البيت في العراق ١٩٢٤م-١٩٣٠): تأسيسها... تجربتها... وتداعياتها)**، بحث منشور ضمن كتاب: **بناء الدولة العربية الحديثة**. تحرير: هند غسان أبو الشعر. ط١، وزارة الثقافة، الأردن، ٢٠١٨م: ج١، ص٣٤١-٣٨٣.

وتراثها السائغ على فضلاء علماء العراق، ومن وفد عليهم من علماء البلاد العربية آنذاك.

وتتلمذ خليفة في دار المعلمين العالية ببغداد على العلامة عبدالعزيز الدوري في مادة "مناهج البحث العلمي وتحقيق النصوص"، وكان لذلك أكبر الأثر في تأسيسه العلمي، وتكوينه المعرفي، على أسس علمية صحيحة، وأدى ذلك إلى تعلقه بالتراث العربي الإسلامي وفقاً لأحدث المناهج في دراسته وتحقيقه.

ويبدو أن الدوري الأستاذ الجليل، كان له دور فاعل في توجيه خليفة لإكمال دراسته العليا في السوربون فيما بعد. علماً بأن الدوري قد حصل على درجة الدكتوراه في الفلسفة من جامعة لندن، في مطلع الأربعينيات من القرن المنصرم.

والعلامة الدوري من كبار أساتذة التاريخ الإسلامي في عصرنا الحديث وله منهجية خاصة في دراسة التاريخ العربي والإسلامي الذي كان حريصاً على تحقيق مصادره، وله فيه جهوده المميزة، وكان تأثيره كبيراً وعظيماً في كل من درس على يديه في العراق، وفي الجامعة الأمريكية في بيروت، وفي الجامعة الأردنية. والدوري –رحمه الله– كان من عظماء المؤرخين، وإذا ما ذكر اسمه أمام أحد المستشرقين، فإنه ينحني إجلالاً لسمعته العلمية المدوية، وقد رأيت ذلك رأي العين في أكثر من مؤتمر علمي، بل إن بعضاً من طلاب التاريخ في الغرب كانوا يأتون إلى الجامعة الأردنية للدراسة على يديه.

كما درس خليفة على الأستاذ المرحوم طه الراوي الذي ترك في نفسه أثراً محموداً في العناية بالتراث العربي الذي لم يفقد قيمته وألقه حتى الآن.

وبعد تخرج خليفة من بغداد عمل مدرساً لأصول التدريس العامة والخاصة لمادة اللغة العربية في دار المعلمات بحلب، ثم في دار المعلمين في المدينة نفسها في الأعوام ١٩٤٧-١٩٥١م.

وتوجه أستاذنا خليفة لمتابعة دراسته العليا في فرنسا، والتحق بجامعة باريس (السوربون)، وحصل منها على درجة الدكتوراه في الآداب سنة ١٩٥٤م، وهو من أوائل الأردنيين الذين يحصلون على هذه الدرجة العلمية في بلاد الغرب.

وفي باريس قدم رسِالَته المتعلقة بثورة الزنج، اعتماداً على نصوص جمعها وحققها من تاريخ الطبري، وأنساب الأشراف للبلاذري، وشرح نهج البلاغة لابن أبي حديد، وغيرها من المصادر التراثية، فازدادت معرفته بمصادر التراث عمقاً واتساعاً، وأدرك ما للنصوص التراثية من أهمية عظمى في الدراسات الأدبية والتاريخية، والاجتماعية والسياسية، والعلمية والحضارية، في التاريخ العربي الإسلامي والإنساني.

وكان الأستاذ ريجيس بلاشير (١٩٠٠-١٩٧٣م) مشرفاً على أطروحة أستاذنا خليفة للدكتوراه، ومعروف لدى الباحثين في تاريخ الاستشراق، أن بلاشير كان من كبار المستشرقين الفرنسيين الباحثين في التراث العربي، وكتابه في تاريخ الأدب العربي ينتهي عند سنة ١٢٥هـ/٧٤٢م. وكان بلاشير عازماً على إتمامه ليشمل كل الحقب التاريخية للأدب العربي مقتصراً على الشعر والنثر، وكان عمله خلافاً لطريقة المستشرقين التي تُدخل العلومَ والتاريخ، والآدابَ والأديانَ في تاريخ الأدب، ولكن حالت المنية دون إتمام بلاشير لمشروعه الضخم.

وبقي المستشرقون على طريقتهم المعهودة في دراسة الأدب، بحيث يكون شاملاً للأدب وغيره من المعارف والعلوم، وآخر ما صدر لهم في ذلك تاريخ

كمبرج للأدب العربي بأجزائه الخمسة، التي ترجمت في المجلس القومي للترجمة في مصر، قبل سنوات قليلة.

وشُهر بلاشير بترجمته الفرنسية للقرآن الكريم، والتي ما زالت تحتل مكانة مرموقة في تاريخ الدراسات الاستشراقية[١]، ولدى القراء بالفرنسية بخاصة، ولجمهرة المستشرقين بعامة.

وبلاشير من المستشرقين العارفين بمناهج تحقيق النصوص ونشرها وترجمتها، ولذلك فإنه أصدر كتاباً بالاشتراك مع جان سوفاجيه حول هذا الموضوع بعنوان: "قواعد تحقيق المخطوطات وترجمتها"[٢].

ويذكر محمود المقداد مترجم كتاب بلاشير في تحقيق المخطوطات إلى العربية، أنه قد وضع كتابه ليكون مرشداً ودليلاً، يهتدى به المستعربون "من أجل توحيد منهج العمل المتبع، والمصطلح المستعمل فيما بينهم، في تحقيق المخطوطات العربية"[٣].

واللافت للنظر، أن خليفة، وكلَّ من درس على يدي المستشرقين، يدرك مدى عنايتهم وتقديرهم للنصوص التراثية التي تُحقق، وتُنشر على الباحثين من ناحية. كما أن الأثر المنهجي الذي تركه بلاشير في طلابه –الذين كان خليفة واحداً منهم– كان كبيراً من حيث الالتزام بالقواعد المنهجية الصحيحة في إخراج النصوص، وإبرازها للناس من ناحية أخرى.

١– انظر: **بدوي**، عبدالرحمن: **موسوعة المستشرقين**. ط١، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٤: ص٨٢.

٢– انظر: **المقداد**، محمود: **تاريخ الدراسات العربية في فرنسا**. ط١، المجلس الوطني للثقافة (سلسلة عالم المعرفة). الكويت، ١٩٩٢م: ص٢٦٦.

٣– **بلاشير**، ريجيس؛ سوفاجيه، جان: **قواعيد تحقيق المخطوطات العربية وترجمتها**. ترجمة: محمود المقداد. ط١، دار الفكر، دمشق، ١٤٠٩م/١٩٨٨م: ص١٤ (مقدمة المترجم).

ولا يخفى أن بعضاً من المستشرقين في ذلك العهد الاستعماري كانوا من المبشرين، أو المستشارين في وزارات الخارجية، أو المجندين في دوائر الاستخبارات الغربية، التي قدمت لهم دعماً سخياً لما يقومون به من أدوار خطيرة في خدمة الأهداف الاستعمارية، وكان تأثيرُهم على بعض طلابهم سلبياً، فعاد أمثال هؤلاء حربةً مسمومةً في نحر أمتهم، ينفذون المشاريع الاستعمارية، والسياساتِ الغربية، مدافعين عنها ومروجين لها، بل كان منهم من حمل على تاريخ أمته وحضارتها، وأعلامها ورموزها، حملات بشعة مسعورة، تقل عنها مفتريات بعض المستشرقين وأكاذيبهم، وتقصر عنها مناهجهم في الدس والتشويه والكذب على القرآن والسنة، وعلى سيرة نبي الإسلام، وفتوحات المسلمين.

إن كثيراً من الطلاب العرب والمسلمين الذين تخرجوا على أيدي المستشرقين، كانت مواقفهم العلمية، جريئة واضحة لا لبس فيها، يقرعون الحجة بالحجة، ويردون شبهات المستشرقين استناداً إلى الدليل العلمي، واعتماداً على البحث المنهجي المنظم، فلم يتنكروا لتراث أمتهم، بل حافظوا عليه أشدَّ الحفاظ، ورفضوا دعوات التغريب قولاً واحداً، وكان أستاذنا خليفة في طليعة هذا الرعيل الباقي على العهد لتراث أمته، والمحافظ عليه أشدّ المحافظة.

وقرين عبدالكريم خليفة في هذه المواقف المشرفة النابعة من روح الأمة، وعمق حضارتها، هو الأستاذ عبدالكريم غرايبة، الذي قدم رسالته في التاريخ العربي الحديث في جامعة لندن عام ١٩٥٥م، وقد ردّ في رسالته كثيراً من أوهام المستشرقين، وأحكامهم الجائرة، على تاريخ بلاد الشام في العصر

الحديث. وصفوة القول: إن خليفة وغرايبة نبتا في نفس التربة العربية الإسلامية، وحملا نفس الأفكار والتوجهات المستمدة من حضارة أمتهم، وسعيا إلى الأهداف ذاتها، وكان دور الرجلين حاسماً وحازماً، عندما كانا في اللجنة المشكلة لتأسيس الجامعة الأردنية سنة ١٩٦٠-١٩٦١م، وكان في تلك اللجنة من الأعضاء الذين يرون أن إنشاء معهد عالٍ يفي بحاجات الأردن في تلك الفترة. وحدثني خليفة أنه أصرّ هو وغرايبة على تأسيس الجامعة الأردنية، ووجدا النصير على ذلك من بعض أعضاء اللجنة الذين كانوا من البلاد العربية.

عاد خليفةُ بعد حصوله على الدكتوراه إلى بلده الأردن، وعمل مفتشاً أو مشرفاً في مصطلحنا المعاصر، في وزارة التربية والتعليم سنة ١٩٥٦م وحتى سنة ١٩٦٣م، ثم انتقل مدرساً إلى الجامعة الأردنية التي كانت آنذاك حديثة التأسيس، فرأس قسم اللغة العربية، ثم أصبح رئيساً لهذه الجامعة من سنة ١٩٦٨-١٩٧١م، وهي من أشد الفترات صعوبة في تاريخ الجامعة الأردنية، فتحمل مسؤولية عظيمة أثبت فيها رجولة وثباتاً على الحق، وصوناً للجامعة، وحرصاً على طلابها وأساتذتها.

وروى لي أنه أثناء عمله في وزارة التربية والتعليم، وفي سنة ١٩٥٦م، شكلت الحكومة الأردنية لجنة علمية من اثنين هما: عبدالكريم خليفة من وزارة التربية والتعليم، وعبدالكريم غرايبة من دائرة الآثار العامة في الأردن، وكانت مهمةُ هذه اللجنة الإشراف العلمي على نقل مخطوطات قُمران، أو مخطوطات البحر الميت كما يسميها بعض الباحثين، وهي المخطوطات التي اكتشفها أحد أفراد قبيلة التعامرة من بدو فلسطين، في أحد الكهوف الواقعة غربي البحر الميت، إلى مكان آمن في عمان.

وما هو جدير بالذكر، أن مخطوطات قمران كانت محفوظة في متحف فلسطين للآثار، أو متحف روكفلر منذ سنة ١٩٣٨م، وفي أيام العدوان الثلاثي (إسرائيل، بريطانيا، فرنسا) على مصر سنة ١٩٥٦م، نُقلت هذه المخطوطات إلى قبو البنك العثماني بعمان خوفاً عليها من الاعتداء اليهودي، ولكن جهات خفية حاولت سرقتها وترحيلها من عمان لتستقر في دول الغرب، ووصلت إخبارية للأمن الأردني عن محاولة سرقة هذه المخطوطات، وتهريبها إلى خارج البلاد.[١]

وذهبت اللجنة المؤلفة من خليفة وغرايبة برفقة مجموعة كبيرة من رجال الأمن، ووجدت هذه المخطوطات في قبو البنك العثماني في عمان، وقد جُهزت وحزمت لإرسالها في البريد إلى خارج الوطن. ثم نُقلت هذه المخطوطات بإشراف الأستاذين: خليفة وغرايبة، وكانت هذه المخطوطات الخطيرة مكونة من عشرات الرزم البريدية، ورُحّلت إلى متحف القلعة في العاصمة عمان، حيث أقفل عليها في مكان حريز من المتحف.

ولكن بعد ذلك بسنة أو أكثر، تغيرت الظروف السياسية في البلاد، وكثر المطالبون بإرجاعها إلى القدس، فأمرت الحكومة بإعادة هذه المخطوطات إلى متحف القدس، وحفظت هناك إلى أن جاءت حرب سنة ١٩٦٧م، فاحتل يهود القدس، وأغاروا على هذه المخطوطات، ونهبوها من مكانها بقوة السلاح، وحولوها إلى دور مخطوطاتهم، وكانت الخسارةُ عظيمةً بذلك، وفُقدت هذه المخطوطات المهمة، التي قامت عليها دراسات لاهوتية، وتاريخية، وآثارية

١- انظر: **بيجنت**، مايكل؛ **لي**، ريتشارد: **خديعة مخطوطات البحر الميت**. ترجمة: وسيم عبده. ط١، صفحات للدراسات والنشر، ٢٠١٠م: ص٤٧.

كثيرة جداً. ونَهبُ الصهاينة لهذه المخطوطات، واحدة من عشرات الحالات، التي نهبوا فيها خزائن المخطوطات الموقوفة في الجوامع والمدارس التاريخية، والخزائن الخاصة بفلسطين.

وقد أفادت دراسة حديثة للمستشرقين: مايكل بيجنت، وريتشارد لي عن مخطوطات البحر الميت، أن السفاح الصهيوني زعيم القتل والإجرام، أرييل شارون كان قد اقترح على موشيه ديان خطة للإغارة على المتحف الفلسطيني للآثار، أو متحف روكفلر في القدس، من خلال أنفاق الصرف الصحي، لسرقة تلك المخطوطات التي لا تقدر بثمن، وكانت ضمن ملكية الدولة الأردنية، إلا أن تلك الخطة الإجرامية الخسيسة لم تنفذ، وفي حرب ١٩٦٧م المشؤومة، أغار يهود على المتحف، وجردوه من مخطوطات قمران التي عدوها من غنائم الحرب التي غنموها من العرب[١].

وأستاذنا خليفة عندما يذكر تلك الحادثة يتألّم، ويقول: كيف تركنا مخطوطاتِنا في مكان قريب من العدو الذي كان على بعد مئات الأمتار منها، والذي يمكن أن يصلَ إليها حرباً أو سرقة أو تهريباً؟!

وهو عندما يتذكرُ تلك الكارثة العلمية، فإنه عادة ما يربط ذلك بضياع الكم الهائل من المخطوطات العربية التي دمرها الفرنج في القدس، ومدن الشام، والتتار في بغداد، ومشرق العالم الإسلامي، والمخطوطات التي أحرقتها محاكم التفتيش الباغية في ميدان غرناطة في الأندلس، ويذكر ما فعله

١- انظر: **بيجنت، المرجع السابق:** ص٤٩-٥٠.

المستعمرون الغربيون: الإسبان، والبرتغاليون، والإنجليز، والفرنسيون، والطليان، من نهب وسلب، وإحراق وإغراق لآلاف من المخطوطات العربية والإسلامية، أثناء حملاتهم وحروبهم الاستعمارية الغاشمة، التي تشن منذ خمسة قرون على الأرض العربية وحتى الآن.

وآخر أعمالهم الإجرامية ما فعله الغزاة الجدد في دار الكتب الوطنية ببغداد الرشيد، وغيرها من المدن العراقية من قصف متعمد، وتدمير وسرقة، ونهب وسلب لكثير من الوثائق والمخطوطات العربية التي هي الذاكرة الحضارية الباقية للأمة، وما بالعهد من أمم، ولا ننسى تلك الذكرى المحزنة، يوم ٢٠٠٣/٤/١٤م عندما قصفت عمداً وحقداً أكبر خزائن المخطوطات في بغداد، وهي دار الكتب الوطنية، فأدى ذلك إلى أن أصبحت جُلّ كنوزها طعمة للنيران.

إن المنجز العلمي لأستاذنا خليفة في ميدان تحقيق التراث العربي، ونشره قد تجلى في المحاور الآتية التي نعرضها بإيجاز:

أولاً- المعاجم العربية:

وقد أنجز في هذا الموضوع تحقيق "الإبانة في اللغة العربية" بالاشتراك مع مجموعة من المحققين[1]، ومؤلف هذا المعجم سلمة بن مسلم العوتبي الصحاري، من أهل القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، والمعجم مطبوع في أربعة مجلدات ضخمة، وقد بني على أساس القضايا اللغوية التي

١- انظر: **العوتبي الصُحاري**، سلمة بن مسلم (ت ق ٥هـ/١١م): **الإبانة في علم اللغة العربية**. تحقيق عبدالكريم خليفة وآخرون، مؤسسة عُمان للصحافة، مسقط، ط١، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

أفردها العوتبي في فصول متتابعة، ولا يخلو هذا المعجم من الأصالة في كثير من موضوعاته[١].

ومعجم العوتبي الصّحَاري مَنْجمٌ للأمثال والأشعار، والأراجيز والأخبار، ويمتاز هذا المعجم بأن كل واحدٍ من مجلداته قد تمت فهرسته منفرداً، حيث جاءت هذه الفهارس شاملة للأعلام والشعراء، والأبيات والأراجيز والأخبار، وأشطار الأبيات إلى غير ذلك من الفهارس الكاشفة.

ثانياً- الرسائل الأدبية:

حقق خليفة رسائل أبي العلاء المعري المتوفى سنة (٤٤٩هـ/١٠٥٧م)، ونشرت هذه الرسائل في ثلاثة أجزاء، وكانت ضمن منشورات اللجنة الأردنية للتعريب والترجمة والنشر في عمان سنة ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م.

وهذه النشرة هي أوفى النشرات لرسائل أبي العلاء المعري، وأكملُها حتى الآن، وقد أشار أستاذنا خليفة إلى نشرة المستشرق مرجليوث التي طبعت في مدينة أكسفورد سنة ١٨٩٨م، وإلى ما صدر منها عن المطبعة الأدبية ببيروت سنة ١٨٩٤م[٢].

وتمتاز نشرة خليفة لرسائل أبي العلاء بالضبط التام لهذه الرسائل، والشرح الوافي لغريبها، معتمداً في ذلك على لغة أبي العلاء نفسِها من خلال

١- انظر: **الدرويي**، سمير: "**المعرب والدخيل في المعاجم العربية القديمة بين دلالته المعجمية واستعمالاته اللغوية: لفظه "الفهرست" أنموذجاً**". بحث نشر في: مقاربات في اللغة والأدب، عدد ٤، قسم اللغة العربية، جامعة الملك سعود، الرياض: ١٤٣١هـ/٢٠١٠م: ص٢٤-٢٥.

٢- انظر: **المعري**، أحمد بن عبدالله (ت٤٤٩هـ/١٠٧٥م): **رسائل أبي العلاء المعري**. تحقيق وشرح: عبدالكريم خليفة، ط١، اللجنة الأردنية للتعريب والترجمة، عمان، ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م: ج١، ص(ك-ل) مقدمة خليفة.

ما وصل إلينا من أشعاره وآثاره، وهو بلا شك منهج جديد وقويم في شرح النصوص المحققة، اعتماداً على لغة مؤلفيها.

يقول في مقدمة تحقيقه لرسائل المعري: "وقد حاولنا استقصاء رواية النص من خلال المصادر التي ذكرته، أما في مجال الشرح اللغوي، فكنا نثبت معنى اللفظة الواردة في لسان العرب، باعتباره مصدراً أساسياً. وقد قمنا بتجربة من حيث محاولة استقصاء استعمالات هذه اللفظة عند أبي العلاء ذاته، بإيراد الشواهد من نثره وشعره. وقد حاولنا الاعتماد بصورة رئيسية على "اللزوميات" و"سقط الزند" و"رسالة الغفران" إلى جانب رسائله القصار"[١].

ثالثاً- النحو:

فقد حقق أستاذنا خليفة كتاب "الواضح" لأبي بكر الزبيدي الإشبيلي المتوفى سنة (٣٧٩هـ/٩٨٩م)، وهو أولُ من نشر هذا الأثر النحوي النفيس، و"الواضح" كتاب في الصرف والنحو واللغة، كما أن هذا الكتاب مفيدٌ لتعليم المبتدئين والطلاب في النحو، ويشكل بذلك نصاً قريباً وسهلاً يمكن من خلاله تقريبُ قواعدِ النحوِ، واللغةِ والخطِ للطلاب. وقد أشار العلامةُ أحمدُ عبدالغفور عطار محقق كتاب "الصحاح" لإسماعيل بن حماد الجوهري إلى قيمة هذا العمل[٢].

١- **المعري، المصدر السابق:** ج١، ص(م) مقدمة المحقق.

٢- انظر: **الزبيدي**، أبو بكر الإشبيلي (ت٣٧٩هـ/٩٨٩م): **الواضح**. تحقيق: عبدالكريم خليفة، ط٢، مركز الرواد، عمان ٢٠١١م: ص٤-٥.

رابعاً- غريب السيرة النبوية الشريفة:

وحقق أستاذنا عبدالكريم خليفة كتاب "الإملاء المختصر في شرح غريب السير" لأبي ذر مصعب بن أبي بكر محمد بن مسعود الخشني المتوفى في مدينة فاس سنة (٦٠٤هـ/١٢٠٧م)، وصدر هذا الكتاب في ثلاثة أجزاء عن دار البشير في عمان في سنة ١٤١٢هـ/١٩٩١م.

إن الناظر في جهود خليفة في ميدان تحقيق التراث يمكنه أن يستشفَ **أبرز الخطوط المنهجية التي يتبعها في تحقيقه للتراث العربي**، والتي نرى أنها تتجلى في الآتي:

أ- المقدمات الوافية المستوعبة:

فقد كتب المحقق مقدمة ضافية تتبع فيها حياة المؤلف الإمام أبي ذر الخشني في المدن الأندلسية، ثم رحلتيه إلى فاس حيث وافته المنية، وتناول المكانة العلمية التي نالها الخشني في الأندلس وفاس، حيث كان أحد أئمة العربية العالمين باللغة والنحو، ونقد الشعر، وأيام العرب وأشعارها، كما أنه كان فقيهاً كبيراً، ومحدثاً بارعاً. وأشار إلى تصدره لتدريس كتاب سيبويه في الأندلس.

ب- الدراسةُ الدقيقة للنسخ الخطية:

إذ اعتمد في تحقيقه لنص كتاب الخشني على مخطوطة خزانة القرويين بفاس، ورقمها (ح ل ٢٨٧/٤٠)، ومخطوطة الإسكوريال ذات الرقم (571 Cas)، ومخطوطة دار الكتب الظاهرية بدمشق ورقمها (٨ سير)، ومخطوطة المكتبة السليمانية باستانبول.

والملاحظ أن خليفة قد وصف هذه النسخ وصفاً دقيقاً من حيث شكلها المادي المتمثل في: عدد أوراقها، وبدايتها ونهايتها، وسماعاتها، وتملكاتها، وأختامها، ووقفياتها، وتاريخ نسخها، وسقطها، وزياداتها.

وفوق ذلك، فإنه قد حدد القيمة العلمية لكل واحدة منها من حيث الضبط والإتقان، وقلة السقط، والقدم، والعلاقات بين النسخ، ليخلص من ذلك إلى أن نسخة فاس هي أجودُها، وبذلك تكون هذه النسخة أُمَّاً أو أصلاً لتحقيق نص الخُشني[١].

ج- الإشارة إلى النشرات العلمية السابقة، وبيان ما لها من قيمة في تحقيق النص:

فقد كانت هذه الإشارة العلمية اعترافاً بجهود من تقدمه من الباحثين، وبياناً لما يمكن إضافتُه إلى أعمالهم، فقد أشار عبدالكريم خليفة إلى أن المستشرق الألماني بولس برونله (Paul Bronnle)، هو أول من نشر كتاب الخشني في مجلدين مع مقدمة باللغة الإنجليزية سنة ١٩١٠م[٢].

وقد أثنى على عمل هذا المستشرق، وعلى جهده العلمي في نشر نص الخشني، علماً بأن بعض الباحثين العرب يأخذون جهود المستشرقين في تحقيق النصوص التراثية، ويتناسون حتى الإشارة إليهم[٣].

١- انظر: **الخشني**، أبو ذر مصعب بن أبي بكر (ت٦٠٤هـ/١٢٠٧م): **الإملاء المختصر في شرح غريب السير**. تحقيق ودراسة: عبدالكريم خليفة، ط١، دار البشير، عمان، ١٤١٢هـ/١٩٩١م: ج١، ص٤٣-٥٩ (مقدمة خليفة).

٢- انظر: **الخشني، المصدر السابق**: ج١، ص٤١ (مقدمة خليفة).

٣- انظر: **الدروبي، سمير**: "**من جهود المستشرقين في دراسة الأدب الإداري عند العرب ونشره**". مقال في مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، السنة العشرون، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م، العدد (٥٠)، ص٦٣-٩٧.

وقد بَيّن خليفة أن ما حمله على إعادة تحقيق الكتاب، هو حصوله على مخطوطتي فاس والظاهرية، ولما وجده في عمل المستشرق من إبهام في بعض العبارات، وكثرة في الأخطاء، والتصحيفات، والتحريفات، على الرغم من جهده الكبير في نشر النص.

وأشار خليفة إلى أنه بينما كان يُعد لنشر الكتاب، وجد أن كتاب "السيرة النبوية مع شرح أبي ذر الخشني" قد نشر بتحقيق همام سعيد، ومحمد بن عبدالله أبو صعيليك في عمان سنة ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م، على هامش السيرة النبوية لابن هشام، اعتماداً على نشرة المستشرق برونله، وعلى مخطوط الظاهرية بدمشق.

ولكن عمل الباحثينِ لم يحل دون مواصلة خليفة نشر كتاب الخشني؛ لأن عمله وجهده العلمي في هذا الكتاب تجاوز كلَّ من تقدمه من الباحثين من جانب، ويختلف عنه في الوسائل والغايات من جانب آخر، يقول خليفة: "فالأهداف مختلفة، والوسائل متباينة"[١].

د- تحديد منهجيته العلمية في النصوص التي يحققها:

حيث أوضح لنا أهم الخطوط المنهجية التي سار عليها في تحقيق كتاب الخُشني، وبيّن أنه قد اعتمد نسخة فاس أصلاً، وقابل عليها النسخ الأخرى، مثبتاً فروق القراءات بين النسخ في الحواشي، ومتجاوزاً عن الأخطاء النحوية والإملائية، ومحققاً أسماء الأعلام والقبائل، والمواقع من مصادرها الأصلية، ومضيفاً الأشعار والقصائد التي شرح الخشني غريبها تكميلاً للفائدة.

١- **الخشني، الإملاء المختصر في شرح غريب السير**: ج١، ص٤٣ (مقدمة خليفة).

واعتمد في تحقيقه لكتاب "الواضح" في النحو للزبيدي على مخطوطي جامعة غرناطة، والجامع الكبير في صنعاء، ولكنه لم يتخذ واحدة من النسختين أماً أو أصلاً لتحقيق الكتاب، بل جمع بينهما، وعدهما أصلاً واحداً، يقول: "ونحن نعتقد أن هاتين النسختين أساسيتان، لا يمكن أن يستغني الباحث بإحداهما عن الأخرى. فهما أصل تاريخي متكامل لكتاب "الواضح". ومن هنا كان علينا أن نقابل بينهما، مقابلة دقيقة. وكان هدفنا في هذا العمل، يتجه بكليته إلى إخراج هذا الكتاب، كما وضعه مؤلفه الزبيدي، وكما شاء له أن يكون، فقصدنا إلى ضبط النص، وشكله شكلاً تاماً، كما أثبته المخطوطان الأصليان، مع تصحيح بعض الهفوات النادرة التي كانت نتيجة السهو أو التصحيف. وحرصنا على تخليص النص من شوائب السقط والاضطراب. فقمنا بمقابلة دقيقة بين نص نسخة غرناطة من جهة، ونص نسخة صنعاء من جهة أخرى، فأثبتنا ما سقط من إحداهما في موضعه، وأشرنا إلى ذلك في الحاشية، وحذفنا التكرار وأشرنا إليه"[١].

هـ- حسن إخراج العمل:

وتجلى ذلك بضبط خليفة لما حققه من نصوص ضبطاً تاماً بالحركات، بحيث لا تُشكل كلمةٌ على قارئ للنص، ثم إلحاق الفهارس الفنية الكاشفة لأعلام النص وأشعاره، وغريبه وكل ما يمكن أن ييسرَ على الباحث الإفادةَ من هذه الكتب المحققة، وهي ظاهرة عامة في كل ما أنجزه خليفة من كتب التراث.

١- **الزبيدي، الواضح:** ص٣١ (مقدمة خليفة).

و- تحديد دوافعه للأعمال التي يقوم بتحقيقها:

ففي عمله "الإملاء المختصر في شرح غريب السير" رجا خليفة أن يتقبله صاحبُ السيرةِ العطرةِ محمدٌ عليه السلام بالقبول الحسن، إضافة إلى القيمة العلمية التي يقدمها هذا الكتاب الذي يَعُدُّه خليفة "إضافة جديدة في علم وضع المعجمات، وكذلك فيما يتعلق بالبحث في المترادف والمشترك من الألفاظ، وربما تكمن قيمتُه في شرحه للألفاظ من خلال السياق، وتركيزه على النظرة النقدية للنص، وذلك من خلال إيراده عدداً من القراءات وشروحها[١].

وقد حدد دوافعه لتحقيق كتاب "الواضح" في النحو للزبيدي، وهو الكتاب الذي نوه ابن حزم الأندلسي بقيمته في تعليم العربية، وقد تجلت أهداف خليفة في الآتي:

١- إزالة اللبس حول ما اكتنف المخطوط الأندلسي الأم من وهم، واستنتاجات خاطئة.

٢- إن "الواضح" كتاب تعليمي في النحو "يقوم على النظرة العلمية التي تربط قواعد اللغة بالحياة، وما تؤديه من معان، وبالتالي تأكيد هذه الفلسفة التي ترى في اللغة والنحو وحدة لا يمكن تجزئتها"[٢].

٣- إن الزبيدي قد استطاع أن يؤسس مدرسة نحوية في الأندلس، إلى جانب المدارس النحوية في البصرة والكوفة وبغداد[٣].

وخلاصة القول، فإن عبدالكريم خليفة هو واحد من كبار المحققين في بلدنا الأردن، بل هو رائدهم الأول، ومن الذين بعثوا الروائع والكنوز الخطية من تراث أمتهم، معتقدين أن تحقيقَ تراثها من أهم عوامل

١- **الخشني، المصدر السابق:** ج١، ص٤٠ (مقدمة خليفة).

٢- **الزبيدي، المصدر السابق:** ص٣١ (مقدمة خليفة).

٣- **المصدر السابق:** ص٣١ (مقدمة خليفة).

نهضتها، لما لهذا التراث من قيمة علمية وإنسانية، وحضـــارية وأدبيـــة، ولغوية ودينية.

وعندما أسس مجمع اللغة العربية الأردني سنة ١٩٧٦م، وترأسه خليفـــة حتى ٢٠١٥م أي قرابة أربعة عقود دون انقطاع، واتخذ من تعريب مقررات التدريس الجامعي في كليات العلوم هدفاً استراتيجياً للمجمع، وحقق المجمـــع انتصارات علمية كبيرة في هذا الشأن الجليل، إلا أنه لم ينس تحقيق تـــراث الأمة، ففتح صفحات مجلة المجمع للمحققين من كل أرجاء العالم، ونشـــرت عشرات النصوص المحققة، والمراجعات النقدية لكتب التراث المحققة[١].

وقد أدرك خليفة أهمية ما تبقى من التراث العربي المخطوط فـــي أرض فلسطين، التي تعرضت لأبشع استيطان استعماري معاصر قام بسفك دمـــاء أهلها، وتشريدهم في كل أرجاء العالم، ودمر مساجدهم التاريخيـــة، ومعـــالم حضارتهم الماثلة منذ أيام الكنعانيين، واســـتولى علـــى أرضـــهم ودورهـــم، وخزائن كتبهم، ونهب كثيراً من كنوزها. فقـــام المجمـــع بتكليـــف بَـــاحِثينِ متمرسين في فهرسة المخطوطات هما: محمود علي عطا، ومـــؤرخ القـــدس كامل العسلي، فأعدا مجموعة من الفهارس لما تبقى في خزائن الكتـــب فـــي فلسطين من مخطوطات، ومنها: فهرس مخطوطات المكتبة الأحمدية في عكا، وفهرس مخطوطات مكتبة الحرم الإبراهيمي في الخليل وغيرها، وقام المجمع بنشر هذه الفهارس[٢].

١- انظر: **العناسوة**، محمد علي: **كشاف مجلة مجمع اللغة الأردني (الأعداد ١-٧٠)**، ط١، مجمع اللغة العربية الأردني، ٢٠٠٧م.

٢- انظر **الدروبي**، سمير: "**مجمع اللغة العربية وتحقيق التراث**". بحث نشر في مجلة مجمع اللغة العربية الأردني (عدد خاص) في الذكرى الأربعين لتأسيس المجمـــع، ١٤٤٧هـــ/٢٠١٦م: ص١٤٣-١٤٦.

وخليفة هو الذي تبنى مشروع تحقيق كتاب "**الفلاحة الأندلسية**" **لابن العوام الأندلسي** (ت٥٨٠/١١٨٤م)، وكلف ثلاثة من الباحثين في جامعة مؤتة هم: سمير الدروبي، وأنور أبو سويلم، وعلي محاسنة، بتحقيق هذه الموسوعة التي تُعد أهم كتاب أنجزه المسلمون في علم الفلاحة، وأصدره المجمع في سبعة أسفار عام ٢٠١٢-٢٠١٣م، فقال حسين الشافعي رئيس اتحاد المجامع العربية، ورئيس مجمع اللغة العربية في القاهرة: إن مجمع اللغة العربية الأردني سبق المجامع العربية في هذا العام بإصداره لكتاب "الفلاحة الأندلسية"[١].

وقد وجه خليفة رسالة تعبر عن موقفه الفكري من تحقيق التراث بتاريخ ١٤٣٣/٤/١٨هـ إلى سمير الدروبي، ورسالتين مماثلتين لأنور أبو سويلم وعلي محاسنة، قال فيها بعد التسمية: "فيسرني أن أبعث إليكم باسمي واسم زملائي أعضاء المكتب التنفيذي، بخالص الشكر، ووافر التقدير والاحترام، على الجهود العلمية ذات المستوى الرفيع التي بذلتموها في تحقيق كتاب "الفلاحة الأندلسية" لابن العوام، ذلك الكتاب الذي يمثل معلمة فلاحية في تاريخ حضارتنا العربية الإسلامية، والذي نال أهمية علمية كبيرة لدى عدد من العلماء الأجانب، فحرصوا على ترجمته إلى الإسبانية والفرنسية منذ القرن التاسع عشر، كما أنه تُرجم إلى لغات عدة، وإن تحقيقه ونشره على هذه الصورة العلمية باللغة العربية دلالة واضحة على جهودكم الطيبة، وسعة اطلاعكم على الأدب الفلاحي في حضارتنا العربية الإسلامية من ناحية،

١- انظر: **الدروبي، المرجع السابق:** ص١١٥-١٦٧.

وإتاحة الفرصة للعلماء والباحثين لدراسته، والإفادة منه في مختلف مجالات العلم الفلاحي من ناحية ثانية.

وإن مجمع اللغة العربية الأردني، وهو يحرص على تحقيق التراث العربي ونشره، ليتمنى لكم موفور الصحة والعافية، ودوام التوفيق والنجاح، والعطاء الخير الموصول في خدمة لغتنا العربية، لغة القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، والتراث الإسلامي المجيد..."[١].

وبقي خليفة حاملاً لراية تحقيق تراث الأمة، وداعياً إلى ضرورة الاشتغال به، لأهميته في خدمة اللغة العربية على الرغم من كثرة المثبطين. وقد سبق لكاتب هذه السطور أن قال –قبل عقد من الزمان– في مقدمة تحقيقه لكتاب ابن فضل الله العمري "عرف التعريف في المكاتبات": "ومما يؤسف عليه، ويدعو للأسى والحزن، أن الاهتمام بتحقيق تراثنا قد خبت ناره في هذه الأيام، وقل في ميدانه الباحثون الجادون، وكثر الأدعياء والمتطفلون والمرتزقون، وشاعت الأوهام والأباطيل من بعض المنفرين، وقلّ الاهتمام في الأوساط الأكاديمية العربية بهذا الفن، نتيجة لتخرصات بعض أدعياء التحقيق والعلم، الذين نفروا وصرفوا كثيراً من ناشئة الباحثين عن تراث أمتهم، وأغروهم بما لا قيمة له، ولا عائدة منه على أدبنا ومكتبتنا العربية"[٢].

١– **الدروبي، مجمع اللغة العربية وتحقيق التراث:** ص١٦٢–١٦٣، وانظر: **ابن العوام،** أبو زكريا يحيى بن محمد (ت٥٨٠هـ/١١٨٤م): **الفلاحة الأندلسية**. تحقيق: أنور أبو سويلم، سمير الدروبي، علي محاسنة، ط١، منشورات مجمع اللغة العربية الأردني، ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م: ج١، ص: أ– ز (مقدمة خليفة للكتاب).

٢– **العمري،** أحمد بن يحيى بن فضل الله (ت٧٤٩هـ/١٣٤٨م): **عرف التعريف في المكاتبات.** دراسة وتحقيق سمير الدروبي، ط١ دار ابن الجوزي، وزارة الثقافة، عمان الأردن، ١٤٢٩–٢٠٠٨م: ص٩٨ (مقدمة المحقق).

وأستاذنا خليفة –رحمه الله– كان لديه يقين تام، بأن وسيلتنا للنهضة الحقيقة تتجلى في أمرين: **الأول: إحياء التراث العربي الإسلامي، والثاني: تعريب العلوم الحديثة**، وتدريسها لأبنائنا في الجامعات والمعاهد والمدارس، حفاظاً على هذه اللغة من التراجع والاضمحلال، وأسوة بغيرها من الأمم الحية التي لا ترضى بديلاً عن لغاتها، وأمتنا ليست بدعاً بين الأمم، ولذا فإن حرصها على لغتها لا يقل عن حرصها على تراثها، وحرصها على دينها وقرآنها الذي جعله الله حافظاً لهذه اللغة، ومانعاً لها من التغيير أو الزوال، ومن الموت أو الاضمحلال، الذي هو سنة تعتري لغات البشر، ومصير حتمي يتربص بكل ألسنتها، سوى لغة القرآن المحروسة بإرادة الرحمن، والمرصودة بالعلم والإيمان، وبجهود أبنائها ومحبيها في كل زمان ومكان، على الرغم من الحروب اللغوية التي يدبرها الأعداء، الذين يجدون صدى، ويلقون استجابة وقبولاً لدعواتهم ومكائدهم، في نفوس في بعض أبنائها ممن عميت قلوبهم، وعشيت عيونهم، وزاغت أبصارهم عن رؤية نور الحق، والله متم نوره، وحافظ لكتابه.

وفي الختام لا بد من الإشارة إلى أن كاتب هذه السطور قد قطع شوطاً بعيداً في إعداد كتاب موسع عن المرحوم وهو بعنوان (عبدالكريم خليفة مؤسس مجمع اللغة العربية وداعية تعريب التعليم الجامعي ورائد تحقيق التراث العربي الإسلامي في الأردن)، ونأمل من الله أن يكون هذا العمل بين أيدي الباحثين في القريب العاجل.

فهرست المصادر والمراجع

١- **بدوي**، عبدالرحمن:

- **موسوعة المستشرقين**. ط١، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٤م.

٢- **بلاشير**، ريجيس؛ **سوفاجيه**، جان:

- **قواعد تحقيق المخطوطات العربية وترجمتها**. ترجمة: محمود المقداد. ط١، دار الفكر، دمشق، ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م.

٣- **بيجنت**، مايكل؛ **لي**، ريتشارد:

- **خديعة مخطوطات البحر الميت**. ترجمة: وسيم عبده: ط١، صفحات للدراسات والنشر، ٢٠١٠م.

٤- **بيركهارت**، جون لوييس:

- **رحلات في الديار المقدسة والنوبة والحجاز**. ترجمة: فيصل أبو غوش. ط١، وزارة الثقافة، عمان، ٢٠١٥م.

٥- **الجميل**، سيار:

- "**الملك فيصل الأول والتأسيس العلمي الحديث (جامعة آل البيت في العراق ١٩٢٤م-١٩٣٠): تأسيسها... تجربتها... وتداعياتها)**، بحث منشور ضمن كتاب: **بناء الدولة العربية الحديثة**. تحرير: هند غسان أبو الشعر. ط١، وزارة الثقافة، الأردن، ٢٠١٨م.

٦- **الخشني**، أبو ذر مصعب بن أبي بكر (ت٦٠٤هـ/١٢٠٧م):

- **الإملاء المختصر في شرح غريب السير**. تحقيق ودراسة: عبدالكريم خليفة، ط١، دار البشير، عمان، ١٤١٢هـ/١٩٩١م.

٧- **الدروبي**، سمير:

- "**الأستاذ الدكتور عبدالكريم خليفة وتحقيق التراث العربي**"، مقالة منشورة في مجلة أفكار، وزارة الثقافة، الأردن، تشرين أول، ٢٠١١م، العدد (٢٧٣): ص١٤٨-١٥٢.
- "**مجمع اللغة العربية وتحقيق التراث**"، بحث منشور في مجلة مجمع اللغة العربية الأردني (عدد خاص) في الذكرى الأربعين لتأسيس المجمع، ١٤٤٧هـ/٢٠١٦م.
- "**المعرب والدخيل في المعاجم العربية القديمة بين دلالته المعجمية واستعمالاته اللغوية: لفظه "الفهرست" أنموذجاً**"، بحث منشور في: **مقاربات في اللغة والأدب**، عدد ٤، قسم اللغة العربية، جامعة الملك سعود، الرياض: ٤١٣١هـ/٢٠١٠م.
- "**من جهود المستشرقين في دراسة الأدب الإداري عند العرب ونشره**"، مقال منشور في مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، السنة العشرون، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م، العدد (٥٠).

٨- **الزبيدي**، أبو بكر الإشبيلي (ت٣٧٩هـ/٩٨٩م):

- **الواضح**. تحقيق: عبدالكريم خليفة، ط٢، مركز الرواد، عمان ٢٠١١م.

٩- **أبو شامة المقدسي**، شهاب الدين عبدالرحمن بن إسماعيل (ت٦٦٥هـ/١٢٦٦م):

- **المذيل على الروضتين**. تحقيق: إبراهيم الزيبق. ط ١، دار الرسالة العالمية، بيروت، ٢٠١٠م/١٤٣١م.

١٠- **العمري**، أحمد بن يحيى بن فضل الله (ت ٧٤٩هـ/١٣٤٨م):

- **التعريف بالمصطلح الشريف.** دراسة وتحقيق: سمير الدروبي، ط١، منشورات عمادة البحث العلمي، جامعة مؤتة، الأردن، ١٤١٤هـ/١٩٩٢م.
- **عرف التعريف في المكاتبات.** دراسة وتحقيق سمير الدروبي، ط١، دار ابن الجوزي، وزارة الثقافة، عمان الأردن، ١٤٢٩هـ، ٢٠٠٨م.

١١- **العناسوة،** محمد علي:
- **كشاف مجلة مجمع اللغة الأردني (الأعداد ١-٧٠).** ط١، مجمع اللغة العربية الأردني، ٢٠٠٧م.

١٢- **ابن العوام،** أبو زكريا يحيى بن محمد (ت٥٨٠هـ/١١٨٤م):
- **الفلاحة الأندلسية.** تحقيق: أنور أبو سويلم، سمير الدروبي، علي محاسنة، ط١، منشورات مجمع اللغة العربية الأردني، ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م.

١٣- **العوتبي الصُحاري،** سلمة بن مسلم (ت ق ٥هـ/١١م):
- **الإبانة في علم اللغة العربية،** تحقيق عبدالكريم خليفة وآخرون. مؤسسة عمان للصحافة، مسقط، ط١، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

١٤- **القلقشندي،** أحمد بن علي (ت٨٢١هـ/١٤١٨م):
- **صبح الأعشى في صناعة الإنشا.** نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية، وزارة الثقافة، القاهرة، بلا تاريخ.

١٥- **ابن كثير،** أبو الفداء إسماعيل (ت٧٧٤هـ/١٣٧٢م):
- **البداية والنهاية.** ط٢، دار المعارف. بيروت، ١٩٧٤م.

١٦- **كرد علي،** محمد، (ت١٩٥٣م):
- **المذكرات.** ط١، أضواء السلف. الرياض، بلا تاريخ.

١٧- **محاسنة**، محمد؛ **الطراونة**، سليمان؛ **الطراونة**، محمد؛ **الكركي**، خليل:
- **مدرسة السلط (سيرة ومسيرة)**. ط١، عمادة البحث العلمي، جامعة مؤتة الأردن، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

١٨- **المعري**، أحمد بن عبدالله (ت٤٤٩هـ/١٠٧٥م):
- **رسائل أبي العلاء المعري**. تحقيق وشرح: عبدالكريم خليفة، ط١، اللجنة الأردنية للتعريب والترجمة، عمان، ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م.

١٩- **المقداد**، محمود:
- **تاريخ الدراسات العربية في فرنسا**. ط١، المجلس الوطني للثقافة (سلسلة عالم المعرفة). الكويت، ١٩٩٢م.

٢٠- **النعيمي**، عبدالقادر (ت٩٢٧هـ/١٠٢٠م).
- **الدارس في تاريخ المدارس**. تحقيق: جعفر الحسيني، ط١، المجمع العلمي العربي، دمشق، ١٩٤٨م.

الدكتور عبدالكريم خليفة
ومجمع اللغة العربية الأردني
سيرة ومسيرة

الأستاذة الدكتورة فاطمة العليمات
الجامعة الأردنية

الخميس ٢٥ ربيع الآخر ١٤٤٢هـ - ١٠ كانون الأول ٢٠٢٠م

ملخص

يتناول البحث جانبًا من حياة الدكتور عبدالكريم خليفة –رحمه الله– ومسيرته المجمعية إبان رئاسته لمجمع اللغة العربية الأردني، وأبرز إنجازات المجمع في تلك الحقبة الزمنية التي امتدت قرابة أربعة عقود.

وبيّن البحث أن مجمع اللغة العربية الأردني قد شارك أشقاءه من مجامع اللغة العربية الأخرى في كافة ميادين اللغة العربية وقضاياها الرامية إلى النهوض بها ونشرها والحفاظ عليها، وأن المجمع كان له حضوره المميز والفاعل في إحياء التراث العربي والإسلامي في العلوم والفنون والآداب، وتعريب المصطلحات العلمية ونشرها، كما أنّه قد تفرّد في التعبير باللغة العربية عن الفكر العلمي الحديث، والسعي لأن تكون اللغة العربية لغة التعليم الجامعي، بحثًا وتدريسًا، وأنّه كان له السبق في تأليف معجم ألفاظ الحياة العامة في الأردن بوصفه جزءًا من مشروع المعجم العربي الموحد لألفاظ الحياة العامة في الوطن العربي. وأنّ مسيرة المجمع الحافلة بالعطاء والإنجاز مستمرة بإذن الله بجهود القائمين عليه.

مدخل:

الحمدلله القائل في كتابه العزيز: ﴿يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖ﴾[1]، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين القائل فيما يروى عنه: "ليس منّا من لم يجل كبيرنا ويرحم صغيرنا، ويعرف لعالمنا حقه" وبعد،

فإنّ المرء يحار عندما يريد الكتابة عن الأستاذ الدكتور عبدالكريم خليفة –رحمه الله– وعن مجمع اللغة العربية الأردني بأيهما يبدأ الحديث، فما أن

---

١. المجادلة: آية (١١).

تذكر المجمع حتى يتبادر إلى ذهنك أستاذنا الدكتور عبدالكريم خليفة والعكس صحيح؛ فهو الغائب الحاضر وهو الأب الروحي للمجمع وكلاهما للآخر كالروح للجسد.

غير أن ما يسكنني من تقدير وإجلال وحب لأستاذنا قد أغراني أن يكون بدء الحديث ومستهله عنه رحمه الله، فهو سنديانة المجمع وروحه على مدار ثلاثة عقود ونيف.

وقد كان من اليُمن لي أن التقيته أول مرة وجالسته إبان إعداد أطروحة الدكتوراة عام (٢٠٠٦)، التي أعتز أنها تناولت إنجازات مجمع اللغة العربية الأردني اللغوية.

والحقيقة أنّ اللغة تنحني تواضعًا وخجلاً عند وصفه والحديث عنه؛ فعندما تجلس مع الأستاذ الدكتور خليفة فإنك تجلس في حضرة اللغة وجمالها، والعلم وآفاقه، والعلماء وتواضعهم، والوقار وهيبته، وسعة الأفق وعمقه، ورجاحة العقل واتزانه، وزهد الدنيا ومغرياتها، وحسبك منه إذا جالسته أن يثير فيك ملكة الاعتزاز باللغة العربية فتطاول بها العالم.

ولقد ارتأيت أن أوزع الحديث عنهما في قسمين، هما:

الأول: حياة عبدالكريم خليفة وجهوده في اللغة، وتناولت فيه سيرته الذاتية ومسيرته العلمية والأكاديمية وإنتاجه العلمي.

الثاني: مجمع اللغة العربية الأردني وإنجازاته.

القسم الأول:

حياة عبدالكريم خليفة وجهوده في اللغة

إنّ عبدالكريم خليفة قامة علمية وهرم في ميدان اللغة، ولا سيما في مجال تحقيق التراث، ويشهد له زملاؤه ومعاصروه وكل من عرفه بالوقار والرزانة، والأناة وطيب السريرة، وحب الخير للآخرين، والأمانة والدقة وسعة الاطلاع، وحبه للعربية وحرصه عليها والدعوة إلى التمسك بها، فهو مدرسة في كل شيء وهو ذو منظومة قيميّة عالية، وقد عاش كبيرًا ومات كبيرًا وسيبقى في ذاكرتنا كبيرًا.

وأرجو من الله أن يكون في هذا البحث أداء لبعض حقه وتقدير لمسيرته العلمية والعملية الحافلة بالعطاء والإنجاز.

ولد عبدالكريم خليفة سنة ١٩٢٤ في مدينة السلط، وتوفي رحمه الله سنة ٢٠٢٠م وقد تخرّج من مدرستها الثانوية سنة ١٩٤١م. ثم التحق بدار المعلمين العالية في بغداد، وهي أهم المراكز العلمية في الوطن العربي آنذاك، وحصل فيها على درجة الليسانس فى اللغة العربية وآدابها بمرتبة الشرف الأولى سنة ١٩٤٦م. "وكانت دار المعلمين العالية ببغداد من أهم المراكز العلمية فى الوطن العربى آنذاك، وتتلمذ فيها على المرحوم عبدالعزيز الدوري فى مادة منهج البحث العلمى وتحقيق النصوص، وكان لذلك أكبر الأثر في تأسيسه العلمي، وتكوينه المعرفي، وربطه بالتراث العربي العظيم فى هذه المرحلة، كما درس على الأستاذ المرحوم طه الراوي الذي ترك فى نفسه أثراً محموداً فى العناية بالتراث العربي، وما له من قيمة علمية كبيرة في تاريخ الإنسانية".[١]

---

١. الدروبي، سمير، الأستاذ الدكتور عبدالكريم خليفة وتحقيق التراث العربي، ٢٠١١، مجلة أفكار، ع٢٧٣، ص١٤٨.

وفي عام ١٩٥٤ حصل على درجة الدكتوراة في الآداب من جامعة باريس (السوربون) بدرجة مشرف جدًا. وإن دراسته هذه قد أتاحت له المجال للتواصل مع مصادر التراث ممّا عمّق معرفته له وإدراكه لأهميته فكان سيفًا مشهرًا في وجه كل من يتنكّر للعربية أو يدعو لتغريبها بحجة أنها عاجزة عن مواكبة الحضارة.

وإنّ ما أنجزه مجمع اللغة العربية الأردني وما أنجزه هو شخصيًا خير دليل على اعتزازه بالعربية، وثقته بأنها قادرة على الإيفاء بالتعبير عن كافة مجالات الحياة.

وفي عامي ١٩٤٢-١٩٤٣ عمل معلمًا في مدرسة الطفيلة، ثم عمل مدرسًا لمادة اللغة العربية وآدابها في حلب سنة ١٩٤٦، ومدرسًا لأصول التدريس العامة والخاصة لمادة اللغة العربية في دار المعلمات في حلب من سنة ١٩٤٧-١٩٥٠، ثم عمل في دار المعلمين في المدينة ذاتها من عام ١٩٥٠-١٩٥١.

وفي عام ١٩٥٦ عينته وزارة التربية والتعليم الأردنية مفتشًا لمادة اللغة العربية.

وبعد ذلك التحق بالجامعة الأردنية حيث عُيّن برتبة أستاذ مساعد (مشارك) عام ١٩٦٣، ووكيل كلية الآداب سنة ١٩٦٤، وقد رُقّي بعد ذلك إلى رتبة أستاذ في قسم اللغة العربية وآدابها في كلية الآداب في الجامعة الأردنية سنة ١٩٦٦.

ثم عين رئيس قسم اللغة العربية وآدابها سنة ١٩٦٤-١٩٦٨، وفي عام ١٩٦٨ إلى ١٩٧١ شغل رئيسًا للجامعة الأردنية ثم عاد رئيسًا لقسم اللغة

العربية وآدابها سنة ١٩٧١ إلى ١٩٨١، وهذا إن دل على شيء فإنّما يدل على تواضعه رحمه الله.

وفي عام ١٩٧٦ شغل منصب رئيس مجمع اللغة العربية الأردني (غير متفرغ) ابتداءً من تأسيس المجمع إلى سنة ١٩٩٤، ثم أصبح رئيسًا متفرغًا له بتاريخ ١٩٩٤/٧/١٦. وعمل أستاذ شرف في قسم اللغة العربية وآدابها في الجامعة الأردنية سنة ١٩٩٤. وبقي طيلة عمله في المجمع يؤدي رسالته المجمعية على أكمل وجه وينافح عن العربية ويقف كالطّود في وجه الطوفان المحدق بها مجسّدًا وصف الأستاذ الدكتور خالد الكركي له بصخرة الوادي. كما أنّه قد وقف وراء إقرار قانون حماية اللغة العربية الذي أقر عام ٢٠١٥. وهو قانون يتكون من (١٨) مادة، ويهدف هذا القانون إلى إلزام الوزارات والدوائر الحكومية والمؤسسات الرسمية العامة والمؤسسات العامة والخاصة والبلديات والنقابات والجمعيات والنوادي والأحزاب ومنظمات المجتمع المدني والشركات باستخدام اللغة العربية في المراسلات والقيود والمنشورات والاتفاقيات والكتب والمنشورات الصادرة عنها. كما ركّز هذا القانون على أهمية إعداد المعلمين وتدريبهم والارتقاء بمستواهم الأكاديمي، حيث جاء في المادة العاشرة من القانون ما نصه "لا يعين معلم في التعليم العام أو عضو هيئة تدريس في التعليم العالي أو مذيع أو معد أو محرر في أي مؤسسة إعلامية إلا إذا اجتاز امتحان الكفاية في اللغة العربية"[١].

وكان الدكتور خليفة عضواً في لجان ومؤسسات عدة، نذكر منها:

- لجنة التعريب والترجمة والنشر الأردنية منذ تأسيسها حتى تأسيس مجمع اللغة العربية الأردني سنة ١٩٧٦م.

---

١. انظر موقع مجمع اللغة العربية الأردني على الشابكة، قانون حماية اللغة العربية.

- المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية (مؤسسة آل البيت) منذ إنشائه سنة ١٩٨٠.
- مجلس اتحاد المجامع اللغوية العربية منذ سنة ١٩٧٩م.
- المجمع العلمي العراقي منذ سنة ١٩٧٩م/ عضو مؤازر.
- مجمع اللغة العربية بالقاهرة سنة ١٩٨٥م/ عضو عامل.
- مجمع اللغة العربية بدمشق سنة ١٩٨٦م/ عضو مراسل.
- المجمع العلمي الهندي للغة العربية –اليجرة– الهند سنة ١٩٨٠م.
- في "رابطة الأدب الإسلامي" سنة ١٩٨٧م/ عضو شرف.
- مجلس أمناء الموسوعة العربية (المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم) سنة ١٩٨٧م.
- الهيئة العربية المشتركة للتراث، معهد المخطوطات العربية سنة ١٩٨٣م.
- اللجنة الاستشارية لمكتب تنسيق التعريب بالرباط سنة ١٩٨١م.
- الجمعية الفلسفية العربية سنة ١٩٨٩م/ عضو شرف.
- هيئة تحرير مجلة أبحاث اليرموك، سلسلة الآداب واللغويات، جامعة اليرموك سنة ١٩٨٩م.
- في اتحاد الكتاب الأردنيين سنة ١٩٨٩م/ عضو شرف.
- الأمين العام المساعد لاتحاد المجامع اللغوية العربية سنة ١٩٩٣م.
- مجلس أمناء الجامعة الأردنية سنة ١٩٩٨م.

- هيئة تحرير مجلة الدراسات القرآنية في مركز الدراسات الإسلامية بجامعة لندن سنة ١٩٩٩م.
- اللجنة العليا للمصطلحات الطبية بالمركز العربي للوثائق والمطبوعات الصحية، جامعة الدول العربية – دولة الكويت سنة ١٩٩٨م.
- الهيئة الاستشارية لمجلة "دراسات مصطلحية"، معهد الدراسات المصطلحية، جامعة سيدي محمد بن عبدالله – كلية الآداب والعلوم الإنسانية –فاس– المملكة المغربية، سنة ٢٠٠٠م.
- الهيئة الاستشارية العليا لمجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية– الإمارات العربية المتحدة، سنة ٢٠٠٠م.
- مجلس أمناء المنظمة العربية للترجمة، بيروت – لبنان، سنة ٢٠٠٠م.
- المجلس العلمي لمكتب تنسيق التعريب، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، جامعة الدول العربية، الرباط، سنة ٢٠٠١م.
- مجلس أمناء جامعة آل البيت سنة ٢٠٠١م.
- اللجنة الاستشارية لمجلة "حوليات كليات الآداب"، جمعية كليات الآداب في اتحاد الجامعات العربية سنة ٢٠٠٢م.
- "لجنة المعجم التاريخي للغة العربية" في اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية بتاريخ ٢٠٠٥م.

وكان رحمه الله رئيساً للمجلس العلمي لمكتب تنسيق التعريب، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم. جامعة الدول العربية، الرباط،

(٢٠٠٢- ٢٠٠٣م). ورئيساً لندوة "قضايا اللغة العربية في عصر الحوسبة والعولمة" - اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية، عمان - أيلول (سبتمبر) سنة ٢٠٠٢م.

إضافة إلى مشاركته في الموسوعة الإسلامية التابعة لوقف الشؤون الإسلامية التركي سنة ١٩٨٨م، ومشاركته في جميع مؤتمرات التعريب وفي عدد مهم من المؤتمرات والحلقات العلمية في الوطن العربي.

إنّ الناظر في عضوية الدكتور عبدالكريم خليفة في هذه اللجان ومشاركته في تلك المؤسسات يستطيع أن يفسر طابع شخصيته؛ فهو موسوعي، ومجمعي، ومعجمي، ومحقق، وتربوي، ولغوي، ومحرر، ومحكم، وعروبي، وقومي.

نشاطه العلمي:

يمكن توزيع النشاط العلمي للدكتور عبدالكريم خليفة بصفة عامة إلى ثلاثة مجالات رئيسة، **أولها:** التأليف، **وثانيها:** التحقيق، **وثالثها:** البحوث والمقالات العلمية، ويضاف إلى ذلك حضوره ومشاركاته العلمية في الندوات والمؤتمرات، وإلقاؤه المحاضرات في الأندية الأدبية والثقافية، والمجامع اللغوية والمعاهد والجامعات التعليمية المتخصصة.

أولاً: مؤلفاته: وأوردها بحسب تأريخ صدورها على النحو الآتي:

- التربية وأصول التدريس، نشر بحلب سنة ١٩٤٩م، تناول فيه موضوعات تربوية كثيرة.

– إخوان الصفاء وخلان الوفاء في القرن الرابع الهجري، نشر بحلب سنة ١٩٥٠ م، وقد عرض فيه لنشأة هذه الحركة الفلسفية والاجتماعية.

– ابن حزم – حياته وأدبه، نشر في بيروت سنة ١٩٦٨م، وتناول فيه الحديث عن حياة ابن حزم الأندلسي وأدبه وقد كشف فيه عن الخصائص الفنية له.

– وسائل تطوير اللغة العربية العلمية، من منشورات لجنة التعريب والترجمة والنشر الأردنية سنة ١٩٧٥م.

– تيسير العربية بين القديم والحديث، من منشورات مجمع اللغة العربية الأردني سنة ١٩٨٦ م، ورصد فيه تطوّر التأليف النحوي وانزلاقه إلى غير الغاية التي وجد من أجلها، ويتخذ من محاولات التيسير في القديم والحديث محاولة في إمكانية الإفادة منها لوضع خطة عملية للتيسير الفعلي.

– اللغة العربية والتعريب في العصر الحديث، من منشورات مجمع اللغة العربية الأردني، سنة ١٩٨٧م، وفيه يظهر إحساسه تجاه اللغة العربية وحبه لها.

– اللغة العربية على مدارج القرن الواحد والعشرين، دار الغرب الإسلامي، بيروت سنة ٢٠٠٣م، وهو كتاب يهتم بموضوعات التعريب.

– بحوث في القرآن والحديث واللغة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، وقد ضم جملة من البحوث والدراسات التي نشرها في مجلات ومؤتمرات علمية.

ثانياً: الكتب المحققة:

عُني خليفة عناية فائقة بالدراسات التراثية وتحقيقها، وقد حاول استنطاقها وبحثها بحثًا جادًّا لينهض بالأمة ولغتها، وهو يعد من رواد الأردن في تحقيق التراث، ولا غرابة في ذلك وهو من تتلمذ على الأستاذ ريجي بلاشير

المعروف لدى الباحثين أنه من كبار المستشرقين الفرنسيين الباحثين في التراث العربي.

ومن الكتب التي حققها:

– "الواضح" لأبي بكر الزبيدي الإشبيلي، من منشورات الجامعة الأردنية سنة ١٩٧٤م.

– "رسائل أبي العلاء المعري"، شرح وتحقيق، ج ١ – ٣، من منشورات لجنة التعريب والترجمة والنشر الأردنية عمان سنة ١٩٧٦م.

– "الإملاء المختصر في شرح غريب السير" تأليف الإمام أبي ذر مصعب ابن مسعود الخشني الأندلسي، تحقيق ودراسة، ويقع في ثلاثة مجلدات، من منشورات دار البشير، عمان سنة ١٩٩٠م.

– "الإبانة في اللغة العربية" تأليف سلمة بن مسلم العوتبي الصحاري، تحقيق: الدكتور عبدالكريم خليفة والدكتور نصرت عبدالرحمن والدكتور صلاح جرار والدكتور محمد حسن عواد والدكتور جاسر أبو صفية، ج ١–٤، الطبعة الأولى، (سلطنة عمان، وزارة التراث القومي والثقافة) سنة ١٤٢٠– ١٩٩٩م.

ثالثاً: البحوث والمقالات:

أمّا البحوث والمقالات فمن الصعوبة بمكان أن نورد إحصاءً دقيقًا لجميع البحوث والمقالات التي نشرها في الدوريات العلمية، أو التي شارك بها أو ألقاها في الندوات والمؤتمرات الثقافية والعلمية المحلية والعربية لكثرتها. وقد تناولت موضوعات لغوية وأدبية وتربوية، نذكر منها:

- الأردن وفلسطين عند الجغرافيين العرب (المقدسي وابن جبير وابن بطوطة).
- أفكار وقضايا حول معجم موحد لألفاظ الحضارة في الوطن العربي.
- تجربة مجمع اللغة العربية الأردني في تعريب التعليم العالي.
- منهج أبي ذر الخشني في تفسير غريب السيرة.
- أبو بكر الزبيدي الإشبيلي رائد تيسير العربية.

رابعًا: الإشراف على الرسائل الجامعية:

لقد أشرف الدكتور خليفة على عدد من الرسائل والأطاريح الجامعية، نذكر منها:

- ابن رشيق القيرواني، حياته وأدبه، الجامعة الأردنية.
- القدسيات في شعر الحروب الصليبية، الجامعة الأردنية.
- أدب الرسائل الديوانية في الأندلس في عهد الموحدين.

التكريمات والأوسمة والشهادات الفخرية:

١- بعثة علمية إلى دار المعلمين العالية ببغداد، سنة ١٩٤٣م.
٢- وسام الاستقلال من الدرجة الأولى سنة ١٩٧١م، عندما قبلت استقالته من رئاسة الجامعة الأردنية لكي يتفرغ للتدريس والبحث العلمي.
٣- وسام التربية الممتاز سنة ١٩٧٨م.
٤- وسام الحسين للعطاء المميز من الدرجة الأولى ٢٠٠٠/٥/٢٠م.

٥- وسام الكوكب الأردني من الدرجة الأولى، تقديرًا لعطائه العلمي والأكاديمي المتميز وإسهاماته في خدمة اللغة العربية.

٦- شهادة فخرية من جمعية المترجمين الأردنيين عمان سنة ٢٠٠٠م.

بالإضافة إلى العشرات من دروع التكريم من المؤسسات الجامعية والتربوية والثقافية.

وفي نهاية المطاف فإن الدكتور عبدالكريم خليفة رحمه الله معلمة بارزة من المعالم اللغوية في الأردن وفي الوطن العربي، ولا سيما في الدفاع عن العربية والسعي إلى النهوض بها تحقيقًا وتيسيرًا وتعريبًا واستخدامًا، وظل وفيًا لآرائه ونظرياته معتدًا بها طيلة حياته، لا يحيد عنها، ولا يترك فرصة إلا ويجري لها من حديثه نصيبًا مدافعًا عنها ما وسعه ذلك. وقد كانت حياته حافلة بالعطاء والإنجاز.

ونظراً لما للدكتور عبدالكريم خليفة من مكانة علمية متميزة في اللغة والتراث فقد قدمت فيه رسالة علمية في الجامعة الأردنية عام ٢٠١٠، خصصت لجهوده اللغوية، فضلاً عن العديد من الأبحاث والدراسات العلمية التي تناولت جهوده اللغوية والتربوية.

وقد كان رحمه الله يجيد اللغتين الفرنسية والإنجليزية إضافة إلى لغته العربية.

القسم الثاني:

مجمع اللغة العربية وإنجازاته

أولاً: النشأة:

تعود فكرة إنشاء مجمع اللغة العربية الأردني إلى السنوات الأولى من تأسيس إمارة شرق الأردن، وكانت فكرة الإنشاء في البدايات قد اصطدمت بالصعاب والعقبات، ولكنها كانت تتراجع حتى تعود من جديد إلى الظهور وإلى الإلحاح.

وفي أواخر عام ١٩٧٣م، وافق مجلس الوزراء الأردني بصورة مبدئية على طلب وزير التربية والتعليم بتأسيس المجمع فبدأت اللجنة الأردنية للتعريب والترجمة والنشر بوضع مشروع نظام للمجمع وجرت مناقشته أكثر من مرة، قبل أن يرفع إلى مجلس الوزراء، وأعيدت صياغته في ديوان التشريع ليخرج بشكل قانوني بدلاً من نظام؛ فصدر قانون مجمع اللغة العربية الأردني، رقم (٢٦٣٤) بتاريخ ١٩٧٦/٧/١،[١] ينص هذا القانون على أن يؤسس في المملكة الأردنية الهاشيمة مجمع يسمى "مجمع اللغة العربية الأردني" يتمتع بشخصية معنوية ذات استقلال مالي وإداري، وعلى أن تتولى اللجنة الأردنية للتعريب والترجمة والنشر أعمال مجلس المجمع والمكتب التنفيذي لمدة ثلاثة شهور ويقوم وزير التربية والتعليم في أثناء هذه المدة بتنسيب خمسة أشخاص إلى مجلس الوزراء لتعيينهم أعضاء عاملين في المجمع، ويعد هؤلاء الخمسة نواة لمجلس المجمع والمكتب التنفيذي له. على

---

١. انظر خليفة، عبدالكريم، اللغة العربية في العصر الحديث، منشورات مجمع اللغة العربية الأردني، ص٨٨.

أن يقترن قرار المجلس بالإرادة الملكية السامية ويعين أحدهم رئيسًا وفقًا لأحكام هذا القانون وكان الأستاذ الدكتور عبدالكريم خليفة أول رئيس لهذا المجمع حتى عام ٢٠١٥، ثم تولى رئاسته بعد ذلك الدكتور خالد الكركي منذ ٢٠١٥ حتى الآن.

وبدأ المجمع يزاول أعماله بصورة رسمية منذ اليوم الأول من شهر تشرين الأول عام ١٩٧٦م، وانضم إلى اتحاد المجامع اللغوية العربية سنة ١٩٧٧م، أي بعد إنشائه بسنة تقريبًا.[١]

ثانيًا: أهداف المجمع:[٢]

يعمل المجمع على تحقيق الأهداف الآتية:

الحفاظ على سلامة اللغة العربية، وجعلها تواكب متطلبات الآداب والعلوم والفنون الحديثة، وتوحيد مصطلحات العلوم والآداب والفنون، ووضع المعاجم والمشاركة في ذلك بالتعاون مع وزارة التربية والتعليم والمؤسسات العلمية واللغوية والثقافية داخل المملكة وخارجها، وإحياء التراث العربي والإسلامي في اللغة والعلوم والآداب والفنون.

ولتحقيق هذه الأهداف يقوم المجمع بما يأتي:

- الدراسات والبحوث المتعلقة باللغة العربية.
- تشجيع التأليف والترجمة والنشر وإجراء المسابقات لذلك.

---

١. انظر خليفة، عبدالكريم، اللغة العربية في العصر الحديث، منشورات مجمع اللغة العربية الأردني، ص٩٣.

٢. انظر الجريدة الرسمية للمملكة الأردنية الهاشمية، تاريخ ٦- ٣ - ١٩٧٦، رقم ٢٦٣٤.

- ترجمة الروائع العالمية ونشر الكتب المترجمة إلى العربية، ومنها.
- عقد المؤتمرات اللغوية في المملكة وخارجها وإقامة المواسم والندوات الثقافية.
- نشر المصطلحات الجديدة التي يتم توحيدها في اللغة العربية بمختلف وسائل الإعلام وتعميمها على أجهزة الدولة.
- إصدار مجلة دورية تعرف باسم (مجلة مجمع اللغة العربية الأردني).

ثالثًا: الإنجازات:

أدرك المجمع ومنذ زمن مبكر المخاطر والتحديات والحملة الشرسة التي تواجه اللغة العربية، فعمل بكل طاقاته وإمكاناته للارتقاء باللغة العربية وعلو شأنها وتيسيرها لتكون لغة حية قادرة على مسايرة التطورات، وقطع الطريق على كل من يشكك في قدرتها ومكانتها.

تجربة المجمع في تعريب التعليم العلمي الجامعي:

لقد شاء المجمع أنّ يقطع الطريق على المنادين بتعليم العلوم بلغة أجنبية متذرعين بعدم وجود كتب لهذا الغرض باللغة العربية، بزعم أن اللغة العربية ليست لغة علم وحضارة، فتبنى مشروع تعريب الكتب العلمية التي تدرّس في كلية العلوم، واختار كلية العلوم، لأنها هي الكلية الأم التي تنشأ حولها الكليات العلمية الأخرى، متجاوزًا مرحلة المناداة بالمبادئ والحوار والمناقشة حول قدرة اللغة العربية وأهليتها وتجاربها التاريخية إلى مرحلة التطبيق العملي.

وقد عمل المجمع في هذه التجربة في ثلاثة جوانب أولها: ترجمة الكتب العلمية وقد عمد في تنفيذها الآلية الآتية:[١]

---

١. انظر خليفة، مصدر سابق، ص١٥١-١٥٣.

١- البدء بترجمة الكتب العلمية المقررة بكليتي العلوم في الجامعة الأردنية وجامعة اليرموك للسنة الأولى في حقول: الرياضيات والفيزياء والكيمياء والأحياء والجيولوجيا، وهي من أحدث الكتب العلمية وأعلاها مستوى.

٢- تعميم هذه القائمة على جميع الجامعات والمؤسسات العلمية في الوطن العربي، معلناً نية المجمع في العمل على ترجمتها ليصار إلى ترجمة غيرها من الكتب إن كان هناك أية جهة تقوم بترجمة بعضها، حرصًا منه على التنسيق وعدم تكرار الجهد.

٣- بعد الحصول على الإجابات المشجعة قام باختيار لجان علمية مختصة، معظمها من أعضاء هيئة التدريس الذين يدرّسون هذه المواد في الجامعتين الأردنية واليرموك، وشارك معهم أعضاء متخصصون من مجمع اللغة العربية الأردني.

٤- وضع جميع ما أنتجته المجامع اللغوية في القاهرة ودمشق وبغداد، وما أنجزته مؤتمرات التعريب والمؤسسات العلمية في الوطن العربي من مصطلحات علمية بين يدي اللجان ليستفاد من هذه التجارب.

٥- فتح باب الاجتهاد لهذه اللجان، على أن ينتهي كل كتاب بقائمة المصطلحات العلمية التي استخدمت ومقابلاتها باللغة العربية، وأن ترتب ترتيبًا هجائيًا.

٦- ومن باب حرص المجمع على توحيد جميع المصطلحات، وإدراكه لخطورة أن تنشأ لغات علمية عربية، عمل على طرح هذه المصطلحات أمام اتحاد المجامع العربية والمؤسسات العلمية في الوطن العربي بغية توحيدها، فوحدة اللغة العلمية قضية أساسية لا يمكن التهاون بها.

وكان المجمع يختار لكل كتاب لجنة من المتخصصين ذوي الكفاءات، ولا يلجأ إلى مترجم واحد إلا عند الضرورة القصوى، وكان العمل يقسم بين الزملاء أعضاء اللجنة بحيث يترجم كل عضو الجزء الذي يخصه ويتولى مهمة الإشراف أحد المتخصصين من أعضاء اللجان أو من أعضاء المجمع، وذلك حرصًا منه على وحدة الكتاب ووحدة المصطلحات العلمية المستعملة في الكتاب الواحد.

ثم يجيز الترجمة النهائية مراجع علمي، ثم مراجع لغوي، تكون مهمته تصويب الأخطاء النحوية والتراكيب اللغوية، وبذا أنجز المجمع المرحلة الأولى من مشروع تعريب التعليم الجامعي وصدرت من منشوراته الكتب الآتية:

١- كتاب التفاضل والتكامل والهندسة التحليلة، تأليف سووكوفسكي، وصدر في جزأين.

٢- كتاب الجيولوجيا العامة، تأليف روبرت فوستر، وصدر في جزء واحد.

٣- كتاب البيولوجيا، تأليف غولدسبي، وصدر في جزأين.

٤- كتاب الكيمياء، تأليف فردريك لونغو، وصدر في جزء واحد.

٥- كتاب الفيزياء، تأليف فورد، وهو في ثلاثة أجزاء.

وقبل أن ينتقل المجمع إلى المرحلة الثانية من مشروعه، رأى أن يقوم بتقويم هذه المرحلة، فطلب من عضوين من أعضاء هيئة التدريس في جامعة اليرموك وهم من المختصين بالتقويم لتنفيذ عملية التقويم، وقد قدّمت هذه اللجنة نتائج دراستها في عام ١٩٨١ والتي أجرتها على طلبة السنة الأولى

في الجامعتين الأردنية واليرموك الذين درسوا كتب الرياضيات والأحياء والجيولوجيا التي تمت ترجمتها إلى العربية، كما شملت الدراسة أعضاء هيئة التدريس في الجامعتين الأردنية واليرموك الذين درّسوا هذه الكتب، وشملت الدراسة أيضًا المترجمين وعملية الترجمة منهجًا وأسلوبًا.

وأسفرت هذه الدراسة عن التوصيات الآتية:

١- مشاركة الغالبية العظمى من المختصين في التدريس في اختيار الكتب العلمية المراد ترجمتها، وإشراك ذوي الخبرة في الترجمة لمشاركة مدرسي الجامعات في عملية التعريب.

٢- تشجيع مجمع اللغة العربية الأردني على مواصلة تبني عملية التعريب بالتنسيق مع الجامعات.

٣- ترك الحرية للمترجمين للتصرف في ترجمة بعض الأمور التي لا بد لهم من التصرف في ترجمتها.

٤- تحويل طباعة الكتب بعد عملية ترجمتها إلى جهات ذات خبرة في الطباعة والإخراج.

٥- مراعاة المجمع للمعايير التي أوردها المترجمون والمدرسون لاختيار الكتب العلمية التي ستترجم.

٦- السعي لاستصدار قرار سياسي لتعريب التدريس الجامعي ومواصلة ترجمة الكتب الأجنبية.

٧- مواصلة عملية التعريب وترجمة الكتب العلمية.

وقد كانت هذه النتائج والتوصيات محل عناية المجمع واهتمامه، وفي ضوئها انتقل إلى المرحلة الثانية من مشروعه في تعريب التعليم الجامعي،

والتي تقضي بترجمة الكتب العلمية في مستوى السنة الثانية، وظهر من كتب هذه المرحلة:[١]

١- الجبر المجرد، تأليف ويفدسون.

٢- مقدمة للتكوين الجنيني، تأليف ستيفن اوبنهايمر.

٣- مقدمة للبصريات الكلاسيكة، تأليف جرجين ماير.

٤- مبادئ التحليل الرياضي، تأليف ج ج مادكوس.

٥- مبادئ المعادلات التفاضلية وتطبيقاتها، تأليف وليم ديريك، وستانلي غروسمان.

٦- مقدمة إلى البصريات الكلاسيكية والحديثة، تأليف جرجين ماير.

٧- الإلكترونيات الأساسية لطلبة العلوم، تأليف جيميز ج. بروفي.

٨- الكيمياء التحليلية، تأليف د.ج بيتريك و س و. ترانك.

٩- الكيمياء غير العضوية (ج٢) تأليف ج. اي.هيوفي.

١٠- الكيمياء الحيوية للخلية وعلم وظائفها، تأليف إدوارد، وك هساك.

وبذلك ينهي المجمع خطته في تعريب الكتب العلمية لمستوى السنتين الجامعيتين الأولى والثانية في كلية العلوم.

لم يتوقف المجمع عن الاستمرار في عملية ترجمة الكتب العلمية، بل تابع مسيرته في هذا الجانب وكان له عدة إصدارات منها (الموجز في ممارسة

---

١. انظر التقرير السنوي السابع حول منجزات المجمع عام ١٩٨٣، و١٩٨٤.

الجراحة) في أربعة أجزاء، وأخيراً كتاب نظم المعلومات الإدارية لعصر المعلومات عام ٢٠١٩م.

وحرصًا من المجمع على نشر إنجازاته، وتعميم الفائدة المرجوة منها في خدمة اللغة العربية، وتوحيد الجهود العربية المبذولة، وعدم تكرارها، عمد المجمع إلى إهداء نسخ من هذه الكتب والإنجازات إلى وزارات التعليم العالي، والجامعات، والمؤسسات العلمية في الوطن العربي.

وإيمانًا من المجمع بأهمية تأليف العلوم باللغة العربية انتقل المجمع إلى **الجانب الثاني**، فقد كلّف مجلس المجمع لجنة التأليف والترجمة وضع تعليمات دعم التأليف والترجمة والنشر في المجمع، والتي تم إقرارها بعد ذلك، ثم وجه المجمع رسائل إلى أعضاء هيئة التدريس في الكليات العلمية في الجامعات الأردنية، بغية معرفة رغبتهم في المساهمة بمشروع تعريب التعليم العلمي الجامعي ترجمة أو تأليفًا، طالبًا منهم تقديم مشاريعهم لدراستها والنظر في إمكانية دعم نشرها. حيث يقوم المجمع بتقويم ما يصل إليه من هذه المشروعات لمعرفة مدى صلاحيتها للدعم حسب ما نصت عليه التعليمات.

ومنذ ذلك الوقت إلى يومنا هذا والمجمع يتلقى العديد من الردود فيما يخص الترجمة والتأليف، فيقوم بدراستها والموافقة على نشر ما يصلح منها، وقد تبنى نشر العديد من هذه الردود التي وصلته، ومن ذلك كتاب العدسات اللاصقة، تأليف سرى سبع العيش، ومدخل إلى الصيدلة، تأليف ناجي نجيب، والمجمع بدعمه لحركة التأليف في العلوم باللغة العربية انتقل بالمبدعين من مرحلة الترجمة من حيث هي نقل مادة الكتاب من اللغة الأجنبية إلى اللغة العربية إلى مرحلة الإبداع والابتكار والإنتاج لتبقى العربية حاضرة.

أما الجانب الثالث فتمثل في تعريب الرموز العلمية

حيث شكّل المجمع لجنة خاصة لدارسة قضية الرموز العلمية، في الرياضيات والفيزياء والكيمياء، والعمل على كتابتها بحروف عربية مناسبة، بدلاً من الحروف اللاتينية واليونانية، وقد تألفت اللجنة من مختصين بهذه المجالات العلمية، وقد عقدت هذه اللجنة عدة اجتماعات توصلت بعدها إلى تقرير يتضمّن أشكالاً من الحروف العربية التي قد تصلح للاستعمال، ثم دعت إلى عقد ندوة لمناقشة هذا التقرير، توصل بعدها إلى القرارات الآتية:

١- الغاية هي تعريب العلم لا مجرد الترجمة، والتعريب يقتضي إسباغ طابع عربي على العلم يجعله يبدو كأنه ينبثق من بيئة عربية وفكر عربي.

٢- الأخذ بالإشارات العلمية الدولية، وإجراء ما يلزم عليها من تعديل تقتضيه الكتابة من اليمين إلى الشمال.

٣- الاستفادة بقدر الإمكان من نشرات مؤسسة إيزو.

٤- وضع منهجية متكاملة تماشي هدف التعريب الشامل للعلم.

ثم تابعت اللجنة عملها وفق منهجية محددة، صنفت على ضوئها الرموز العلمية في مجموعات حرفية أربعة هي:

أ- **الحروف الهندسية:** وتطلق على أشكال الحروف التي جرى استعمالها في كتب الهندسة الابتدائية.

ب- **الحروف المعقوفة:** وهي حروف هندسية تعقف أطرافها، وهي في المشروع تقابل الحروف الكبيرة في اللغات الأوروبية.

ج- **حروف الابتداء:** وهي الحروف التي جرى استعمالها في أوائل الكلمات، وقد وضعت لتقابل حروفاً صغيرة بالنسبة إلى الحروف الهندسية.

د- **الحروف المقطوعة:** وهي حروف تقطع نهاياتها، للتمييز.

وسعيًا من المجمع في تعميم رموزه في العالم العربي بعد إقرارها، أقام المجمع ندوة علمية عام ١٩٨٧، أعدها اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية ثم نُشرت هذه الندوة على شكل كتاب يحمل في طياته المبادئ العامة والتوصيات التي توصلت إليها هذه الندوة.[١]

وقد عقد المجمع العديد من الندوات والمؤتمرات لدعم عملية التعريب وتسليط الأضواء عليها، ومن ذلك عقده لندوة بعنوان (دور المؤسسات السياسية والعلمية والإعلامية في التعريب).

هذا وقد تباينت الآراء والنتائج حول هذه التجربة بين تأييد ومعارضة، حيث لم يتم التدريس باللغة العربية إلا للعام الدراسي ١٩٨٠ / ١٩٨١، وكان من هذه الآراء:

١- أجرى بعض الباحثين من قسم الفيزياء في الجامعة الأردنية دراسة ميدانية قدّمها إلى المؤتمر الثاني للفيزيائيين والرياضيين العرب الذي عقد في عام ١٩٨١ تحدّث فيها عن كتاب الجزء الأول من كتاب الفيزياء، الذي ترجمه المجمع، وعرض فيها لأهم الملامح العامة لمنهجية المجمع في

---

١. انظر ندوة عمان، الرموز العلمية وطريقة أدائها باللغة العربية، ١٩٨٧.

الترجمة والتعريب وذكر الإبداعات التي قدمتها تجربة المجمع في التعريب على الرغم من الصعوبات والمشاكل التي واجهها.[١]

٢- أثنى الأستاذ عبدالعزيز بن عبدالله، مدير مكتب تنسيق التعريب بالرباط على هذا الجهد بقوله: "وبهذا يكون مجمع اللغة العربية الأردني، قد وضع حجر الأساس العلمي لإغناء اللغة العربية بالمصطلحات، والأفكار العلمية والتقنية معاً، وجعلها تقف على قدم المساواة مع لغات العلم بالعالم.[٢]

٣- نُشِر بهذا الخصوص مقال لأحد الأساتذة في دائرة الفيزياء بجامعة اليرموك في جريدة الرأي الأردنية بتاريخ ١٩٨٣/٩/٩ يشيد فيه بجهد المجمع، مبيناً أن نسبة نجاح الطلبة قد ارتفعت حين تدريسه لمادة الكهرومغناطيسية في دائرة الفيزياء باللغة العربية من ٥٠% إلى ٨٧% مشيراً إلى أن المادة أصبحت مرغوبة جداً لدى الكثير من الطلبة، بعد أن كانت شبحاً يخشون الاقتراب منه.[٣]

٤- تقدّم ثمانون من أعضاء هيئة التدريس في الدوائر العلمية في جامعة اليرموك بمذكرة إلى المسؤولين في الجامعات الأردنية وإلى رئيس المجمع، يعربون فيها عن إيمانهم بالتعريب وعزمهم على التدريس باللغة العربية.[٤]

---

١. انظر، خليفة، مصدر سابق،١٦٢-١٦٤.

٢. انظر التعريب ودوره في تدعيم الوجود العربي والوحدة العربية، ١٩٨٢مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ص١٢٥.

٣. انظر خليفة، مصدر سابق، ص١٦٧-١٦٨.

٤. انظر المصدر السابق، ص١٦٨.

٥- أشادت جريدة الرأي بالكتاب الذي صدر عن مجمع اللغة العربية الأردني وهو (مقدمة للبصريات الكلاسيكية الحديثة) عارضة لقيمته العلمية والأغراض التي يحققها، والجهد المبذول في ترجمته وإخراجه، وأشارت إلى أنّه من أفضل ما ترجم إلى اللغة العربية من كتب علمية على مستوى المجمع، وعلى مستوى العالم العربي[١].

٦- تلقى المجمع طلبات من عدد من الجامعات العراقية، والسعودية، لتزويدها بكميات مختلفة من بعض الكتب التي صدرت.[٢]

٧- طلبت وزارة التعليم العالي في الجزائر من المجمع أن يأذن لها بإصدار طبعة خاصة بالجزائر من كتاب (الرياضيات) ووافق المجمع على ذلك.[٣]

٨- فاز كتاب البيولوجيا للسنة الأولى بجائزة أحسن كتاب علمي مترجم إلى العربية وذلك في معرض الكتاب الذي أقامته مؤسسة الكويت للتقدم العلمي سنة ١٩٨١.[٤]

٩- تقديراً لعمل المجمع في التعريب تبرعت مؤسسة عبدالحميد شومان بتمويل ثلاثة من كتب الفيزياء للسنة الجامعية الثانية.[٥] وهذا يعد دعماً ومؤازرة للمجمع لإنجاز مشروعه.

---

١. انظر جريدة الرأي الأردنية، ١٢- ٨- ١٩٨١،ع ٤٨١٢.
٢. التقرير السنوي الرابع، ١٩٨٠، ٧.
٣. التقرير السنوي الرابع، ١٩٨٠.
٤. التقرير السنوي السادس، ١٩٨٢.
٥. التقرير السنوي الرابع، ١٩٨٠.

١٠- في دراسة أجراها الدكتور عبدالرؤوف خريوش حول تقييم تجربة المجمع في تعريب التعليم،[١] التقى فيها برئيس الجامعة الأردنية ونائب رئيس جامعة اليرموك، ورئيس مجمع اللغة العربية الأردني وعدد من الأساتذة ومجموعة من الطلبة، بيّن فيها أنّ الأكثرية من الأساتذة والطلبة هم من المؤيدين، قائلين إن اللغة العربية لغة الأجداد، لذا يجب المحافظة عليها، ودعمها، لأنّ كثيراً من الدول الأخرى تدرّس بلغتها، مشيرين إلى أنّ الفهم يتعمق باللغة العربية أكثر منه باللغة الإنجليزية.

أما الآراء التي عارضت التجربة، فقد عزت عدم نجاحها إلى قلة الجهود المبذولة في التجربة، وعدم جدية الأساتذة في تعريب العلوم، وأنّ المصطلحات العلمية لم تكن موحدة، وأن التجربة اعتمدت على مجهود فردي، ورأوا عدم جدوى التعريب لأن لغة العلم هي اللغة الإنجليزية والعلم في تطور دائم والدول العربية منقسمة سياسياً فيما بينها تجاه القضية، كما أن الكتب المتوافرة باللغة العربية تكاد تكون معدومة، وإن وجدت فهي قديمة، لا تلبي الحاجة العلمية المتجددة، والكتب المترجمة غير دقيقة ولغتها صعبة غير واضحة مما يعيق الفهم وخاصة المصطلحات.

أما رئيس الجامعة الأردنية الأسبق فوزي غرايبة فقد عزا وقف التجربة إلى أربعة أسباب، هي:

- عدم وجود جهة مركزية واحدة تختط مثل هذه السياسة.
- وجود معوقات مادية.

---

١. انظر خريوش، عبدالرؤوف، حركة التعريب في الأردن، ٥٠-٥٤.

– غياب وحدات ترجمة سريعة، تترجم ما يستجد في ميدان العلوم، لذلك برزت مشكلة المرجع العلمي المناسب.

– عدم وجود قناعة لدى أعضاء هيئة التدريس لتدريس العلوم باللغة العربية، حتى لو جاء قرار فوقي يلزمهم بذلك.

ولم يبتعد نائب رئيس جامعة اليرموك الأسبق الدكتور أحمد سالم، عما ذهب إليه الدكتور فوزي غرايبة وأضاف عدم نشاط هيئة التدريس في ترجمة بعض المراجع المهمة إلى اللغة العربية.

أمّا الدكتور عبدالكريم خليفة –رحمه الله–، فقد عزا وقف التدريس باللغة العربية إلى عدم الالتزام وعدم الاستمرار بذلك. مبيناً أنّ المرجع العلمي المترجم والمصادر والمصطلحات المعربة ليست سبباً لأننا نستطيع التغلب عليها في أثناء العمل، مشيراً أيضاً إلى أنّ سنة واحدة لا تكفي للحكم على تجربة بالفشل.

وقد أجرى الدكتور محمود السمرة دراسة حول هذه التجربة، خلص منها إلى أن السبب في وقف مشروع التعريب يعود إلى عدم إيمان هيئة التدريس في كليات العلوم باللغة العربية إضافة إلى المعارضة القوية والحادة لحركة التعريب.[١]

وفي ضوء التأييد والمعارضة، أرى أن مجمع اللغة العربية الأردني، شارك أشقاءه من المجامع اللغوية الأخرى في تجربة ريادية مخلصة هدف منها إلى جعل اللغة العربية لغة الفكر والعلم والبحث العلمي، منطلقاً من إيمانه بقدرة اللغة العربية، وأهميتها كلغة بحث ودراسة، ثم أنّه ليس من الصواب الحكم على تجربة لم تستمر سوى عام واحد، وأن عدم الاستمرار

---

١. انظر، السمرة، محمود، تجربة مجمع اللغة العربية الأردني في تعريب العلوم، مجلة المجمع، ع١٥– ١٦.

في التدريس باللغة العربيـــة وقتـــل التجربة في مهدها، يشعر بأن هناك من بيّت في نفسه الإجهاز عليها منذُ الإعلان عن ميلادها، ومن سوء هذا الوليـــد الجديد أنّه لم تقيض له أيدٍ رفيقة تأخذ بيده لينمو ويكبر، ومن ثم تحكم عليـــه بأنـــه بار أو عاق. مع يقيني بأنّه لو أخذ حظه من العناية والرعاية لكان على مستوى عالٍ من البر والعطاء.[١]

تعريب المصطلح:

لقد شارك مجمع اللغة العربية الأردني نظراءه من المجامع الأخرى فـــي تعريب المصطلحات العلمية، فوضع المقابلات العربية للمصطلحات الأجنبية هدف من أهداف المجمع الرئيسية، فهو من المؤسسات العلمية الرافدة للغـــة العربية بالمصطلحات عن طريق التعريب، إيماناً منه بقدرة اللغة العربية على استيعاب العلوم والمعارف المختلفة.

وانطلاقاً من وعي المجمع العميق بظروف العمل المصـــطلحي العربـــي ومتطلبات تطويره لتحقيق غاياته، فقد سعى بكل اهتمام لتأسيس أداة متقدمـــة تسهم في تحقيق بيئة فاعلة في هذا المجال، وهيأ التقنيات الحديثة في مجـــال الحواسيب وشبكات المعلومات والبرمجيات لبناء بنك مصطلحي يعتمد عليـــه في إنجاز أعماله المصطلحية، وفي تيسير سبل التعـــاون مـــع المؤسســـات الأخرى. وقد تمكّن المجمع في عام ١٩٨٥ من تأسيس قسم للحاسوب للإفادة من تقنيات الحاسوب وبرمجياته في تخزين المصطلحات العلمية والفنية، من أجل تيسير عملية الترجمة والتعريب على المختصين والمهتمـــين فـــي هـــذا المجال.

---

١. انظر عليمات، أثر مجمع اللغة العربية الأردني في قضـــايا اللغـــة العربيـــة، ٢٠٠٨، وزارة الثقافة، ص٦٢.

وهذا القسم نواة لإنشاء بنك لغوي يؤدي دوره في مجالات تعريب العلوم على المستوى العربي والبحوث المعجمية اللغوية، وقد كلف المجمع قسم الحاسوب في هذه المرحلة بمهمة إنشاء بنك لغوي للمصطلحات كمرحلة أولى باتجاه تحقيق فكرة البنك اللغوي، وقد تطوّرت أهداف المجمع في هذا المشروع لتشمل جوانب كثيرة، وقد أقر مجلس المجمع ما يقرب من (٢١.٠٠٠) واحد وعشرين ألف مصطلح منشورة على الشابكة في موقع المجمع موزعة على مجالات مختلفة.

وحرصاً من المجمع على مواكبة التطور في منهجية وضع المصطلح، فقد تم عقد ندوة في رحاب المجمع بعنوان تطوير منهجية وضع المصطلح العربي وبحث سبل نشر المصطلح الموحد وإشاعته، وقد عقدها مكتب تنسيق التعريب عام ١٩٩٣، وذلك من باب تعاون المجمع مع مكتب التنسيق والتعريب.

وقد أقرت الندوة المبادئ الأساسية في اختيار المصطلحات العلمية، وهي:[١]

١- ضرورة وجود مناسبة أو مشاركة أو مشابهة بين مدلول المصطلح اللغوي ومدلوله الاصطلاحي ولا يشترط في المصطلح أن يستوعب كل معناه العلمي.

٢- وضع مصطلح واحد للمفهوم العلمي الواحد ذي المضمون الواحد في الحقل الواحد.

٣- تجنب تعدد الدلالات للمصطلح الواحد في الحقل الواحد، وتفضيل اللفظ المختص على اللفظ المشترك.

---

١. انظر ندوة عمان، الرموز العلمية وطريقة أدائها باللغة العربية،١٩٨٧.

٤- استقراء وإحياء التراث العربي وخاصة ما استعمل منه أو ما استقر منه من مصطلحات علمية عربية صالحة للاستعمال الحديث وما ورد فيه من ألفاظ معربة.

٥- مسايرة المنهج الدولي في اختيار المصطلحات العلمية.

٦- استخدام الوسائل اللغوية في توليد المصطلحات العلمية الجديدة بالأفضلية طبقًا للترتيب التالي: التراث فالتوليد (بما فيه من مجاز واشتقاق وتعريب ونحت).

٧- تفضل الكلمات العربية الفصيحة المتواترة على الكلمات المعربة.

٨- تجنب الكلمات العامية إلا عند الاقتضاء بشرط أن تكون مشتركة بين لهجات عربية عديدة وأن يشار إلى عاميتها بأن توضع بين قوسين مثلاً.

٩- تفضيل الصيغة الجزلة الواضحة، وتجنب النافرة والمحظور من الألفاظ.

١٠- تفضيل الكلمة التي تسمح بالاشتقاق على الكلمة التي لا تسمح به.

١١- تفضيل الكلمة المفردة لأنها تساعد على تسهيل الاشتقاق والنسبة والإضافة والتثنية والجمع.

١٢- تفضيل الكلمة الدقيقة على الكلمة العامة أو المبهمة، ومراعاة اتفاق المصطلح العربي مع المدلول العلمي للمصطلح الأجنبي، دون تقيد بالدلالة اللفظية للمصطلح الأجنبي.

١٣- في حالة المترادفات أو القريبة من الترادف تفضل اللفظة التي يوحي جذرها بالمفهوم الأصلي بصفة أوضح.

١٤- تفضل الكلمة الشائعة على الكلمة النادرة أو الغريبة إلا إذا التبس معنى المصطلح العلمي بالمعنى الشائع المتداول لتلك الكلمة.

١٥- عند وجود ألفاظ مترادفة أو متقاربة في مدلولها، ينبغي تحديد الدلالة العلمية الدقيقة لكل واحد منها، وانتقاء اللفظ العلمي الذي يقابلها. ويحسن عند انتقاء مصطلحات من هذا النوع أن تجمع كل الألفاظ ذات المعاني القريبة أو المتشابهة الدلالة وتعالج كلها مجموعة واحدة.

١٦- مراعاة ما اتفق المختصون على استعماله من مصطلحات ودلالات علمية خاصة بهم. معربة كانت أو مترجمة.

١٧- التعريب عند الحاجة وخاصة المصطلحات ذات الصيغة العالمية كالألفاظ ذات الأصل اليوناني أو اللاتيني أو أسماء العلماء المستعملة مصطلحات، أو العناصر والمركبات الكيميائية.

١٨- **عند تعريب الألفاظ الأجنبية يراعى ما يأتي:**

أ- ترجيح ما سهل نطقه في رسم الألفاظ المعربة عند اختلاف نطقها في اللغات الأجنبية.

ب- التغيير في شكل المصطلح، حتى يصبح موافقًا للصيغة العربية ومستساغًا.

ج- اعتبار المصطلح المعرب عربيًا، يخضع لقواعد اللغة ويجوز في الاشتقاق والنحت وتستخدم فيه أدوات البدء والإلحاق، مع موافقته للصيغة العربية.

د- تصويب الكلمات العربية التي حرّفتها اللغات الأجنبية، واستعمالها باعتماد أصلها الفصيح.

هـ- ضبط المصطلحات عامة والمعرب منها خاصة بالشكل حرصًا على صحة نطقه ودقة أدائه.

وباعتبار هذه الأسس في وضع المصطلح، وما وضع من منهجية في وضعه في ندوة الرباط عام ١٩٨١ قام المجمع بإقرار العديد من المصطلحات ونشرها في المجالات الآتية:

أولاً: في المجال العسكري:

نشر المجمع مجموعة من المصطلحات العسكرية في مختلف التخصصات، وذلك: بمشاركة خبراء عسكريين، ومن هذه المصطلحات:

- مصطلحات الصيانة، صدرت الطبعة الثانية منها سنة ١٩٩٤.
- مصطلحات المشاة، صدرت الطبعة الثانية منها سنة ١٩٩٤.
- مصطلحات الدروع، صدرت الطبعة الثانية منها سنة ١٩٩٥.
- مصطلحات التموين والنقل، صدرت الطبعة الثانية منها سنة ١٩٩٥.
- مصطلحات المساحة، صدرت الطبعة الثانية منها سنة ١٩٩٥.
- مصطلحات المدفعية، صدرت الطبعة الثانية منها سنة ١٩٩٥.
- مصطلحات سلاح الهندسة، صدرت الطبعة الثانية منها سنة ١٩٩٥.
- مصطلحات اللاسكي، صدرت الطبعة الثانية منها سنة ١٩٩٥.

- مصطلحات سلاح الجو والاستخبارات، صدرت الطبعة الثانية منها سنة ١٩٩٦.

ثانيًا: مصطلحات الأرصاد الجوية، صدرت الطبعة الثانية منها سنة ١٩٨١.

ثالثًا: المصطلحات الزراعية، صدرت الطبعة الأولى منها سنة ١٩٨١.

رابعًا: مصطلحات الدهانات والورنيشات، صدرت الطبعة الأولى منها سنة ١٩٩٦.

خامسًا: مصطلحات التمريض، صدرت الطبعة الأولى منها سنة ١٩٩٦.

سادسًا: مصطلحات الإذاعة والتلفاز والكهرباء العامة، صدرت الطبعة الأولى منها سنة ١٩٩٦.

سابعًا: مصطلحات التجارة والاقتصاد والمصارف، صدرت الطبعة الثالثة منها سنة ١٩٩٦.

ثامنًا: مصطلحات التجارة والاقتصاد، صدرت الطبعة الأولى منها سنة ١٩٩٧.

تاسعًا: مصطلحات الخراطة، صدرت الطبعة الأولى منها سنة ١٩٩٧.

عاشرًا: مصطلحات التكييف والتبريد والأدوات الصحية، صدرت الطبعة الأولى منها سنة ١٩٩٨.

حادي عشر: مصطلحات الهندسة المدنية والمعمارية/ ج١، صدرت الطبعة الأولى منه ١٩٩٨.

ثاني عشر: مصطلحات ميكانيك السيارات، صدرت الطبعة الأولى منها ١٩٩٨.

ثالث عشر: مصطلحات الهندسة المدنية والمعمارية/ ج٢، صدرت الطبعة الأولى منه ٢٠٠١.

والمجمع مستمر في إضافة مصطلحات جديدة إلى هذه المجالات ولا يقف عمله في مجال المصطلحات عند هذا الحد، بل يبقي الباب مفتوحًا أمام الدارسين والباحثين والمعنيين والمهتمين، لإبداء آرائهم وملاحظاتهم حول ما يصدره من مصطلحات، فيتلقى الملاحظات المقترحة لما أصدره من مصطلحات ويحيلها إلى المختصين بحسب مجال هذه المصطلحات ويرد عليها بحسب ما يراه مناسبًا.

وممّا تفرّد به المجمع عن غيره من المجامع أنه منذ إنشائه، وظّف اللغة العربية في التعبير عن الحقائق العلمية، فضلاً عن المصطلحات العلمية التي أنجزتها المجامع ومؤتمرات التعريب. كما أنّه تمكّن من بناء نواة قواميس المصطلحات العلمية التي استخرجت من الكتب التي عرّبها، بحيث يصدر في كل علم من العلوم نواة قاموس ينمو مع الزمن فتضاف إليه المصطلحات التي ستجد.

ثانياً: معجم ألفاظ الحياة العامّة في الأردن:

تدوين المعجم ضرورة لغوية لكل مجتمع متقدّم، ذلك أنّ الفرد لا يستطيع أن يحيط بكل الألفاظ الموجودة، ولا سيما أنّ ظاهرتي الارتجال والتوليد مستمرتان، لذلك يعنى المتخصصون بتدوين مفردات اللغة ومعانيها في

صورة معجم ليرجع إليها هذا وذاك من الراغبين في الاطلاع على هذه المفردات والمعاني.

وقد اتخذ اتحاد المجامع اللغوية العربية قرارًا بوضع المعجم العربي الموحد لألفاظ الحضارة في العصر الحديث وذلك في اجتماعه الذي عقد بالقاهرة سنة ١٩٩٧، في مقر الاتحاد بمجمع اللغة العربية، برئاسة رئيس الاتحاد المرحوم الأستاذ شوقي ضيف، ورأى مجلس الاتحاد أن يتولى كل مجمع وضع مشروع لمعجم ألفاظ الحضارة في قطره، وترسل مشاريع المعجمات جميعها إلى الاتحاد، لإدخاله في الحاسوب، والانتهاء بإصدار معجم عربي موحد لألفاظ الحضارة في العصر الحديث على مستوى الوطن العربي. وقد جاء نص القرار على النحو الآتي: "تكلف المجامع، أن يهيئ كل منها مشروع معجم لألفاظ الحضارة المتداولة في بلده، مع تعريف واضح لكل لفظ، وأن يعنى بضبط الألفاظ، مع ترتيبها ترتيبًا هجائيًا، ويقدم مشروع المعجم إلى إدارة الاتحاد في القاهرة"[١].

وقد اتفق فيما بعد أن تكون التسمية "المعجم العربي الموحد لألفاظ الحياة العامة" كي يصبح أكثر شمولاً، وأن يكون على مستوى الوطن العربي، وبناءً عليه تقرر أن يقوم كل مجمع عضو في الاتحاد بوضع مشروع معجم لألفاظ الحياة العامة في قطره، على أن يرسل هذا المشروع إلى مركز الاتحاد بالقاهرة، حيث يخزن في الحاسوب، فتأتي هذه المشاريع من مصر والعراق وسوريا والأردن والسودان والمغرب وليبيا، على أن تستكمل فيما بعد

١. معجم ألفاظ الحياة العامة في الأردن، مجمع اللغة العربية الأردني، ٢٠٠٥، ص٢.

المشاريع من بقية الأقطار العربية، التي لم ينشأ فيها مجامع للغة العربية، تبدأ المرحلة الأولى على وفق خطة الاتحاد بوضع (المشاريع) وتخزينها بالحاسوب في مركز الاتحاد، يعقبها تشكيل لجان لدراستها وتمحيصها وتبويبها والخلاص إلى وضع (المعجم العربي الموحد لألفاظ الحياة العامة).

وكان مقرراً أن ينشر هذا المعجم العربي الموحد لألفاظ الحياة العامة، على نطاق واسع شامل في جميع أقطار الوطن العربي، كي يكون مصدرًا سهلاً وسائغًا أمام المهتمين والباحثين والدارسين والكتاب وواضعي الكتب المدرسية باللغة العربية.

ويهدف هذا المشروع إلى تحقيق الأهداف الآتية:[١]

– إغناء اللغة العربية بألفاظ حضارية جديدة في مختلف جوانب الحياة اليومية.

– المحافظة على اللغة العربية وتوظيفها توظيفًا سليمًا في الحياة اليومية والعمل على تفصيح الألفاظ العامية التي تعود إلى أصول فصيحة.

– توحيد مسميات ألفاظ الحياة العامة على مستوى الوطن العربي.

– إفادة الباحثين والدارسين والكتاب والصحفيين وعلماء الاجتماع في دراسة الظواهر الاجتماعية والحضارية في الأقطار العربية.

– توحيد لغة وسائل الإعلام والصحافة على مستوى الوطن العربي.

– التقليل من الخلافات واللهجات المحلية المحكية بين أبناء الأمة العربية في مجال مسميات ألفاظ الحياة العامة.

---

١. مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، ١٩٩٨،ع٥٥، ص١٤٩ –١٥٠.

– إصدار معجم موحد لألفاظ الحياة العامة على مستوى الوطن العربي أسوة بما تقوم به الأمم الأخرى في هذا المجال.

وقد أعد مجمع اللغة العربية الأردني العدة لإنجاز هذا المعجم بما يليق به كمؤسسة وطنية قومية بوضع منهجية للعمل وآلية لتنفيذه؛ فشكّل اللجان، وحدد مهامها، وآلية عملها، وحدد مراكز العمل، ولضمان جودة العمل وتميزه فقد قسمه على مرحلتين:

الأولى: مرحلة الجمع، وتتمثّل في جمع ألفاظ الحياة العامة وتسجيلها في بطاقات حسب النموذج الذي أعده المجمع، وتدقيقها من اللجان الفرعية التي شكّلها المجمع، وإرسالها إلى المجمع من أجل العمل على اتخاذ الإجراءات اللازمة لتخزينها في الحاسوب في وحدة الحاسوب بالمجمع.

الثانية: مرحلة دراسة البطاقات وإدخالها في الحاسوب وتصنيفها وتبويبها والتأكد من ضبط الألفاظ وصحة التعريف والدقة العلمية واللغوية، وقد ألفت هيئة تحرير خاصة لهذه المرحلة.

وجاء معجم ألفاظ الحياة العامة في عدة أقسام وكشاف للمعجم، ومن **الحقول الدلالية التي اشتمل عليها:** الأحوال المدنية، الإدارة، الأدب واللغة، أدوات التنظيف، الأراضي والعقارات، الأطعمة والأشربة، الإعلام: الصحافة، التلفاز، الإذاعة، الأغراض الشخصية، الأمن الداخلي والخارجي، الإنسان والطفل، البريد والاتصالات، والبناء، البيت: أثاثه، أدواته ومرافقه...، التأمين، التجارة والاقتصاد، والمعاملات المالية، التجميل والزينة، التدخين، وتنظيم المدن، التنمية الاجتماعية: الجمعيات الخيرية، مؤسسات الأحداث، الثقافة والتعليم، الحاسوب، الحيوانات الداجنة وغير الداجنة، الثديات، الزواحف، الحشرات...، الديانات الأخرى، الدين الإسلامي، والرياضة والألعاب والترويح والملاهي، والزراعة، والعلاقات الدولية... والصناعات والمهن، والطاقة، الطب الشعبي، الطب والتمريض

والصيدلة، العلوم: الفيزياء، الكيمياء، الأحياء، الجيولوجيا... الفنون: الفنون الجميلة، الفنون الشعبية، الموسيقى الشعبية والغناء...، القضاء، القضاء العشائري، الكتب والمكتبات والقرطاسية، الكشافة والمرشدات، اللباس، المختبر، المواصفات والموازين والمقاييس، المواصلات البرية، البحرية، الجوية.

جاء المعجم في (١٤٣١) إحدى وثلاثين وأربعمئة وألف صفحة من القطع المتوسطة وبلغ عدد الألفاظ فيها (٢٨٠٠٠) ثمانية وعشرين ألف مصطلح.

ومن الجدير بالذكر أن إنجاز مشروع معجم ألفاظ الحياة العامة في الأردن قد استغرق حوالي ثماني سنوات من العمل الجماعي الجاد والمنظم، وأنه يحسب لمجمع اللغة العربية الأردني أنه أول مجمع يرى مولوده النور حيث قام المجمع بنشره بوصفه مشروعًا أردنيًا تحت عنوان (معجم ألفاظ الحياة العامة في الأردن). ومن الجدير ذكره أيضًا أن هذا المعجم قد حظي بالعديد من الدراسات والبحوث العلمية الجادة نظرًا لقيمته في كافة المجالات.

ثالثًا: التأليف والترجمة وتحقيق التراث

أولاً: التأليف، وشمل:

تأليف الكتب المدرسية: حرص المجمع على التعاون والتنسيق بينه وبين المؤسسات العلمية والتعليمية في داخل الأردن وخارجها فعمل على تأليف كتب مبحث اللغة العربية لمرحلة التعليم الأساسي بناء على طلب وزارة التربية والتعليم وتنفيذًا لتوصيات مؤتمر التطوير التربوي الوطني الأول الذي عقد في عمان عام ١٩٨٧، وذلك لثقة وزارة التربية والتعليم بالعمل المؤسسي

ولا سيما مجمع اللغة العربية الأردني. وقد نفذ المجمع هذا المشروع على ثلاث مراحل:

الأولى: شملت تأليف كتاب لغتنا العربية للصف الأول، وكتاب لغتنا العربية للصف الخامس ودليله. وكتاب القواعد، وكتاب المطالعة والنصوص، وكتاب التطبيقات اللغوية، وكتاب التعبير والتلخيص للصف التاسع.

الثانية: شملت تأليف كتاب لغتنا العربية للصف الثاني، وكتاب لغتنا العربية للصف السادس، وكتاب القواعد، وكتاب المطالعة والنصوص، وكتاب التطبيقات اللغوية، وكتاب التعبير والتلخيص للصف العاشر.

أما المرحلة الثالثة: فشملت تأليف كتب اللغة العربية للصفوف الثالث والرابع والسابع والثامن، ودليل المعلم لكتاب لغتنا العربية للصف الثاني، وكذلك دليل الصف السادس.

وكذلك أدلة اللغة العربية للصفوف الثالث والرابع والسابع والثامن والعاشر.

"وأعتقد أن وزارة التربية والتعليم قد حالفها الصواب عندما أسندت هذه المهمة إلى المجمع بوصفه مؤسسة وطنية وبيت الخبرة والكفاءات".[١]

ولم يكتف المجمع بذلك بل فتح بابه لتأليف الكتب التدريسية الجامعية وأي كتب أخرى يرى أنها تخدم رسالته، وتكفّل بنشرها. ومن الكتب التي نشرها في هذا المجال:

١- كتاب (العدسات اللاصقة) للدكتورة سرى سبع العيش.

٢- تيسير العربية بين القديم والحديث، تأليف عبدالكريم خليفة.

---

١. عليمات، مصدر سابق، ١١٦.

٣- مدخل إلى الصيدلة، تأليف ناجي نجيب.
٤- اللغة العربية والتعريب في العصر الحديث، عبدالكريم خليفة.
٥- كتاب (الدهون والأمراض) تأليف لامعة جمال الطالباني.
٦- كتاب (علم السموم الحديث) تأليف منيب الساكت وزملائه.
٧- كتاب الجبر الخطي، تأليف محمد هيلات ورضوان الجراح.
٨- كتاب الجامع لأساسيات جراحة الكلى والمسالك البولية، تأليف أكرم الدجاني.
٩- التراكيب المقتطعة، صادق عثمان الحموز وزملائه.
١٠- كتاب قاموس التراكيب المقتطعة، صادق عثمان الحموز وزملائه.

ثانياً: الترجمة:

إن موضوع الترجمة يشكل رافدًا مهمًا للغة العربية، فهو يقوم على نقل المعرفة وتغذية اللغة بفكر جديد يعمل على نموها وتطورها، لذا يسعى المجمع دائمًا إلى نقل أمهات الفكر العالي إلى اللغة العربية منطلقًا من أهدافه في ضرورة دعم الترجمة.

وقد دعم المجمع كما ذكرنا ترجمة الكتب التي تدرّس لطلبة السنة الأولى والثانية في الجامعة الأردنية وجامعة اليرموك، وكذلك كتاب (الموجز في ممارسة الجراحة)، وقد فاز هذا الكتاب بجائزة معرض الكتاب العربي الثالث والعشرين لعام ١٩٩٨ الذي أقامته مؤسسة الكويت للتقدم العلمي كأفضل كتاب مترجم إلى اللغة العربية في العلوم، وقدمت مؤسسة الكويت مكافأة مالية للناشر، واستضافت هيئة التحرير المشرفة على الكتاب لحضور حفل توزيع الجوائز، ولأهمية هذا الكتاب فقد صدرت العديد من الدراسات حوله من الباحثين والمهتمين.

وقد استمر المجمع في دعمه لعملية الترجمة في علوم الحاسوب والعلوم الصحية والإنسانية وغيرها إلى يومنا هذا.

ثالثًا: إحياء التراث:

حرص المجمع على إحياء التراث العربي والإسلامي في اللغة والعلوم والآداب والفنون، لذلك شكّل العديد من اللجان الدائمة للعمل في هذا المجال، وقد صدر عن المجمع في هذا الميدان العديد من الكتب والدراسات، مثل:

١- كتاب رسائل أبي العلاء المعري، في ثلاثة أجزاء، تحقيق عبدالكريم خليفة.

٢- كتاب المقنع في الفلاحة لابن حجاج الأشبيلي، تحقيق جاسر أبو صفية، وصلاح جرار، وإشراف عبدالعزيز الدوري عام ١٩٨٢.

٣- مخطوطات فضائل بيت المقدس، إعداد كامل العسلي، عام ١٩٨١.

٤- فهرس مخطوطات الحرم الإبراهيمي في الخليل، إعداد محمود عطا الله، عام ١٩٨٣.

٥- فهرس مخطوطات المكتبة الأحمدية في عكا، إعداد محمود عطا الله، عام ١٩٨٣.

٦- فهرس مخطوطات المكتبة الإسلامية في يافا، إعداد محمود عطا الله، عام ١٩٨٤.

٧- فهرس مخطوطات كلية الدعوة وأصول الدين، إعداد أحمد العي، عام ١٩٨٦.

٨- فهرس المخطوطات المحفوظة في مكتبة مجمع اللغة العربية الأردني، إعداد محمد علي العناسوة، ١٩٩٨.

ومن عناية المجمع بإحياء التراث وتحقيقه أنّه أدرج عنواناً مستقلاً في كل عدد من أعداد مجلته يعنى بكتاب من كتب التراث جمعًا وتصنيفًا وتحقيقًا وتحليلاً وتيسيرًا ونشرًا.

رابعًا: المنشورات العلمية والثقافية:

حرص المجمع على إصدار منشورات علمية وثقافية في مجالات متنوعة بين ترجمة أمهات المصادر في العلوم التطبيقية والصحية وإصدار مجلته بواقع عددين في كل عام، وإصدار عدد من المصطلحات التي يقرها مجلس المجمع، ونشر كتب المواسم الثقافية التي يقيمها كل عام، ونشر بعض فهارس المخطوطات الموجودة في المكتبات العامة والخاصة في فلسطين المحتلة، وتحقيق بعض كتب التراث، ونشر بعض المؤلفات التي تعنى بقضايا اللغة العربية.

ونورد هنا بعضًا من منشوراته العلمية والثقافية على سبيل الذكر لا الحصر:

المنشورات العلمية:

١- حساب التفاضل والتكامل والهندسة التحليلية ج١، ج٢، ط٢، تأليف أيرك و. سووكوفسكي، ترجمة د. أحمد سعيدان، د.أحمد علاونة، د. محمد عرفات النتشة، د. وليد ديب، د. ديب حسين، د. حسن العزة، راجعه وأشرف على إخراجه د. أحمد سعيدان، ١٩٧٩م.

٢- البيولوجيا ج١، ج٢، تأليف ريتشارد أ.جولد سبي، ترجمة د. عدنان علاوي، د. حميد الحاج، د. أحمد الديسي، د. ناجي أبو رميلة، د. سامي عبدالحافظ، راجعه وأشرف على إخراجه د. عدنان علاوي، ١٩٨٠م.

٣- الجبر المجرد بطريقة التعليم الذاتي النشط، تأليف: نيل ديفدسون وفرانس جيوليك، ترجمة د. ديب حسين، مراجعة د. محمد عرفات النتشة وأشرف على إخراجه د. أحمد سعيدان ١٩٨٢م.

٤- الجيولوجيا العامة، تأليف: روبرت ج فوستر، ترجمة د. عبدالقادر عابد، د. شاكر رسمي المقبل، د. سعد حسن الباشا، راجعه وأشرف على إخراجه د. عبدالقادر عابد، ١٩٨٠م.

٥- الكيمياء العامة، تأليف: فريدريك رلونجو، ترجمة د. مروان كمال ود. عادل جرار ود. ربحي الزرو ود. سليمان سعسع ود. عدنان أبو صالح، راجعه وأشرف على إخراجه د. إسحق أحمد فرحان ١٩٨١م.

٦- الكيمياء الحيوية للخلية وعلم وظائفها، تأليف: ادواردز، ك.أ هسال، ترجمة وإخراج د. إلياس بيضون، راجعه د. عدنان علاوي، ١٩٨٦.

٧- الكيمياء غير العضوية ج١، ج٢، تأليف: ج.ي هيوهي، ترجمة د. حمدالله الهودلي، ود. منار فياض، راجعه وأشرف على إخراجه د. عادل جرار، ١٩٨٣م.

أمّا المنشورات الثقافية:

- مجلة المجمع، يصدر المجمع في كل عام عددين من مجلته التي يطرح فيها موضوعات ذات صلة باللغة العربية.

خامسًا المواسم الثقافية:

يقيم المجمع في كل عام موسمًا ثقافيًا يدعو للمشاركة فيه العلماء والمفكرين العرب، وتناقش فيه موضوعات ذات صلة باللغة العربية

والحضارة العربية الإسلامية، كسبل تيسير العربية والتحديات التي تواجهها، ودور وسائل الإعلام في إشاعتها، وضرورة النهوض باللغة العربية في التعليم العام والتعليم العالي...إلخ، ثم يقوم المجمع بنشر هذه المشاركات في كتاب خاص للإفادة منه.

وتستمر مسيرة المجمع اليوم بجهود أعضائه وبجهود العاملين فيه. واستمر المجمع يعج بالأنشطة والفعاليات وهو في حالة حراك دائم، ومن هذه الإنجازات التي نفخر بها:[١]

- **إنشاء إذاعة المجمع:**

انطلق البث التجريبي لإذاعة المجمع في منتصف أيار سنة ٢٠١٧، ثم افتتح البث الرسمي يوم الاثنين الأول من كانون الثاني لعام ٢٠١٨. وهي إذاعة تبث برامجها باللغة العربية الفصيحة، وتهدف في برامجها تلك إلى الارتقاء بالذوق العام والحفاظ على اللغة والنهوض بها، وتدور محاور هذه البرامج في حقول الأدب واللغة.

- **مشروع مكتبة الأطفال:**

سعياً من المجمع للارتقاء بالذائقة اللغوية لدى الأطفال، وتشجيعهم على المطالعة، وخلق روح المبادرة، وغرس الانتماء للغة العربية في نفوسهم، وتنمية مهاراتهم والتعرف إلى المجمع عن قرب والإفادة من نشاطاته فتح المجمع أبواب مكتبته والبهو المقابل لها، كل يوم سبت من الساعة العاشرة صباحًا حتى الساعة الثالثة مساء ليرتادها الأطفال من مختلف الفئات العمرية

---

١. موقع مجمع اللغة العربية الأردني على الشابكة.

في المملكة، لتشكيل فرق من الأطفال للقراءة والكتابة والخط العربي. وأحسب أننا بأمس الحاجة إلى هذا المشروع لنربط النشء بلغتهم وثقافتهم ونجذّر فيهم هويتهم اللغوية.

وقد أحسن المجمع عندما أردف ذلك وتوّجه بفتح باب المسابقات لهذه الفئة فخصص للأطفال: مسابقة أحب لغتي العربية فئة الخط العربي، وفئة النص النثري. ومسابقات بعنوان لغتي هويتي فئة المبادرات اللغوية، وفئة الرسم، كما فتح المجال لغيرهم من الفئات العمرية الأخرى، حيث أقام العديد من المسابقات الثقافية في مجالات الترجمة والتأليف، والصحافة، والخط العربي للكبار.

وهذا تجسيد لرؤية المجمع ورسالته في أنّ اللغة العربية هوية الأمة وركيزة وحدتها ووعاء ثقافتها وحضارتها ووسيلة التواصل بين أبنائها، وتعميم استخدامها في سائر مناحي الحياة.

مذكرات التفاهم والاتفاقيات:

مذكرة تفاهم بين مؤسسة ولي العهد ومجمع اللغة لتنفيذ مبادرة "ض"

وقّع مجمع اللغة العربية الأردني مذكرة تفاهم مع مؤسسة ولي العهد للتعاون حول تنفيذ مبادرة "ض" وهي إحدى مبادرات مؤسسة ولي العهد التي أطلقها صاحب السمو الملكي الأمير الحسين بن عبدالله الثاني، ولي العهد، الهادفة إلى الحفاظ على مكانة اللغة العربية وألقها، والعمل على تطوير تقنيات تمكينها رقمياً وإثراء المحتوى العربي على الشبكة العنكبوتية. وتعد هذه المذكرة إطار تعاون عام، تتيح المجال للتعريف بنواحٍ جديدة للعمل المشترك ضمن مشروعات أهمها: إنشاء مركز حوسبة للغة العربيّة، ومركز تعليم اللغة العربيّة للناطقين بغيرها، ومركز للخط العربي، إضافة إلى تطوير وحدة قياس امتحان الكفاية، وإنشاء نادي التحرير اللغوي، ورعاية عدد من الفرق التطوعية، وجاءت المذكرة انطلاقاً من رسالة المجمع الرامية إلى تعميم استخدام اللغة العربية السليمة في سائر مناحي الحياة والحفاظ على سلامتها والنهوض بها، وحرصاً من مؤسسة ولي العهد على العمل لبناء مستقبل مشرق لشباب الأردن، وتوجيههم للمشاركة في خدمة وتطوير مجتمعاتهم وتولّي مسؤولية القيادة، وتحفيزهم نحو الابتكار والريادة، وانبثاقاً من المبادرات التي أطلقتها في جميع محافظات المملكة.

وتهدف مبادرة "ض" إلى إعداد سفراء للغة العربية يعملون على تعزيز استخدامها في مختلف ميادين المعرفة، وإنشاء وتعزيز عدد من المنصّات للتواصل باللغة العربية، واستخدامها في جميع مجالات الحياة العملية والعلمية والتكنولوجيّة. هذا ويتخلل المبادرة تنفيذ عدد من الفعاليات في مختلف محافظات المملكة بالتعاون مع المؤسسات والجهات ذات العلاقة.

مذكرة تفاهم بين مجمع اللغة ورابطة علماء الأردن

انطلاقاً من حرص مجمع اللغة العربية الأردني ورابطة علماء الأردن على تعزيز اللغة العربية السليمة بوصفها ركيزة أساسية لوحدة الأمة ونهضتها، فقد وقّع المجمع مع رابطة علماء الأردن، مذكرة تفاهم تتضمّن إخضاع منتسبي الرابطة لامتحان الكفاية في اللغة العربية الذي يعقده مجمع اللغة بهدف تقييم المستوى اللغوي لديهم.

واشتملت المذكرة على عقد دورات في المهارات النحوية والصرفية والإملائية والأساليب اللغوية بناءً على نتائج الامتحان لمن تشير نتائجهم إلى حاجتهم لذلك.

مذكرة تفاهم مع رابطة الكتاب الأردنيين

وقع مجمع اللغة العربية الأردني مذكرة تفاهم مع رابطة الكتاب الأردنيين، بشأن تعزيز التعاون الثقافي بين المجمع ورابطة الكتّاب من خلال إقامة نشاطات ثقافية مشتركة، في سبيل خدمة العربية وحمايتها وكذلك التعاون والعمل المشترك بينهما ضمن محاور عدّة، شملت إطلاق مبادرة "كلّنا معلمون للغةِ العربية"، والتعاون مع وزارة التربية والتعليم بضرورة تعزيز التأهيل التربوي للمعلمين الجدد وإعداد مساقات كافية باللغة العربية.

كما تضمنت الاتفاقية إطلاق مسابقة وطنيّة لغويّة لطلبة المدارس والجامعات في الخطابة وإنشاد الشعر والنصوص النثرية، ومسابقة وطنيّة إبداعيّة (مَسْرَحيّة نص تراثي بلغة عربية سليمة تحاكي قضايا العصر)، ومسابقة عربيّة لأفضل برنامج أطفال يهدف إلى تطوير اللغة العربية.

وأخيرًا وتقديرًا لهذه الجهود العظيمة فقد حصد المجمع العديد من الجوائز والأوسمة تقديرًا لدوره في خدمة اللغة العربية، منها:

وسام الاستقلال من الدرجة الأولى

منح جلالة الملك عبدالله الثاني ابن الحسين المجمع وسام الاستقلال من الدرجة الأولى في الاحتفال الذي أقيم بمناسبة عيد الاستقلال الثالث والسبعين لدوره في الحفاظ على اللغة العربية واستخدامها في سائر مناحي الحياة باعتبارها هوية الأمة وركيزة وحدتها ووعاء حضارتها، ولإسهاماته الريادية في تفعيل قانون حماية اللغة العربية، وتبنيه لعدد من مشاريع التعريب والترجمة والحفاظ على اللغة والتراث العربي الإسلامي، وفوزه بالعديد من الجوائز على مستوى الوطن العربي.

جائزة محمد بن راشد للغة العربية

فاز المجمع بجائزة محمد بن راشد للغة العربية في محور السياسة اللغوية والتخطيط والتعريب عن فئة أفضل مبادرة في السياسة اللغوية والتخطيط المتمثلة في قانون حماية اللغة العربية.

جائزة الملك فيصل العالمية للغة العربية

فاز المجمع بجائزة الملك فيصل العالمية للغة العربية والأدب للعام ٢٠١٧، وبذلك يكون المجمع أول مؤسسة أردنية تحقق هذا الإنجاز منذ انطلاق هذه الجائزة، وقد جاءت هذه الجائزة تعبيرًا عن الجهد المتواصل للمجمع في مجالات اللغة ولا سيما الترجمة والتعريب، وقد منحت هذه الجائزة تقديرًا للمجمع على جهوده العلمية في ترجمة العلوم والتقنية ونقل المصطلحات العلمية ووضعها في السياق العربي.

نهاية المطاف:

إنّ مجمع اللغة العربية الأردني استطاع أن يحقق الأهداف التي أقيم من أجلها وقام بدوره خير قيام، وأثمر عن جهود عظيمة في ميادين اللغة العربية، سواء أكان في إحياء التراث أم في التعريب، أم في التأليف والترجمة، أم المشاركة في النشاطات الثقافية المحلية والعربية والدولية، حيث يسعى دائمًا إلى توثيق صلاته مع المجامع الأخرى ويفتح أبوابه لجميع محبي اللغة العربية. وقد استطاع المجمع أن يحرز مواقع متقدمة بين مجامع اللغة العربية الأخرى ويحصد العديد من الجوائز تقديرًا لجهوده المميزة.

الأستاذ الدكتور عبد الكريم خليفة
معلماً وتربوياً

الدكتور عبد الكريم الحياري

الخميس ٢٥ ربيع الآخر ١٤٤٢هـ - ١٠ كانون الأول ٢٠٢٠م

بسم الله الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على رسوله الكريم.

أشكر لمجمع اللغة العربية الأردني أن أتاح لي الفرصة أن أتحدث عن إنسان أحببته، وأستاذ ترك في نفسي من الأثر ما لم يتركه غيره ممن أخذت العلم عنهم. كنا في السنة الأخيرة في ثانوية السلط في العام الدراسي ١٩٦٤-١٩٦٥، وكنا نصدر مجلة حائط، واقترح بعض الزملاء، أذكر منهم الأستاذ سليمان القضاة الذي أصبح فيما بعد رئيس تحرير مجلة الرأي - اقترحوا أن نجريَ مقابلة مع الدكتور عبدالكريم خليفة في قسم اللغة العربية وآدابها في الجامعة الأردنية، التي كانت قد بدأ التدريس فيها قبل نحو عامين من ذلك الوقت، ولا أعرف إن كانت تلك هي المرة الأولى التي أسمع فيها اسم الدكتور عبدالكريم خليفة، ولست على يقين من أنني كنت أعرف أو يعرف غيري من زملائي أن الدكتور يمكن أن يكون شخصاً آخر غير الطبيب الذي نقصده لتلقي العلاج.

بعد أقل من سنة من إصدار مجلتنا تلك وجدت نفسي أجلس على مقعد الدراسة أمام الدكتور عبدالكريم خليفة، وأخذت العلم عنه أعواماً أربعة، عدتُ بعدها إلى ثانوية السلط معلماً، وفي أثناء زيارتي لمكتبتها -وكانت آنذاك مكتبة تزخر بالكتب التراثية والمعاصرة- استرعى انتباهي كتاب عنوانه التربية وأصول التدريس لعبدالكريم خليفة، مطبوع في حلب عام ١٩٤٨، ولم أكن قد سمعت به من قبل، وهذا يؤشّر إلى معلم بارز في شخصية الدكتور خليفة، وهو تفاديه الحديث عن نفسه وإنجازاته، وهذه صفة راسخة في

شخصيته، وهو بذلك قد جعل الحديث عنه أمراً ليس في غاية اليسر والسهولة، بل صعّب البحثَ في جوانب شخصيته، ما كان منها متعلقاً بالتربية أم بغيرها. خليفة صاحب شخصية غنية متعددة الأبعاد ولكنها شخصية لا تفصح عن نفسها بسهولة، وإنما تحتاج إلى غير قليل من الجهد في تبيّن معالمها. كان وقوعي على ذلك الكتاب مفاجأة حقيقة، واكتشافاً جديداً، فعلى مدى أربع سنوات من اتصالي به، لم يكن في حديثه ما يوحي بأن له اهتماماً بالمسألة التربوية أو نظريات التربية الحديثة، فضلاً عن أن يكون له مؤلف فيها.

لم تنقطع صلتي بأستاذنا الدكتور بعد التخرج، فقد داومت على المجيء من السلط للقائه، والاستفادة من علمه وخبرته. وانتظمت بعد سنتين من التخرج في برنامج الدبلوم في كلية التربية في الجامعة الأردنية، مما أتاح لي فرصاً أكثر للقائه ومواصلة الأخذ عنه، وفي الوقت نفسه الذي أنهيت فيه برنامج الدبلوم في التربية كانت الدراسات العليا في قسم اللغة العربية وآدابها قد بدأت، وإذا بي أعود من جديد طالباً على مقاعد الدراسة بين يديّ أستاذنا الجليل. وفي هذه الأثناء أسست جامعة اليرموك، وكنت مع ثلاثة من الزملاء من طلاب الدراسات العليا قد رشحت للابتعاث من جامعة اليرموك، على أن رغبة أساتذتنا في القسم كانت في أن أعتذر لجامعة اليرموك، ليُصار إلى ابتعاثي من الجامعة الأردنية، وقد ترددت في الأمر، وكان للدكتور عبدالكريم خليفة أثرٌ بالغ في أن عدلتُ عن جامعة اليرموك إلى الجامعة الأردنية. وذهبت إلى الدكتوراه لأعود بعدها عضواً في هيئة التدريس في القسم الذي كان رئيساً له، ولم تنقطع صلتي به بعد أن ترك القسم إلى مجمع اللغة العربية

الأردني، فقد كنت مواظباً على زيارته، مشاركاً في كثير من نشاطات المجمع، ولا سيما ما كان منها ذا طابع تربوي، ومن ذلك المشاركة في تأليف الكتب المدرسية، وامتحان الكفاية في اللغة العربية، والمؤتمرات والندوات التي لها علاقة بتعليم اللغة العربية.

هذا موجز لصلتي بالدكتور خليفة التي امتدت على مسافة خمسة وخمسين عاماً، وإنما سقته لأن كثيراً مما يمكن الحديث عنه من الجانب التربوي عنده مؤسسٌ على صلتي به وما احتفظت به الذاكرة من ملاحظات في أثناء دروسه أو رئاسته للقسم أو المجمع. إضافة إلى ما دونّه من أفكار وآراء احتفظت بها مؤلفاته. وهكذا فإن حديثي في الصفحات القادمة سيكون مقسوماً قسمين اثنين: الأول يتناول عبدالكريم خليفة معلماً في قاعة الدرس، والمرجع في ذلك ما رآه وسمعه طالب في دروس الدكتور خليفة، والقسم الثاني يتناوله تربوياً بالرجوع ما تضمّنته كتاباته الكثيرة من مسائل تربوية. وربما ظهرت بين حين وآخر مناسبة لعقد الصلة بين الجانبين، مما يفضي إلى وصل النظرية بالتطبيق، والفكرة بالممارسة العلمية.

- ب -

كانت بداية رحلتنا مع أستاذنا رحمه الله في مرحلة البكالوريوس، وفيما ذكرته سابقاً ما يبيّن أن له اهتماماً بالنظرية التربوية منذ وقت مبكر في حياته، وقد بدا أثر ذلك واضحاً جلياً في دروسه ومحاضراته، ولعلّي أذهب إلى القول إنه أكثر أساتذتي الذين تلقيت العلم عنهم وضوحاً في منهجه التعليمي، فهو يصدر في دروسه عن تصوّر متماسك للأهداف وطريقة التدريس.

محاضرات الدكتور عبدالكريم خليفة في مرحلة البكالوريوس كانت تسير وفق خطّة لا تنحرف عنها، تستند إلى تصوّر للهدف من هذه المرحلة، وهي إعداد متخصصين ومشاريع باحثين، فكانت محاضراته مقسومة بين جوانب ثلاثة تتضافر فيما بينها وتتكامل لكي تصل بالمتعلم إلى ذلك الغرض المنشود، أولها نص المحاضرة إذا جاز التعبير، وتتألف من مجموع الأفكار والمعلومات والمسائل التي تقدّمها المحاضرة، وفي ظني أن المقصود بها أن تكون الحدّ الأدنى من المعرفة التي ينبغي للمتعلم أن يحيط بها في هذه المرحلة، مرحلة البكالوريوس، التي تؤلف القاعدة الأفقية للمتخصص. والجانب الثاني يتمثّل في النقاش الذي يدور حول تلك المسائل والأفكار، وهذا النقاش يزيد تلك المسائل وضوحاً ويكشف عن جوانبها وأبعادها المختلفة. أما الجانب الثالث، فقد كان يحظى عنده بأهمية بالغة، وهو ما يعمله الطالب في غير وقت المحاضرة مما يتعلق بمادتها وموضوعها.

طالب العلم في الدراسات اللغوية والأدبية ينبغي أن يكون على صلة مستمرة بالمكتبة، وفي إعداد هذا الطالب تؤازر المكتبة قاعة الدرس، وتتقاسمان هذه المهمة مناصفة. لا بد عند الدكتور عبدالكريم خليفة من أن يرجع الطالب باستمرار إلى المكتبة ويستعمل المصادر والمراجع بنفسه، وهذا أمر لا يقل في أهميته عن المحاضرة نفسها، بل أظنّ أنه يتفوّق عليها في نظره، وآية ذلك ما نراه من مذهبه في مسألتين لهما صلة وثيقة بما نحن فيه، بل لا يمكن عزل أيّ منهما عن الموضوع الذي نتحدث فيه.

فأما المسألة الأولى فهي الدراسة الجامعية النظامية في مقابلة الدراسة بالانتساب، وهذه مسألة كانت في تلك الأيام موضوعاً متداولاً وموضع نقاش

وأخذ وردّ، وللدكتور عبدالكريم خليفة رأي حاسم حازم في هذا الموضوع، يكررّه ويلحّ عليه، وهو أن الدراسة الجامعية إنما تكون بالانتظام، فطالب الجامعة لا بد له من أن يعيش الحياة الجامعية بمختلف جوانبها، وأن يتفاعل مع أساتذته وزملائه، وأن يغني تجربته الجامعية بكل ما تتيحه له الجامعة من مرافق ونشاطات وتنوع في الخبرات والبيئات والثقافات التي يتميّز بها المجتمع الجامعي، لا أن يقتصر الأمر على تقديم امتحان في نهاية العام في مقررات وكتب.

وأما المسألة الثانية فهي الكتاب المقرّر. وهذه مسألة لا يقلّ رأي الدكتور خليفة فيها حسماً وجزماً عن مسألة الانتساب، وهو يلحّ عليها إلحاحاً شديداً كما هي الحال في موضوع الانتساب، من غير المقبول في مذهبه أن يكون التعليم الجامعي مبنيّاً على كتاب بعينه يدرسه الطالب ويقدّم امتحاناً فيه، فهذا تعليم مدرسي يحول دون اتصال الطالب المباشر بالمصادر والمراجع، الخطة الدراسية عند الدكتور خليفة تتضمن مع المحاضرة قراءات محددة من مراجع ومصادر مختلفة تفتح أمام الطالب آفاقاً واسعة للاطلاع على آراء ووجهات نظر ومعالجات متنوعة في الموضوع المدروس.

ومذهب الدكتور خليفة هذا فيه إغناء لتجربة الطالب الذي ما زال على عتبات مادة التخصص، ويفضي إلى اتساع ثقافته وتنوّعها، وفيه، بعد ذلك، جانب على قدر كبير من الأهمية في مذهب خليفة ومنهجه. العلوم الإنسانية مادة مفتوحة للنقاش، قابلة للاختلاف في وجهات النظر وتعدّد الآراء، ولكن الطالب يأتي من المدرسة وهو يظنّ أن ما قرأه في الكتب المدرسية حقائق ثابتة، وأمور مقررة، وهذا هو ما كان الدكتور خليفة حريصاً على نفيه

واستبعاده من أذهان طلابه، فقد كان يؤكد باستمرار أن لا أحد يستطيع أن يدّعي أنه قد قال الكلمة النهائية في أي موضوع مما يتعلق بالدراسات الأدبية واللغوية، وأن البحث فيها إنما هو في المقام الأول إثارة أسئلة أكثر مما هو في تقديم إجابات، وأن الأجوبة فيها لا تعدو أن تكون آراء ووجهات نظر، هي بطبيعتها موضوعات تحتمل الخلاف وتعدّد الآراء والمذاهب، ومن هنا فقد كان لا يتوقف عن توجيه طلابه إلى النأي بأنفسهم عن الأحكام المطلقة والتعميمات الجارفة، وإلى أن يكونوا أكثر تحفظاً في آرائهم وأحكامهم، فقد كان ينهى عن استعمال عبارات قاطعة من مثل "لا شك" و"لا ريب" ونحوهما، وينصح بالعدول عنها إلى عبارات متحفّظة نحو "في رأيي"، و"في ظني"، و"على الأرجح" و"لعلّ" و"ربما" و"يغلب على الظن" وغير ذلك من طرق التعبير التي لا تغلق الباب أمام الرأي المخالف في مسائل هي في طبيعتها أمور خلافيّة.

وقد ألزم الدكتور خليفة نفسَه هذا المنهج الذي كان يسعى إلى بنائه في نفوس طلابه وعقولهم؛ لقد كان في محاضراته ومناقشاته بعيداً عما نهى عنه، ومما يتصل بذلك أشدّ الصلة هو أنه لم يستخدم محاضراته ونفوذه الفكري العميق في نفوس طلابه – لم يستخدم ذلك في الترويج لمذهب فكري بعينه، أو حمل طلابه على السير في اتجاه سياسي ما. عندما كان يحاضر فينا في النصف الثاني من ستينيات القرن الماضي كان البلد يزدحم بالاتجاهات الفكرية والسياسية، وأنت تحسُّ وأنت تستمع له كأنما هو بمعزل عنها، وهذه لعمري هي الخطة التي ينبغي أن يأخذ بها نفسه من تصدّر للتعليم، فمهمته ليست في تجنيد أنصار أو أتباع لمذهب فكري أو سياسي يتبنّاه، وإنما هي في

فتح آفاق لطلابه وتثقيفهم وتنشئتهم على التفكير السليم وتنمية روح السؤال عندهم، ثم تركهم بعد ذلك يختارون لأنفسهم ما يريدون من مذاهب واتجاهات في الفكر أو السياسة.

هذه أمور تتصل بما يدور في المحاضرة أو الدروس في القاعة، ولكنني ذكرت أن المحاضرة ليست سوى جزء من طريقة التدريس في منهج الدكتور عبدالكريم خليفة، والجزء الآخر يتمثل في الأعمال التي يكلّفها الطالبُ خارج جدران القاعة التدريسية، وهذه الأعمال أو النشاطات يمكن تصنيفها في بابين اثنين، أحدهما يتضمّن بحثاً يكتبه الطالب في مدة زمنية ليست قليلة، (وكان النظام المتّبع في ذلك الوقت هو النظام السنوي قبل أن تتحوّل الجامعة إلى نظام الفصول والساعات المعتمدة)، وهذا البحث يتطلب وقتاً، ويقتضي الرجوع إلى مصادر ومراجع متعددة، والآخر يتمثّل في تقارير موجزة وتحقيقات سريعة لمسائل لغوية أو التعريف بكاتب أو شاعر وما إلى ذلك من نشاطات كان من الواضح أن المقصود بها أن يظلّ الطالب على صلة مستمرة بالمكتبة، واتصال مباشر مع مصادر المادة الدراسية ومراجعها.

والدكتور خليفة يصدر في هذا عن تصوّره لوظيفة الجامعة والفرق بينها وبين غيرها من المعاهد ومؤسسات التعليم، فالجامعة ليست مجرد مكان لتخريج متعلمين وإعدادهم للوظائف الحكومية أو القطاع الخاص، وإنما وُجدت لإعداد متخصصّين وباحثين ينتظر منهم أو من قسم منهم على الأقل أن يشاركوا في حركة البحث العلمي في المجتمع، ومن ثم فلا بد من تهيئتهم أو تدريب الراغبين والقادرين منهم على الوفاء بهذه المهمة التي تنتظرهم، ومن نافلة القول أن نذكر ههنا أن هذا الأمر لا يتحقق بكمية المعلومات التي

اختزنتها ذاكرة الطالب، ولا يقاس بحجم المادة التي يعرفها، بل لا بد أيضاً من أن يرافق ذلك مهارة الطالب في الوصول إلى المعلومات وتقييمها وتمييز الغثّ من السمين فيها؛ أن يكون إذا استعرنا عبارة الزمخشري في شروط مفسّر القرآن "آخذاً من سائر العلوم بحظّ، جامعاً بين تحقيق وحفظ"[١]، فالمعلومات موجودة متاحة للناس، من دخل الجامعة ومن لم يدخلها، والمهمّ هنا هو القدرة على محاكمتها والموازنة بينها، وما زلنا حتى الآن نحن طلاب الدكتور خليفة، نتذكر قوله إذا عرضت مسألة أو أثير سؤال: "حقّقها". ولا يخفى أن طريقته هذه لا يمكن فصلها عن مذهبه في التعليم النظامي الذي سبقت الإشارة إليه، فمثل هذه النشاطات البحثية والتحقيقات لا يتيحها التعليم بالانتساب.

وإذا كانت هذه هي معالم طريقته في التدريس في المرحلة الجامعية الأولى، مرحلة البكالوريس، وما رأيناه فيها من عناية كبيرة بالبحث وتفريع الأسئلة واستثارة المسائل، فإن من الطبيعي والمتوقع أن يكون الاهتمام بها أكبر، والعناية بها أشدّ في المراحل الجامعية اللاحقة، في الماجستير والدكتوراه. الطالب في مرحلة البكالوريس درس المواد أو الجوانب المتعلقة بموضوع تخصصه دراسة أفقية فتكوّنت لديه قاعدة معرفية في تلك الجوانب، ونال قسطاً ما من التدريب على كيفية الوصول إلى تلك المعرفة وتناولها أو معالجتها، أما في الدراسات العليا، فقد جاء وقت الدراسة العمودية المتعمّقة في مسائل بعينها من موضوعات التخصص، وآن للطالب، ولعلنا نسمّيه في هذه المرحلة الدارس، آن له أن يفيد من التدريب الذي تلقّاه، ومن المهارات

---

١. الكشاف، ٣/١.

التي تكوّنت لديه، في إجراء أبحاث حقيقة فعلية تتوافر فيها شروط البحث العلمي من استقصاء وتحليل واجتهاد وما إلى ذلك من شروط كان يُتساهل فيها في المرحلة السابقة. ولعلّ هذا ما كان في ذهن الدكتور خليفة عندما درسنا على يديه في مرحلة الماجستير، كان يختار لنا موضوعاً بعينه في المادة المدروسة أو مقطعاً من مقاطعها، ثم يقترح علينا عناوين لأبحاث تتناول ذلك الموضوع أو المقطع من جوانبه المختلفة، فيكون محوراً لها تلتقي حوله. وبعد أن يختار كلّ منا عنواناً منها، ويفرغ من كتابة بحثه فيه، يعرضه أمام زملائه، ويستمع إلى ملاحظاتهم عليه ويجيب عنها، ويناقشونه ويردّ عليهم، ويكتفي الدكتور خليفة بالإشراف على المناقشة، وتنظيم الحوار، ووضع حدّ بصرامته المعهودة لما قد يؤدي إليه الجدل بين الزملاء من تجاوزات أو انحراف عن أصول الحوار العلمي، وقد ينتهي الأمر بصاحب البحث الذي لا يفلح في إقناع المجموعة بأدائه أو حسن معالجته للموضوع إلى أن يطلب إليه إعادة كتابة بحثه. كان اختياره للمحور الذي تتناوله أبحاث طلابه اختياراً موفقاً للغاية، له أسباب أو مسوّغات، فقد كان محور أبحاثنا في موضوع الأدب العباسي المعتزلة، إذ إنها أهم حركة فكرية في ذلك الوقت، وتركت تأثيرات بالغة في الأدب والفكر في شتى المجالات، وكثير من أعلام اللغة والنقد والأدب من رجالاتها، وفي مادة الأدب الأندلسي كان محور الدراسة مملكة غرناطة، آخر ممالك العرب في الأندلس، إذ إن الدراسات فيها، عندما كنا طلاباً قبل نحو نصف قرن، كانت قليلة جداً، وحاجتها إلى الدراسة والبحث فيها ملحّة. وكانت دروس الدكتور خليفة مجالس بحث حقيقية يتدرب فيها الطالب على الحوار العلمي ناقداً أو مفسّراً لآرائه أو

مدافعاً عنها، وغير خافٍ ما لذلك من أثر في تهيئة الدارس للموقف الذي تناقش فيه رسالته العلمية فيما بعد، وجلوسه بين يديّ هيئة المناقشة آنذاك.

مما سبق يتبيّن أن للدكتور خليفة تصوراً واضحاً ومتماسكاً عن عملية التدريس من حيث أهدافها، ومن حيث الوسائل المؤديّة إلى تحقيق تلك الأهداف، فهو يصدر في طريقته في التدريس عن رؤية لها ملامحها وأبعادها، ومن المؤكّد أن عمله في إعداد المعلمين ووقوفه على أساليب التدريس المختلفة كما يتبيّن من كتابه "التربية وأصول التدريس" كان لهما تأثير كبير في وضوح تلك الرؤية وتماسك جوانبها. ولقد دعا في ذلك الكتاب إلى أن يكون للمعلم فلسفة خاصة به[١]، وإذا نظرت في سيرته التعليمية فإنك واجد أنه قد طبق هذا المبدأ على نفسه، فكان نموذجاً للأستاذ والمربيّ الذي يصحّ أن يقال فيه إنه صاحب مذهب في التعليم له جوانب يؤازر بعضها بعضاً ويأتلف من مجموعها أسلوب في التدريس يتميّز به عن سواه ممن عرفناهم، وهو أسلوب مبنيّ على تحديد الأهداف المنشودة واختيار الطريقة المناسبة للوصول إليها؛ إنه مذهب رجل اتصل بالفكر التربوي منذ وقت مبكّر، درسه ودرّسه، مما أقدره على صياغة تلك الطريقة التي اختصّ بها.

- ج -

ثمة أشياء كثيرة يمكن تناولها عند الحديث عن عبدالكريم خليفة أستاذاً ومربيّاً مما لا تتسع له المقالة، ولعلّي أكتفي هنا بإشارات سريعة. كان الدكتور عبدالكريم خليفة حريصاً الحرص كلّه على مراعاة الأنظمة والتعليمات التي وضعت لضبط المسيرة التعليمية، لا يتهاون في أمرها، ولا

١. انظر التربية وأصول التدريس، ص١٦٩-ص١٧٠.

يسمح بالخروج عليها مهما كانت الأسباب أو المسوّغات، فكان صارماً حازماً في تطبيقها، وحمل الطالب على الامتثال لها. كان يحدّد موعداً يقدّم فيه الطلاب أبحاثهم، وحدث معي مرّة أن اقترب الموعد المضروب وكان صعباً عليّ أن أقدم البحث في موعده، فراجعته لإمهالي بعض الوقت، وبسطت له أعذاري، ولكنه أصرّ على أن أقدم بحثي في الموعد المحدد. وفي سنتي الجامعية الأولى، تعرّضت –ولما يمضِ على التحاقي بالجامعة شهر واحد– لحادث سير ألزمني الفراش ثلاثة أشهر ونصف، ولما عدت إلى الجامعة كان زملائي يستعدون لتقديم امتحانات بعد بضعة أيام، أقل من أسبوع، وراجعت أساتذتي لعلهم يرجئون امتحاناتي ريثما أتمكن من الاستعداد لها، ووافق بعضهم، وكان الدكتور خليفة من بين الذين أصرّوا على أن أقدم الامتحان مع زملائي الآخرين في موعده المقرّر.

ومع كل هذا الحزم والصرامة فقد كان الدكتور خليفة أبعد ما يكون عن الاستبداد والتسلّط والتجبّر، بل كان أبوياً في معاملته لطلابه، بشوشاً ليّن الجانب، قريباً إلى النفس، يستقبل طلابه في مكتبه في كل وقت، لا يقيم حاجزاً بينه وبينهم. كان وقوراً مهيباً، ولكنه كان في الوقت نفسه أنيساً رفيقاً ليّناً، يعامل طلابه كأبنائه، لا يميّز بينهم، فكان فيه وقار الأب ومهابته، ومحبته لأبنائه، وفي الوقت نفسه كان يسعى إلى تخريج جيل منضبط.

كان الدكتور خليفة عاشقاً للغة العربية، يتعبّد في محراب العربية وفكرها وتراثها، وكان له موقف مناهض للعاميّة ودخولها ميدان الدراسة، ومع ذلك فإنه لم يكن من أولئك الذين يصرّون على الحديث بالفصحى في خارج قاعة التدريس، ولا أرى سبباً لذلك إلا في أنه كان بعيداً عن التكلّف، ولا يخفى أن

التزام الحديث بالفصحى في المعاملات اليومية والأسواق مثلاً لا يخلو من تكلف، كما أن هذا يشير إلى جانب آخر في شخصيته، وذلك أنه كان يُطبق المبدأ القائل: لكل مقام مقال، سواء أكان ذلك في مجال العامية والفصحى أم في غيرها، فهو في قاعة الدرس أكاديمي بحت لا يخرج عن موضوع المحاضرة إلى غيرها، فإذا جلستَ إليه في مكتبه في الجامعة أو في مجمع اللغة العربية الأردني وجدته يخوض في موضوعات شتى فكرية وسياسية ونحو ذلك، وفي الحالين لا تسمع منه ما يتعلّق به شخصياً، فإذا زرته في بيته، فقد أتيحت لك الفرصة لأن تعرف شيئاً ما عن سيرة حياته وما يتعلق بشخصه. لقد جلسنا إليه سنوات طوالاً ونحن لا نكاد نعرف شيئاً عن حياته أو عائلته، بل كان –على غير ما هو معهود– غير معنيّ بأن يعرّفنا أسماء مؤلفاته. ومسألة الفصيحة والعامية عنده هي في ظنّي واقعة في هذا السياق، فالفصحى هي لغة التدريس والعلم والثقافة والأدب، وليس من الطبيعي التزامها في الأسواق والمناسبات الاجتماعية. لقد كان مصرّاً إصراراً لا يلين على ألا تدخل العامية أو الأدب الشعبي إلى ميدان البحث والدراسة، ولكن للعامية وجودها الخاصّ بها، وعندما كنّا نؤلف الكتب المدرسية التي تولى المجمع الإشراف عليها، كتبت في خطة التأليف وأنا أعرف عداءه للعامية وظننت أنني أسرّه بذلك – عن الألفاظ التي "شوهتها" العامية في لفظها أو معناها، فاعترض على عبارة "شوّهتها"، مما دفعني إلى أن استبدل بها عبارة تختلف في لفظها ومعناها، إنه ينكر على الذين يستخدمون العامية في التدريس إنكاراً شديداً، ولا يقبل أن تكون موضوعاً للدراسة، ولكنها لغة التعامل اليومي ولا يمكن إنكار ذلك. إن ثنائية العامية والفصيحة كما سيأتي موجودة عند العرب كما هي موجودة عند غيرهم، والمهم كما يُفهم من كلام

الدكتور خليفة ألا تنازع العاميةُ الفصيحة في المجالات المختصة بالفصيحة، وفي مقدمتها التعليم.

-د-

كلام الدكتور خليفة في المسألة التعليمية هو كلام من مارس التعليم في جميع مراحله كما قال في بعض كتاباته[١]، ولكن صلته بالتعليم لا تقف عند حدود خبرته الطويلة الممتدة في هذا الشأن، بل قرن النظرية بالتطبيق، فقد اتصل بالفكر التربوي اتصالاً مباشراً كما ذكرت، وألف فيه. وقد أشرت سابقاً إلى كتابه المبكّر التربية وأصول التدريس، وهو كتاب مطبوع في حلب في الوقت الذي كان فيه معلماً في دور المعلمين والمعلمات في حلب، ألفه لطلابه آنذاك، ولعله كان مجموع محاضراته التي ألقاها عليهم. وقد قصد بهذا الكتاب أن يكون مرجعاً شاملاً يهتدي به من اختار أن ينتظم في سلك التعليم ، فهو يتناول في أربعة وعشرين فصلاً المسألة التعليمية من جوانبها المختلفة حتى لا يكاد يترك جانباً منها، فهو يتحدث عن المدرسة والغاية منها، ومبادئ التربية الحديثة وطرق التعليم العامة مثل طريقة المشروع وطريقة الوحدات وطريقة الإلقاء وهكذا، ويتناول طرق التدريس الخاصة بكل مادة من المواد الدراسية على اختلافها من التاريخ إلى الجغرافيا إلى الحساب إلى الهندسة والطبيعة والصحّة والرياضة البدنية والرسم والأشغال اليدوية والتدبير المنزلي وهكذا. وقد حظيت اللغة العربية باهتمام خاص، إذ خصّص لها سبعة فصول من كتابه (٩-١٥) تحدث فيها عن اللغة العربية وأصول تدريسها، وطرق تدريس فروعها من القراءة والإنشاء والقواعد والإملاء إلخ... كما

---

١. الموسم الثقافي السابع والعشرون لمجمع اللغة العربية الأردني، ص١٤.

عقد فصلاً للحديث عن المعلم ونشاطه الثقافي والمسلكي، وفصلاً تناول فيه المديرين والمعلمين وخدماتهم المتقابلة، كما تناول في فصول أخرى وسائل الإيضاح والواجبات المدرسية والمناهج والبرامج المدرسية، وانتخاب الكتب واستعمالها، وأصول التهذيب الخلقي. وهكذا جاء الكتاب شاملاً للجوانب المتعددة المتعلقة بالعملية التعليمية، لا يكاد يترك منها شيئاً ما عدا الامتحانات ووسائل التقويم.

ويحسن بنا أن نقتبس ههنا ما قاله الأستاذ وهبي الوفائي في تقديمه لكتاب التربية وأصول التدريس، يقول: "فهذا الكتاب الذي وضعه الأستاذ النابه عبدالكريم خليفة مدرس التربية وأصول التعليم والفلسفة في دار المعلمات بحلب لطلاب دور المعلمين والمعلمات يسد فراغاً جللاً في خزانة الكتب العربية، وإنه لجدير بأن يطالع ويطبق ما فيه لما حواه من فصول تناولت أصول الإدارة والتعليم. ولما فيه من توجيه حميد، يسهل الطرق ويحل المشاكل ويدل على أقوم الأصول فيما وضع له، وقد قصد به النفع العام، وخليق بكل مؤلف أن يسير على غراره. وخليق بكل معلم أن يعي هذا الكتاب ويسلك منهجه ليكون ملمّاً بسرّ مهنة التعليم مستنيراً به لأداء الرسالة"[١].

والكتاب كما ذكرت قُصد به أن يكون مرجعاً لطلاب دور المعلمين والمعلمات، ولذلك تجده يهتم بما يتعلق بالمدرسة الابتدائية بصورة خاصة، إذ إن هؤلاء الطلاب يعدوّن للتعليم في المرحلة الابتدائية، وهو يتناول طريقة تدريس المواد الدراسية التي كانت تدرس آنذاك في المدارس السورية[٢]، ويعرض طرق التدريس، مبيّناً مزايا الطريقة وعيوبها، مشيراً في أثناء ذلك

١. التربية وأصول التدريس، ص"هـ".

٢. انظر المرجع نفسه، ص٨.

إلى الكثير من التربويين مثل جون ديوي وهربارت وهيلين باركهرست وغيرهم. ومما يستدعي الانتباه ما تناوله الكتاب في الفصل الأخير (الرابع والعشرين) من حاجة المعلم إلى الفلسفة، فكل امرئ له فلسفة في الحياة، فأفكاره في الحياة تؤلّف فلسفته، و"تتضمّن فلسفة المعلم عن الحياة نظراته إليها وإلى التربية وكيفية تقديره الأمور، وعلى كل معلم أن يجتهد لأن يوجد لنفسه مقياساً حقيقياً للأشياء"[١]، وعبدالكريم خليفة لا يتحدث عن "المعلم الذي يشتغل لمجرد اكتساب النقود ولأجل القيام بعمل ما فقط، أو لأنه لم يتحضر لوظيفة أخرى"، فهذا "قد أخطأ في اختيار المهنة"[٢]. المعلم المقصود هنا هو ذلك الذي اختار التعليم رغبة فيه، لا لأنه لم يجد عملاً غيره، ويجب على هذا "المعلم أن يكون له مثل أعلى في الحياة، وأن يتّخذ لنفسه فلسفة خاصة، يخلص لها ويعمل على تحقيقها، أما ما ينشأ عن هذه الناحية من المحاذير، وأهمها تشتّت أهداف المعلمين باختلاف هذه الفلسفات الخاصة... فلن يكون ذا ضرر، لأن واجبات دور المعلمين والمعلمات توجيه هؤلاء المعلمين وجهة موحدة، ولذا فالمحافظة على الوحدة العامة في هذه المبادئ وتلك الفلسفات هي من واجب دور المعلمين والمعلمات"[٣]. هذا نوع من التعدّد أو التنوع في إطار الوحدة، وهذه الوحدة تضمنها الأصول العامة للتربية والطرق المقررة في تعليم المواد الدراسية، ولكن لكل معلم شخصيته المستقلة واجتهاده الخاص به بما لا يتعارض مع مبادئ التربية وأصول التدريس التي تلقاها في دور المعلمين أو المعلمات.

---

١. التربية وأصول التدريس، ص١٦٩.

٢. المكان نفسه.

٣. المرجع نفسه، ص١٧٠.

"لكل شيخ طريقته"، هذه عبارة كانت كثيراً ما تتردّد على لسان الدكتور عبدالكريم خليفة، وقد رأينا أن له في التدريس مذهباً خاصاً به، وطريقة ميّزته عمّن سواه، ولا نذهب بعيداً إذا قلنا إن ذلك يعود في جذوره الأولى إلى كتابه المذكور، وإن كثيراً من الآراء التي ظلّ يقول بها ترجع في أصلها إلى كتابه المبكّر هذا. وما ذكرناه عن اهتمامه بعودة الطالب الجامعي إلى المكتبة نجد له ما يوازيه في هذا الكتاب من عنايته بتوجيه المعلم حتى في المرحلة الابتدائية الدنيا (حسب المصطلح الدارج في ذلك الوقت) إلى اختيار الكتب التي يقرؤها الطلاب بما يناسب مستوياهم وأذواقهم ورغباتهم، فهو يؤكّد أن من المهم جداً "أن تجهّز مكتبة المدرسة والصفوف بأحسن ما كتب من كتب الأطفال، فيصبح مجال الاختيار عندهم واسعاً"[١]. وإذا كان يرفض مبدأ الكتاب المقرّر لدى طالب الجامعة، فإنه يذهب إلى أن "من المستحسن ألا يقتصر المعلم [في المدرسة الابتدائية] في هذا الأمر على كتاب واحد، بل عليه أن يحثّ التلاميذ على مطالعة الأبحاث في كتب متنوعة، ويعوّدهم تلخيص ما استفادوه من المطالعة، وتثبيته بخلاصات ومقتبسات يكتبونها على كراسات"[٢]، وهو ينصح المعلم بعدم "التقيد بمادة الكتاب والاكتفاء بها، فأكثر الكتب المدرسية موجزة ومرتبة ترتيباً قد لا ينطبق على عقلية الطالب، لذلك يطلب المعلم الماهر أحياناً من طلابه أن يرجعوا إلى مصادر أخرى ليوسعوا معلوماتهم أكثر مما في الكتب المقررة"[٣].

---

١. التربية وأصول التدريس، ص٨٣، وانظر ص٨٨ وما بعدها.

٢. المرجع نفسه، ص٦٠.

٣. المرجع نفسه، ص٤٤.

وما أشرنا إليه سابقاً من مشكلة العامية والفصيحة نجده يتناوله في كتابه هذا فهو يتشدّد في أن تكون اللغة التي يتعلمها الطلاب هي اللغة العربية السليمة، وفي الوقت نفسه يؤكد أن اللهجات العامية "بنفسها لا تشكّل خطراً على الأمة، وليست مشكلة بحد ذاتها، فاللهجات تختلف في البلدان العربية كما تختلف في إنجلترا نفسها وغيرها من البلدان اختلافاً عظيماً في اللفظ والشكل"[١]. إن ثنائية العامية والفصيحة تفرض على المعلم عبئاً في الانتقال بالطالب من لغة البيت إلى لغة المدرسة، "وإذا كانت لغة المدرسة، أي اللغة الصحيحة، محترمة، ولغة البيت لا يُهزأ منها ولا تعتبر انحرافاً خلقياً، فليس في وجود لغتين ما يُخجل منه، أو يُعاب عليه"[٢].

ويستوقفنا حقاً –ونحن معنيّون ههنا بما له صلة بتعليم اللغة العربية تحديداً– أن عبدالكريم خليفة قد تناول أهداف تعليم اللغة، وقرّر "أن أهم هذه [الأهداف] جميعاً أن تمرّن المدرسة طلابها على التفكير الواضح الصحيح؛ إذ يستحيل الوضوح في التعبير إذا لم يكن الفكر واضحاً"[٣]. وهو يحيل في ذلك على علم النفس (وقد أكّد أن المعلم يحتاج في عمله إلى معرفة علم النفس، فضلاً عن الفلسفة)، "فقد عرفنا في أبحاث علم النفس أن بين اللفظ والفكر نسبة نفسية تؤثر إحداهما بالأخرى"[٤].

هذا الربط الوثيق بين اللغة والفكر الذي يؤكّده عبدالكريم خليفة قبل اثنين وسبعين عاماً هو ما أصبح المؤلفون في أساليب تعليم اللغة العربية يهتمون به

---

١. التربية وأصول التدريس، ص٧١.
٢. المرجع نفسه، ص٧٢.
٣. المرجع نفسه، ص٦٧.
٤. المرجع نفسه، ص١٠٥.

في العقود الأخيرة، ويؤكدون أن التفكير عملية مرافقة لكل من المهارات اللغوية الأربع، فلا يمكن أن نتخيّل شخصاً يقرأ أو يستمع أو يكتب أو يتكلّم "دون تفكير"[١]، بل ذهب بعضهم يعدون التفكير مهارة لغوية خامسة تضاف إلى المهارات الأربع المعروفة[٢] (القراءة والكتابة والمحادثة والاستماع).

وعبدالكريم خليفة يذهب إلى أبعد من ذلك، فالعلاقة بين الفكر واللغة عنده ليست مجرّد علاقة مصاحبة أو مرافقة، بل إن بينهما تلازماً، فلا وجود لأحدهما دون الآخر. وهذه مسألة ستترك آثاراً بعيدة في فكره التربوي، فهي الأساس الذي استند إليه في إلحاحه الشديد على أن تكون العربية لغة التدريس في جميع المراحل وفي جميع المباحث، ما عدا مبحث اللغة الأجنبية، كما سنتحدث عنه فيما بعد.

- هـ -

"التربية وأصول التدريس" هو الكتاب الذي وقفه الدكتور عبدالكريم خليفة على المسألة التعليمية من جوانبها المختلفة، وله مؤلفات أخرى متأخرة كثيراً عن هذا الكتاب تناول فيها تلك المسألة من هذه الناحية أو تلك، فقد اشترك مع الدكتور عبدالعزيز الدوري والدكتور محمود الغول في تصنيف كتاب "الفكر التربوي في الإسلام"[٣]، كما أن له بحثاً بعنوان "تأهيل أعضاء هيئة التدريس

---

١. محمد حبيب الله، أسس القراءة، ص٨.

٢. فتحي يوسف وعبدالله الكندري، اللغة العربية للمبتدئين، ص٤٢؛ وانظر عبدالكريم الحياري، بناء المهارات اللغوية لدى طلبة الصفوف الأربعة الأولى، الموسم الثقافي الثامن والعشرون لمجمع اللغة العربية الأردني، ص٤٧٤ وما بعدها .

٣. منشورات المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية (مؤسسة آل البيت)، ١٩٨٢، وهو كتاب يوثق المسائل التربوية التي تناولتها المؤلفات العربية الإسلامية في أماكنها المختلفة.

وتمكينهم من النهوض بأعباء التدريس باللغة العربية"، وتطرق إلى جوانب من المسألة التعليمية في كتابه "تيسير العربية بين القديم والحديث"، كما أن له ملاحظات وآراء في هذا الشأن يمكن تتبعها في مواضع متعددة، ولا سيما كلماته التي كان يفتتح بها مؤتمرات مجمع اللغة العربية ومواسمه الثقافية.

ولئن كان كتابه في التربية وأصول التدريس كتاباً عاماً في التربية وطرق تدريس المواد التعليمية المختلفة كما ذكرنا، فلقد كانت آراؤه ونظراته فيما يتصل بالمسألة التعليمية في كتبه اللاحقة تتناول موضوع اللغة العربية بخاصة، وذلك ناشئ عن أن كتابه المذكور هو أقرب إلى أن يكون كتاباً تعليمياً ألّفه لطلابه في دور المعلمين والمعلمات، فكان من الطبيعي أن ينحو فيه منحى عاماً يتحدث فيه عن طرق تدريس المواد المختلفة التي سيتولى أولئك الطلاب تدريسها. أما مؤلفاته المتأخرة، فقد صنفها عندما تفرّغ لتدريس اللغة العربية وآدابها في الجامعة، وفي أثناء رئاسته مجمع اللغة العربية الأردني، فكان أن اتجهت عنايته إلى ما له صلة بتعليم اللغة العربية على وجه الخصوص.

على أن اهتمامه الأكاديمي باللغة العربية تحقيقاً ودراسة وبحثاً شغله عن أن يجمع آرائه في تعليمها في مؤلف مستقل. وكنا نودّ لو أنه وضع مؤلفاً كهذا بما تجمّع لديه من خبرة واسعة ممتدة في التعليم وفي مراحله المختلفة، مضافاً إليها رسوخ قدمه في النظرية التربوية ومبادئها وفي أساليب التدريس ومزاياها وعيوبها. ولا يتسع المقام ههنا للخوض في آرائه ونظراته على نحو تفصيلي، ولعل من الدارسين من ينهض بدراسة ما تفرق من تلك النظرات في مؤلفاته المختلفة بما يفضي إلى تبيّن معالم مذهبه في تدريس اللغة

العربية. وما يمكننا عمله في هذا الموضع إنما هو الإشارة إلى أهم الأفكار التي حظيت باهتمامه، وهي أفكار أو جوانب يكثر من ترديدها والعودة إليها في كتاباته وأحاديثه.

- و -

النظر في تدريس اللغة على أنها وحدة واحدة من المبادئ الأساسية في تفكير خليفة، وهو يحرص على التنبيه عليها منذ كتابه المبكر في أصول التدريس وفي كتاباته اللاحقة، يقول في هذا الكتاب: "ولا يحسبنّ المعلم أن تدريس اللغة المباشر هو عبارة عن سلسلة من مباحث متقطعة، كالقراءة والخط والتهجئة، والإنشاء والقواعد إلخ. فجميع هذه يجب أن يتمرّن عليها الطالب باعتبار أنها أجزاء لها فائدتها في اللغة، فعلى المعلم أن يربطها. وإذا حاول أن يقسم وقته فيها فقد يصبح تعليمه ميكانيكياً آلياً. وعلى المعلم أن لا يفترض أن السبيل الوحيد للاعتراف بأي جزء من مادة اللغة العربية هو وضع ذلك الجزء في منهج الدراسة. فإن التمرن على النطق الشفوي له شأن كبير ولا يفهم من ذلك أن يكون -للإنشاد [لعلها الإنشاء] الشفوي- مكان خاص في اللغة، فالتمرن على النطق والتعبير الشفهي، يجب أن يوزع على جميع الدروس، ولا ريب أن تدريس كل فرعٍ من فروع اللغة يجب أن يتخذ شكل تدريس النوع الآخر"[١]. ويضرب مثلاً على ذلك من درس الإملاء، فبعد أن يفرغ المعلم من إملاء القطعة يوجّه أسئلة تتناول معاني القطعة، وفي الصفوف العليا يمكن أن يوجّه أسئلة تتعلق باللغة والإعراب وهكذا[٢].

---

١. التربية وأصول التدريس، ص٦٧- ص٦٨.

٢. المرجع نفسه، ص١٠٣.

وعندما نتناول فروع اللغة العربية بالدراسة فإنما يكون ذلك لأغـراض البحث والدراسة والتحليل فحسب، "ونحن إذ ننطلق من النظرة الكلية للغـة، فإن تقديم دراسات مستقلة لقضايا اللغة، إنما يتم في إطار وحدتها، فدراسـة قواعد النحو ودراسة قضايا الصرف وقضايا الإملاء هي دراسـات تتنـاول فروع اللغة، وكذلك فإن إفراد دراسات خاصة لقضـايا اسـتيعاب المقـروء والمسموع والمرئي وتنمية القدرة على التعبير عن كل ما يجول في النفس من أفكار وأحاسيس ومشاعر بلغة عربية سليمة، وبصورة دقيقة وواضحة، إنمـا هو تجزئة لغايات البحث والدراسة، والاقتراب من الأساليب الفضلى لتعلـيم اللغة العربية وتعلمها. وإن الهدف الكلي في ذلك كله يتجسد بتنمية القدرة على الفهم والإفهام وعلى الإبانة بدقة ووضوح"[١].

والطريقة التي تتحقق بها وحدة اللغة العربية هي أن تكـون النصـوص الأدبية، قديمها وحديثها، محوراً للدراسة، فيدرّس النص المختار من وجوهه المختلفة، بحيث يتبيّن للدارس أن هذه مجرد وجوه للشيء نفسـه، وليسـت فروعاً بعضها مستقل عن بعض، يقول: "وتحتلّ دراسة النصـوص الأدبيـة المركز الذي تتجمّع حوله دراسة اللغة من جوانبها المختلفة من حيـث هـي وحدة متكاملة، وتقوم دراسة النصوص الأدبيـة علـى التـذوّق والتحليـل والفهم"[٢].

وقد كان يصدر عن هذه النظرة إلى اللغة عندما كان رئيساً لقسم اللغـة العربية وآدابها في الجامعة الأردنية، فقد كان يرى أن عضو هيئة التدريس لا

---

١. الموسم الثقافي الثاني والعشرون للمجمع، ص٧.

٢. تيسير العربية بين القديم والحديث، ص١٠٥، وانظر تأهيل أعضاء هيئة التدريس، ص١٤.

يجوز أن يظلّ منغلقاً على مادة تخصصه الضيّق يدرّسها فصلاً بعد فصل، ومن هنا فقد كان يقصد قصداً إلى أن يعهد له بتدريس مواد مختلفة في القسم، وقد درسنا على يديه هو نفسه مواد متنوعة مثل الدراسات الإسلامية، وعلوم القرآن وتفسيره، وعلوم الحديث، فضلاً عن الأدب العباسي والأدب الأندلسي. وربما يشير هذا إلى أن الأمر عنده لا يقتصر على وحدة اللغة، بل هو ينظر إلى التراث العربي بمجموعه على أنه جوانب مختلفة من نشاط فكري متكامل يصعب فصل أجزائه بعضها عن بعض، وقد ظهر ذلك في الإنتاج الفكري لعبدالكريم خليفة، وكتابه المتأخر "بحوث في القرآن والحديث واللغة" (٢٠١١) مثلاً شاهد على ذلك. إن الدكتور خليفة في سيرته التعليمية، وفي نشاطه التأليفي، وفي الملاحظات التي سمعناها منه، لهو أقرب إلى أن يكون ممن يأخذون بالمفهوم الواسع للأدب[١] بمعنى التراث الفكري بضروبه المختلفة، وليس بمعناه الضيق الذي يقتصر على الشعر والنثر الفني.

وإذا نظرنا إلى الأمر من منظور أوسع فإننا نجد عبدالكريم خليفة يؤكّد وحدة المعرفة، فالمواد الدراسية ينبغي أن يُنظر إليها على أنها وحدة واحدة تسعى إلى تحقيق غرض عام، "وأنها واسطة للوصول إلى هذا الغرض، وأنها ليست هي الغرض أو الغاية"[٢]. ولهذا فإنه يقرر أن من الواجب أن "نربط مواضيع الدراسة المختلفة بعضها ببعض، وأن نتجنّب ذلك التمييز الفاصل بينها"[٣]. وهذا أمر ينبغي أن يراعيه المعلم وواضع المنهاج أيضاً[٤]. وهو

---

١. انظر في هذا المفهوم، Wellek, and Warren: *Theory of Literature*,20ff.

٢. التربية وأصول التدريس، ص١٠.

٣. المرجع نفسه، ص٥١.

٤. المرجع نفسه، ص٥٥.

ينتقد المعلمين الذين يغفلون عن مراعاة ذلك، فيحلّون الواسطة محل الغاية، وهذا "خطأ... يضيع على الطالب الفائدة الكلية التي يجب أن يستفيدها من المدرسة؛ لذلك على المعلمين أن يراعوا هذه المسألة كل المراعاة"[١].

واللغة العربية، موضع اهتمامنا ههنا، متداخلة مع المواد الدراسية الأخرى، "فمن المستحيل أيضاً أن نعلّم اللغة العربية دون أن نعلّم معها شيئاً آخر"[٢]، وفي مقابل ذلك فإن تعليم اللغة مسألة يشترك فيها معلمو المواد الأخرى أيضاً، "فليست هذه اللغة موضوعاً فردياً مستقلاً في منهج التدريس، بل إنها تتصل بكل مادة على اختلاف أنواع هذه المواد... وليست اللغة العربية كغيرها من مباحث منهج التدريس، بل تدخل في جميع المباحث لأنها وسيلة التعبير عن الفكر والتفاهم"[٣]. تعليم اللغة يتمّ بطريقين: الطريق المباشر المباشر الذي يكون في الدروس المخصصة لتعليم اللغة في المنهج المدرسي، والطريق غير المباشر في دروس المواد الأخرى.

إن كل معلم هو معلم لغة؛ هذا مبدأ تربوي عالمي، وكل كتاب هو في الوقت نفسه كتاب قراءة واستيعاب، "فأي فرق أساسي بين كتاب الجغرافيا أو التاريخ الذي يقرؤه الطالب في درس التاريخ أو الجغرافيا وبين كتاب القراءة الذي يقرؤه في درس اللغة العربية... فدرس أيّ كتاب هو بالضرورة درس لغوي"[٤]. إن اللغة تحيا بالاستعمال، والمواد الدراسية كلها تتيح مجالاً واسعاً لاستعمال اللغة في الحديث والتخاطب، وأياً ما كانت المادة الدراسية، فإن

---

١. التربية وأصول التدريس، ص١٠/ص١١.

٢. المرجع نفسه، ص٦٧.

٣. المرجع نفسه، ص٦٥.

٤. المرجع نفسه، ص٦٦؛ وانظر تيسير العربية، ص١٠٤.

"على المعلم أن يفترض دائماً عدم فهم طلابه لأي مبحث من الأبحاث حتى يستطيع الطلاب التعبير عن أفكارهم بوضوح بلغتهم، وإذا توسّع في موضوعه، وجد أن عمله هو توسّع للغة الوطنية وتقوية لها"[١].

إن عمل معلمي المواد الأخرى مكمّل لعمل معلم اللغة العربية، والوقت المخصّص لمادة اللغة، أي الطريق المباشر، قصير غير كافٍ، ولذلك ينبغي "أن يكون هناك اتصال قريب بين معلمي اللغة الوطنية والمعلمين الآخرين"[٢]. اللغة الوطنية لا تؤخذ من تدريسها مباشرة في الدروس المخصصة لها في المنهاج المدرسي، "بل تؤخذ عن طريق السماع والاستعمال، وهي طريق غير مباشر، والمقدرة على امتلاك اللغة لا تتم إلا لمن أتيحت لهم الفرص وخدمتهم الظروف الكثيرة للتمرّن عليها بالطريق الطبيعي العادي، أي التكلم والتخاطب، وهو طريق غير مباشر"[٣]. ولذلك فإن "على كل معلم لأي مبحث أن يقوم بنصيبه في تعليم اللغة الوطنية عن طريق غير مباشر، وليس هذا العمل إضافياً أو ثانوياً، بل هو أساسي لتدريس أي علم تدريساً ناجحاً"[٤]. والأرجح أن المقصود هنا هو أن تعليم المواد الأخرى يعتمد اعتماداً أساسياً على مدى إجادة الطالب للغة، فهذه المواد تنقل المعرفة إلى الطالب عن طريق اللغة، وإذا لم يكن الطالب متمكّناً من اللغة، فإنه يتعثّر في تعلم تلك المواد ولا تصل إليه المعرفة المطلوبة على الوجه المأمول. وعلى ذلك فإن معلمي المواد الأخرى لا يؤازرون معلم اللغة في عمله فقط، بل يساعدون على تعلّم المواد التي يدرسّونها كذلك.

---

١. التربية وأصول التدريس، ص٦٧.

٢. المرجع نفسه، ص٦٦.

٣. المرجع نفسه، ص٦٥.

٤. المرجع نفسه، ص٦٦.

وعندما نقول إن كل معلم هو معلم لغة، فإن ذلك إنما يتحقّق إذا كان المعلم يلتزم الحديث باللغة الفصيحة السليمة. هذا هو ما يفترض أن تكون عليه الحال، أو ما ينبغي أن يكون، ولكننا إذا جئنا إلى الواقع وما عليه الحال في مدارسنا، فإن معظم المعلمين يدرّسون بلغة هي خليط من العامية والفصيحة، وإذا كان عامة المعلمين يستخدمون هذا الخليط من العامية والفصيحة في تدريسهم، فإن بعض معلمي اللغة العربية نفسها يعلّم بالعامية، "وقد شاهدت معلماً أزهرياً –رحمه الله– يدرّس النحو بلغة عامية، وعندما سألته لماذا يفعل ذلك، وهو شاعر، أجابني: من أجل تفهيم الطلبة"[١]. وهذا الأمر، التدريس بالعامية، لا يقتصر على معلمي المدارس، بل يتعدّاه "إلى معاهد إعداد المعلمين وإلى الجامعات، بل وإلى بعض أقسام اللغة العربية حيث يدرّس كثير من الأساتذة الجامعيين باللغة العامية، وقد يستعملون العامية في مناقشة الرسائل الجامعية في الدراسات العليا"[٢].

وبالنظر إلى أهمية اللغة القومية، وهي العربية الفصيحة هنا، وعدم استخدامها لغة للتدريس عند كثيرين، فإن وزارة التربية والتعليم مدعوّة إلى "أن تبادر حالاً إلى تطبيق المبدأ التربوي العالمي الذي يقضي بأن كل معلم هو معلم لغة... وإن التنفيذ ميسور إذا دعمته سياسية تعليمية وتربوية رشيدة وحازمة، تقوم على احترام المعلم والسهر على تأهيله وتنميته علمياً ولغوياً، ومعاملته معاملة مادية خاصة، ووضع آلية للتنفيذ والمتابعة، وذلك عن طريق

---

١. الموسم الثقافي السابع والعشرون، ص١٥.

٢. المكان نفسه؛ وانظر أيضاً تيسير العربية، ص١٠٤–ص١٠٥؛ تأهيل أعضاء هيئة التدريس، ص١٣.

الإقناع وإثارة كوامن المشاعر السامية في نفس المعلم، والعمل على الاعتزاز بلغة الأمة وهويتها، من ناحية، ومن ناحية أخرى إقامة دورات لغوية وعلمية جادّة ومستنيرة لتأهيل المعلمين ورفع مستواهم العلمي واللغوي"[١].

- ز -

وههنا مشكلة أخرى تتعلق أيضاً بلغة التدريس، وقد حظيت باهتمام كبير من عبدالكريم خليفة في أحاديثه وفي كتاباته، وقد خصّص لمناقشتها بحثاً قائماً برأسه، وتلك هي استعمال اللغات الأجنبية، الإنجليزية في المشرق العربي والفرنسية في المغرب العربي، لغة للتدريس. اللغة العربية مستهدفة "بشتى الوسائل لإقصائها عن مجالاتها الحيوية وإحلال اللغات الأجنبية محلها لا سيما الإنجليزية في المشرق العربي والفرنسية في المغرب العربي في التعليم الجامعي، في جميع مجالاته ومستوياته وفي مؤسسات البحث العلمي... بل واستطاعت هذه السياسة اللغوية المعادية في الوطن العربي بعامة أن تتسلل في [في الأصل إلى] العقد الأول من القرن الحادي والعشرين إلى التعليم الأساسي والثانوي ولا سيما في المدارس الخاصة، بل وإلى رياض الأطفال، وذلك في خِضم سياسة خصخصة التعليم العام وإنشاء الجامعات الخاصة، وكذلك الجامعات الأجنبية، مخالفة لجوهر الدساتير العربية وقوانين التربية والتعليم"[٢].

والدكتور خليفة يؤكّد أن بين اللغة والفكر تلازماً، فالإنسان يفكرّ باللغة، واللغة عامل مهم في تشكيل الفكر الإنساني، فلا وجود لفكر بمعزل عن اللغة،

---

١. الموسم الثقافي السابع والعشرون، ص١٥.

٢. الموسم الثقافي التاسع والعشرون، ص١١.

وهكذا "فإن لغة الأمة هي التي تشكّل تفكيرها، وهذا هو ما نسميه هويتها، ويتضح من ذلك خطأ هؤلاء الذين ينظرون إلى اللغة باعتبارها أداة يستطيعون تغييرها متى شاؤوا، والاستبدال بها لغة حيّة حديثة كاملة الشيوع والانتشار مثل الإنجليزية أو الفرنسية على سبيل المثال. ما أفدح آثار هذه الأخطاء وما تجره من أخطار محققة على هوية الأمة، وعلى تقدمها العلمي والحضاري وإبداعها. فقد جانب الصواب أصحاب القرار التربوي، عندما قرروا، بجرَّة قلم، ودون دراسات علمية ولغوية ونفسية واجتماعية، تدريس اللغة الأجنبية الإنجليزية في المدارس الحكومية، ابتداءً من الصف الأول الابتدائي"[١].

مسألة التعليم باللغات الأجنبية لها جانبان: الأول يتعلق بالتعليم المدرسي، والثاني يتصل بالتعليم العالي. فأما التعليم المدرسي فإن الدكتور خليفة كما رأينا قبل قليل يرفض أن تكون اللغة الأجنبية لغة لتعليم المواد الدراسية في بعض المدارس الخاصة والأجنبية، وهو أيضاً يرفض أن يبدأ تدريس اللغة الأجنبية، باعتبارها لغة أجنبية أو مادة دراسية وليست لغة للتدريس، يرفض أن يبدأ تدريسها منذ الصف الأول، لما يؤدّي إليه ذلك من مزاحمتها للغة العربية، وما يتضمّنه ذلك من أخطار على العربية في هذه المرحلة[٢]، فإن السنوات الأولى في مرحلة التعليم الأساسي ومرحلة ما قبل المدرسة (رياض الأطفال) في غاية الأهمية في بناء شخصية الطفل ولا سيما من الناحية اللغوية[٣]، وينبغي ألا تزاحم لغة أخرى اللغة القومية في هذه السنوات الأولى من التعليم.

---

١. الموسم الثقافي الثالث والعشرون، ص٩، وانظر أيضاً الموسم الثقافي الثامن والعشرون، ص٩.
٢. تيسير العربية، ص١٠٤.
٣. الموسم الثقافي الثامن والعشرون، ص٩– ص١١؛ التربية وأصول التدريس، ص٨، ص١٦٨.

ولئن كان الدكتور خليفة تطرّق إلى مسألة اللغات الأجنبية في التعليم العام في ملاحظات متفرقة هنا وهناك، فلقد وقف وقفة متأنيّة عند موضوع التدريس باللغة الأجنبية في الجامعات في بحثه الذي أشرت إليه قبل قليل. ويضيق المقام ههنا عن أن نتناول بالتفصيل ما عرضه من أفكار وآراء ومقترحات، وإنما نشير إلى بعض ما ذكره.

لقد شهد الوطن العربي زيادة مطّردة في عدد الجامعات، ولكن "المستويات العلمية العالية، والإنجازات المبدعة التي يجب أن يحقّقها التعليم الجامعي في الوطن العربي ما زالت بعيدة عن الواقع، وإن من أهم أسباب هذه النتائج هو التردّد والتلكؤ حتى الوقت الحاضر في تعريب التعليم العالي والجامعي"[١]. واللغة العربية "هي وحدها السبيل إلى الاستيعاب الأصيل لعلوم العصر وتقنياته، وهي السبيل الوحيد لنهضة علمية عربية أصيلة، ومشاركة مبدعة في بناء الحضارة الحديثة. أما اللغات الأجنبية الحيّة، فهي لغات مصادر وتواصل مع الفكر العالمي المبدع في مختلف أقطاره"[٢]. ويضرب الدكتور خليفة أمثلة لدول ورثت قروناً ثقيلة من التخلف، ثم استطاعت أن تصل إلى مستويات عالية من التقدم كاليابان والصين، "وما كان من الممكن مطلقاً أن تصل اليابان إلى ما وصلت إليه من ذروة العلم والتقنيات الحديثة إلا من خلال لغتها اليابانية، وكذلك القول في الصين"[٣].

ولدى الدكتور خليفة أمل كبير في أن يشهد المجتمع العربي نهضة علمية واسعة، والجامعات هي المكان الذي يُنتظر أن تنطلق منه هذه النهضة،

---

١. تأهيل أعضاء هيئة التدريس، ص٢-٣.

٢. الموسم الثقافي الرابع عشر، ص٨.

٣. تأهيل أعضاء هيئة التدريس، ص٩.

وأعضاء هيئة التدريس فيها هم "جوهر وجودها"، ولا يمكن لهذه النهضة أن تضرب بجذورها ما لم تكن اللغة العربية هي لغة التدريس ولغة البحث العلمي أيضاً، يقول: "إننا بالفعل أمام ثورة علمية لا بد قادمة، لكي تزيل ما تراكم من غبار القرون في التخلف والجهل، وتصهر من جديد ما تراكم من مخلفات الاستعمار، لكي تزيل الأوشاب، ويظهر من جديد عنصر هذه الأمة سليماً نقياً لكي تعاود مسيرتها المبدعة في ركب العلم والحضارة الإنسانية. إن التعريب، واستعمال اللغة العربية لغة التدريس الجامعي في جميع مستوياته ومجالاته، ولغة البحث العلمي والتقنيات الحديثة، هي القاعدة الأساسية التي تبنى عليها ركائز هذه الثورة العلمية المقبلة إن شاء الله. ومن دون ذلك يصبح كل تخطيط لا معنى له، لأنه يكون قد خالف طبائع الأشياء ونواميس التقدم والرقي. وفي مجال هذا التخطيط، يهمنا في هذا البحث، جانب واحد من جوانب قضية التعريب، هو الجانب الذي يتعلق بكيفية الوصول بعضو هيئة التدريس في جامعاتنا العربية، ولا سيما في الكليات العلمية إلى المستوى اللغوي اللائق لكي يستطيع أن يتكلم ويكتب بلغته العربية بشكل سليم، وإن كان الهدف البعيد الذي يجب أن تسعى إليه جامعاتنا العربية هو أن يكون المتخصص في أي علم من العلوم على معرفة واسعة باللغة العربية إلى جانب إتقانه لغة أو لغتين من اللغات العالمية الحية"[١].

ويؤكّد الدكتور خليفة مرّة بعد أخرى أن التدريس بالعربية ضرورة علمية فكرية مثلما أنه ضرورة قوميّة، "فلا وجود لأمة عربية، ولا لنهضة علمية أصيلة، ولا لفكر مبدع بغير اللغة العربية السليمة (الفصيحة)"[٢]. إن استخدام

---

١. تأهيل أعضاء هيئة التدريس، ص١٠-١١.

٢. الموسم الثقافي التاسع والعشرون، ص١١؛ وانظر تيسير العربية، ص٥.

العربية لغة للتدريس والبحث العلمي هو تأكيد لهويّة الأمة، وهو الطريق الوحيد إلى مشاركتها الفاعلة في الحضارة الإنسانية والتقدّم العلمي، وهو في الوقت نفسه الوسيلة إلى وصل الأمة بتراثها العلمي العريق، "وجعلها أكثر قدرة على فهم الحاضر ورؤية المستقبل. وإن الأمة التي لا ماضي لها لا يمكن أن يقوم حاضرها على قواعد إنسانية عريقة، فالماضي أساس الحاضر وتشوف للمستقبل، فقد كان لأمتنا ماضيها المجيد، أفاضت منه على العالم أجمع زمناً طويلاً، يوم كانت العربية لغة العلم والحضارة"[١]. والتدريس بغير العربية يؤدّي إلى عدم تمكّن عضو هيئة التدريس من اللغة العربية، فإن اللغة إنما تحيا بالاستعمال، وإلى عزوفه عن الاتصال بالتراث العلمي العربي، "وربما دفعه هذا الحال من عدم الثقة بالنفس إلى استعلائه على مواطنيه بهجره لغتهم إلى التحذلق بكلمات وتعابير أجنبية"[٢].

وإذا غضضنا الطرف عن هذه الاعتبارات وغيرها، فإن التعليم بغير العربية تعترضه صعوبات عملية، فأعضاء هيئة التدريس دَرَسوا في جامعات متعددة على مستوى العالم من اليابان إلى روسيا إلى ألمانيا وإيطاليا وغيرها، فكيف نكلّف من تخرّج في جامعة يابانية أو إسبانية أو يوغوسلافية مثلاً أن يدرّس باللغة الإنجليزية؟ يتحدث الدكتور خليفة عن "تعدّد المصادر الثقافية والعلمية التي تشارك في التكوين العلمي والثقافي لهؤلاء العلماء"، وإن من السخرية، كما يقول، أن يُطلب إلى "خريجي هذه الجامعات المشهورة في ألمانيا أو روسيا أو غيرها أن يدرّس باللغة الإنجليزية مثلاً معتمداً على ما تبقّى عنده مما تعلّمه في المرحلة الثانوية، في حين يُفترض فيه العجز سلفاً

---

١. الموسم الثقافي الثاني عشر، ص٨.

٢. تأهيل أعضاء هيئة التدريس، ص٥.

في التعبير بلغته القومية التي رضعها مع لبان أمّه، وتعلّمها وتعلّم بها في كثير من مراحل التدريس"[١]. وما يدعو إلى مزيد من السخرية أن "المدرّس الجامعي الذي نال جميع شهاداته باللغة البولونية أو الروسية أو الألمانية مثلاً، ولكي يعيّن للتدريس بكلية تدرّس باللغة الإنجليزية، توفده هذه الجامعة أو تلك إلى بلد ناطق بالإنجليزية لكي يعود ليدرّس باللغة الإنجليزية، في حين تنكر عليه مقدرة التعبير بلغته القومية التي نشأ وترعرع في أحضانها"[٢].

وإذا كان ثمّة من يحذّر من انحدار مستوى التعليم وضعفه إذا ما أصبح التدريس باللغة العربية، فإن الدكتور خليفة يرى أن الأمر على العكس من ذلك تماماً. إن المدرّس بلغة أجنبية "قد تجذبه المادة الجاهزة [الموجودة في المصدر الأجنبي]، ويميل به الكسل إلى تكرارها دون أن يتفهّم دقائقها تفهّماً عميقاً"[٣]. المدرس هنا يكتفي بإعادة ما ورد في المصدر الأجنبي، ويستسهل ذلك، ومن ثمّ فإن احتمال ألا يكون قد فهمه على الوجه الصحيح يظلّ قائماً وغير مستبعد، فليس ثمة من دافع يحمله على بذل الجهد في فهم ذلك وتبيّن دقائقه وأبعاده. وهذا الاحتمال غير وارد عندما يعبّر عن ذلك المضمون الأجنبي أو ينقله إلى اللغة العربية، فإن الترجمة لا بد من أن يسبقها فهم معنى الكلام المراد ترجمته قبل نقله إلى لغة غير لغته؛ "إن عضو هيئة التدريس الذي يستوعب مادة تدريسه ويحقق مستوى علمياً ممتازاً في أثناء تدريسه الجامعي بلغة أجنبية، سيرتفع مستوى تدريسه، عندما يعبّر باللغة العربية، لغته القومية. والسبب في ذلك أنه بحاجة إلى استيعاب المضمون في مصادره

---

١. تأهيل أعضاء هيئة التدريس، ص٤.

٢. المرجع نفسه، ص٥.

٣. المرجع نفسه، ص٦.

الأجنبية وفهمه وهضمه ثم التعبير عنه باللغة العربية... فهو في مثل هذه الحال يرى أن من واجبه أن يستوعب المصطلحات والمفاهيم التي وردت عند المؤلف، وأن يستبدل بها صيغاً بلغته العربية، وفي ذلك ما فيه من عملية ذهنية نشطة ومبدعة"[١].

ويشير الدكتور إلى تجارب فردية وجماعية في تدريس العلوم باللغة العربية، ولا سيما تجربة جامعة دمشق والجامعات السورية، لتكون شاهداً على خطأ من يرى أن تدريس العلوم باللغة العربية يؤدّي إلى تدنّي المستوى، أو تعترضه صعوبات وعقبات لا سبيل إلى تذليلها أو التغلب عليها؛ "إن القضية لا تتعلّق باللغة العربية، من حيث هي لغة، ولكنها تتعلق بعوامل أخرى غريبة عن مصلحة الأمة، كما هي غريبة عن لغتها وتراثها"[٢]، إنها الحرب النفسية التي تشنّها وسائل الإعلام خارجياً وداخلياً، والسياسات التي تدفع إلى عدم الثقة بالنفس، وترسّخ الشعور بتفوّق الأجنبي، وإنها العولمة التي تسعى إلى استلاب الإنسان العربي وإقصائه عن لغته العربية، اللغة الجامعة، وثقافته العربية الإسلامية، لتنتهي به إلى أن يكون مستهلكاً للثقافة الغربية وحدها وقيمها وعاداتها وطرائق حياتها[٣].

المسألة، كما تقدّم القول، ليست في اللغة العربية نفسها، فقد ظلّت قروناً متعاقبة لغة العلم والفكر والحضارة، واستطاعت أن تستوعب العلوم على

---

١. تأهيل أعضاء هيئة التدريس، ص٦.

٢. المرجع نفسه، ص٤.

٣. بحوث في القرآن والحديث واللغة، ص٢٩٥؛ الموسم الثقافي التاسع والعشرون، ص١١؛ تأهيل أعضاء هيئة التدريس، ص٥.

اختلافها، وتجاوزت ذلك إلى الإبداع والابتكار فيها، فأضافت إليها إضافات جليلة، وكانت حلقة مهمة في سلسلة التطور الحضاري الإنساني[١]. وليس ثمّة ما يحول دون أن تستأنف اللغة العربية ما أدّته بنجاح باهر في أن تكون لغة للعلوم والفنون الحديثة. المسألة سياسية بالدرجة الأولى: "أن تتّخذ الدولة قراراً سياسياً في أعلى مؤسساتها التشريعية، بوجوب جعل اللغة العربية لغة البحث العلمي والتدريس في جميع مراحله الابتدائية والإعدادية والثانوية والجامعية والدراسات العليا، وذلك لكي تأخذ على عاتقها الدعم المادي والمعنوي من أجل تنفيذ هذه النقلة التاريخية"[٢].

فإذا اتخذ هذا القرار السياسي، وأخذ طريقه إلى التنفيذ، فإن ثمة أمراً آخر يتصل بأعضاء هيئة التدريس يتطلّبه نجاح التعريب في التعليم الجامعي، فلا بدّ من اقتناعهم بضرورة التعريب، ووجود حوافز كافية تدفعهم إلى بذل الجهد في التعريب، والوصول بهم إلى مستوى لغويّ لائق يمكّنهم من استعمال اللغة العربية تدريساً وتأليفاً. ويرى الدكتور خليفة أن تأهيلهم لغوياً يكون على مرحلتين: قبل الخدمة، وفي أثنائها[٣].

والتأهيل قبل الخدمة، أي قبل انضمامهم إلى الهيئة التدريسية الجامعية يعود بنا إلى مرحلة التعليم المدرسي، فالإعداد اللغوي في هذه المرحلة قبل التعليم الجامعي يشكل الأساس المهم في تأهيل هؤلاء الذين سيواصلون دراساتهم وينتهي بهم الأمر إلى التدريس في الجامعات، وبعضهم قد يكون

---

١. الموسم الثقافي الحادي والعشرون، ص٧.

٢. تأهيل أعضاء هيئة التدريس، ص٢٢، وانظر ص٣؛ انظر أيضاً تيسير العربية، ص١٢٢؛ بحوث في القرآن والحديث واللغة، ص١٥٧.

٣. انظر تأهيل أعضاء هيئة التدريس، ص١١ وما بعدها.

انتقل من المدرسة مباشرة إلى الدراسة في الجامعات الأجنبية. وبالنظر إلى ما نراه من ضعف لغوي لدى الطلاب في هذه المرحلة، فإن معالجة هذا الضعف ضرورة ملحّة في السياق الذي نحن فيه. ولا بد أيضاً من رفع مستوى الطالب الجامعي في اللغة العربية، فمعظم أعضاء الهيئة التدريسية نالوا الدرجة الجامعية الأولى من جامعات عربية قبل إيفادهم إلى الجامعات الأجنبية. وهنا "فإن من المفروض أن تحدّد الجامعة مستوى معيناً في اللغة العربية يجب أن يجتازه جميع طلبة الجامعة مهما كانت تخصصاتهم"[١]، وأن تدعم ذلك بإعداد برامج في الدراسات العليا الغرض منها تمكين الدارس من استخدام اللغة العربية في مجال تخصّصه، وأن يكون ذلك مما يُنظر إليه عند تعيين أعضاء الهيئة التدريسية.

على أنه ليس بمقدورنا أن نعرف متى نصل إلى الهدف المرجوّ من معالجة الضعف في اللغة في المدرسة والجامعة، وفي انتظار أن يتحقّق ذلك فإن الجامعات مدعوّة إلى البدء في إعداد برامج لرفع مستوى الأداء اللغوي بالعربية عند أعضاء الهيئات التدريسية فيها في أثناء الخدمة، أي بعد تعيينهم. من المهم جداً، بالنظر إلى هذا التسارع الهائل في تطوّر العلوم، أن تعمل الجامعات على وضع برامج موجّهة إلى أعضاء الهيئات التدريسية فيها لتحديث معلوماتهم وتطوير أنفسهم، ومتابعة ما يستجدّ في مجال تخصّصاتهم، في "ترجمة عملية لمفهوم التربية المستمرّة أو الدائمة في عصر هذه الثورة العلمية"[٢]. وفي هذا الإطار من التدريب المستمرّ في أثناء الخدمة، يأتي وضع برنامج مستمرّ لتأهيل أعضاء هيئة التدريس كي يصبحوا قادرين على التدريس والبحث العلمي والتأليف باللغة العربية.

---

١. تأهيل أعضاء هيئة التدريس، ص١٤.

٢. المرجع نفسه، ص١٦.

ويتناول الدكتور خليفة بعضاً من جوانب هذا البرنامج المقترح مشيراً إلى أنه يجب أن يتخذ من النص محوراً أساسياً له، وعن طريق هذه النصوص المختارة التي تتناول مجال التخصص لعضو الهيئة التدريسية يستطيع "أن يربط العلم الحديث بجذوره التاريخية التي تمتدّ عميقة في هذا التراث العربي، ليحقّق بذلك انطلاقة الأصالة العلمية إلى جانب الإثراء اللغوي في التعابير والمصطلحات"[١].

على أن فاعلية عضو هيئة التدريس تبقى محدودة ما لم توجد البيئة العلمية الخصبة التي تحتوي على وسائل وإمكانيات تساعد في نجاح عملية التعريب، من أهمها إنشاء مراكز علمية متخصصة في الحقول العلمية كافة، لجمع المؤلفات والنشرات العلمية، وتصنيفها وفهرستها، وإنشاء مركز رئيسي للتعريب والترجمة والنشر لنقل التقنيات والعلوم الحديثة إلى العربية، وتوفير المصادر والمراجع العلمية باللغة العربية في جميع التخصصات[٢].

- ح -

مسألة التعريب، تعريب العلوم ولغة التدريس الجامعي والبحث العلمي، هي إحدى مسألتين شغلتا الدكتور خليفة "منذ سنين عديدة... دراسة وتمحيصاً وتأملاً"[٣]، وأما الأخرى فهي الضعف في اللغة العربية، ويحيل في هذا السياق على المادة الثانية من الدستور الأردني: "اللغة العربية هي اللغة الرسمية"، وعلى قانون التربية والتعليم الذي نصّ على "أن اللغة العربية ركن

١. تأهيل أعضاء هيئة التدريس، ص١٨.
٢. انظر المرجع نفسه، ص١٩- ص٢٠.
٣. تيسير العربية، ص٥.

أساسي في وجود الأمة العربية..."، ويقتبس من أهداف التعليم في المرحلة الأساسية "أن يتقن الطالب المهارات الأساسية للغة العربية، بحيث يتمكّن من استخدامها بسهولة ويسر"، ومن أهداف التعليم الثانوي "أن يستخدم [الطالب] لغته العربية في تعزيز قدرته على الاتصال، وتنمية ثقافته العلمية والأدبية، ومراعاة مقوّمات البناء اللغوي الصحيح للغة، وتذوق فنونها"[١].

وإذا قارنا هذه الأهداف بما هو موجود فعلاً، فإننا سنجد "الصورة قاتمة"[٢]، وسنجد أنفسنا أمام "حقائق محزنة"[٣]، فالطالب العربي "يدرس اثنتي عشرة سنة مثلاً، لغة ونحواً وصرفاً من بين موادّ أخرى يدرسها جميعاً بالعربية، إذا استثنينا اللغة الأجنبية، كما هو الحال في الأردن وفي معظم الأقطار العربية، ومع ذلك فإن هذا الطالب في غالب الأحيان لا يستطيع أن يعبّر عن نفسه كتابة أو شفاهاً، بلغة عربية سليمة، وخالية من الأخطاء الفاحشة. وكذلك الحال بين عامة المثقفين، وفي وسائل الاتصال الجماهيرية، من إذاعة مسموعة ومرئية وصحف ومجلات وغيرها، إذ لا تكاد اللغة المحكية والمكتوبة، في أحسن أوضاعها، تخلو من مثل هذه الأخطاء النحوية واللغوية المشينة"[٤]. فإذا انتقلنا من مرحلة التعليم العام إلى التعليم الجامعي، فإننا نجد الضعف مستشرياً بين خريجي الجامعات، بل يتعدّى الأمر إلى المتخصصين في اللغة العربية من المتخرجين في أقسام اللغة العربية ليس في المرحلة الجامعية الأولى، بل بين طلاب الدراسات العليا كذلك[٥].

---

١. الموسم الثقافي السابع والعشرون، ص١٣.

٢. المكان نفسه.

٣. تأهيل أعضاء هيئة التدريس، ص١٢.

٤. تيسير العربية، ص٦.

٥. الموسم الثقافي السابع والعشرون، ص١٤.

ولا يجد الدكتور خليفة حاجة إلى الخوض في مسألة الضعف اللغوي من حيث أسبابها وطرق علاجها، "فقد أقيمت ندوات في هذا الموضوع، ووُضعت توصيات مهمة، ولكنها مع الأسف تنتظر طريقها إلى التنفيذ"[١]، وقد اكتفى في هذا الشأن بملاحظات متفرّقة نثرها في كتاباته المختلفة، ولعله يرى أن لها أهمية خاصة، كما يتبيّن من حرصه على الإشارة إليها في غير موضع. وههنا عرض موجز لجملة من الأفكار التي تتردّد في كتاباته في هذا الشأن نشير إليها بالقدر الذي يتسع له المقام:

- القضية الأساس، كما يقول، إنما هي في السياسة التعليمية[٢]، وذلك بالتزام التدريس باللغة الفصيحة الميسّرة وحدها في جميع المراحل المدرسية والجامعية على حدّ سواء، وفي المباحث كلها لا يُستثنى منها إلا دروس اللغة الأجنبية. اللغة تحيا بالاستعمال وليس في بطون الكتب؛ هذه عبارة تتردّد في كتابات الدكتور خليفة. إن سماع اللغة واستعمالها في التخاطب هو الطريق الطبيعي إلى تعلم اللغة، وعندما يستمع الطالب إلى النموذج اللغوي السليم على لسان معلّمه في الدروس المختلفة كما في درس اللغة العربية، فإنه يعمد إلى محاكاته. وقد تناولنا هذه المسألة بما فيه مقنع في حديثنا عن استعمال العامية في التدريس، والتدريس باللغة الأجنبية.
- الاهتمام ببناء المهارات اللغوية عند الطالب في مراحل التعليم المختلفة، المدرسية منها والجامعية، فإن السنوات الأولى من التعليم الأساسي وما يسبقها من مرحلة رياض الأطفال هي المرحلة التي تبنى فيها شخصية

---

١. تأهيل أعضاء هيئة التدريس، ص١٢.

٢. تيسير العربية، ص١٠٤.

الطالب لغوياً وفكرياً، ويرى الدكتور خليفة أن من الضروري الانتقال من إلزاميّة التعليم بمعنى أن وزارة التربية والتعليم ملزمة أن توفر مقعداً لكل راغب في التعليم إلى جعله إجبارياً لكل من هو في سنّ التعليم، وأن من الضروري كذلك أن تُتاح الفرصة لدخول رياض الأطفال الحكومية لجميع الأطفال الراغبين في ذلك[١]. والتربية عملية دائمة مستمرة، وحلقات بعضها يتصل ببعض، ويؤثّر بعضها في بعض، فالتعليم الجامعي هو الذي يمدّ المدراس بالمعلمين[٢].

- ضرورة التمييز، ولا سيما فيما يتصل بقواعد اللغة النحوية والصرفية، بين العربيّة التي يتناولها المتخصص وتلك التي يحتاج إليها الطالب وجمهور المتعلمين والمثقفين، بين النحو العلمي والنحو التعليمي. هذه فكرة يلحّ عليها الدكتور خليفة إلحاحاً شديداً، ويعود إليها مرة بعد أخرى، إن القدماء أنفسهم أدركوا "أن هناك اختلافاً جوهرياً بين منهج يهدف إلى دراسة جزئيات النحو ودقائق اللغة، وبين منهج يهدف إلى تيسير تعليم اللغة للناشئة والراغبين في تعلمها، ونحن نلمس هذا الفرق واضحاً بين منهج كتاب اللمع لابن جني، حيث يتقيّد بعرض الأبواب والقضايا النحوية الظاهرة والمعروفة، وبين كتاب الخصائص للمؤلف ذاته، حيث تبرز في ثناياه آراؤه الخاصة، ونتائج دراساته المبدعة، وما يقوده إليه الاجتهاد"[٣].

وعبدالكريم خليفة منذ كتابه المبكر في أصول التدريس يطلب إلى المعلم "أن يبتعد عن الحذلقات اللغوية، والاستعمالات المهجورة والإكثار من القواعد

---

١. الموسم الثقافي الثامن والعشرون، ص١٠-ص١١.

٢. تأهيل أعضاء هيئة التدريس، ص١٤.

٣. تيسير العربية، ص٧١، وانظر ص٨١؛ انظر أيضاً بحوث في القرآن والحديث واللغة، ص١٤٦، ص١٥٤-ص١٥٥؛ كتاب الواضح ، ص٢٠-ص٢١.

ودراسة الأمور الدقيقة التي هي فوق مستوى الطالب ولا فائدة عملية لها، وعليه أن يذكر أن القواعد إنما عملت من أجل اللغة، ولم تعمل اللغة للقواعد... وأن لا يلتفت إلى الشاذ، لكي يرى الصغار أن اللغة معقولة وبسيطة فيستطيعون استعمالها بضبط وهم مطمئنون بأن المقصود من تعليم القواعد في المدارس هو تربية ذوق اللغة فيهم، لكي يكونوا على يقين وثقة من صحة ما يقولونه أو يكتبونه أو يقرؤونه، وتمرينهم على صحة التعبير عن أفكارهم الخصوصية شفاهية كانت أو تحريرية وبث القدرة على استعمال لغتهم"[١].

إن ما تضمّنته كتب النحاة من التعليل والتفسير وتحليل الظواهر اللغوية، وتنوّع مذاهبهم بين كوفيين وبصريين وبغداديين وأندلسيين – إن ذلك كله جدير بالتقدير حقاً، ولكن غرضنا ههنا إنما يتعلّق بذلك القدر من النحو الذي يهدف إلى تقويم اللسان وبراءته من اللحن، والسعي إلى تيسير العربية على متعلّميها من الطلاب وجمهور المثقفين والراغبين في تعلّمها من الناطقين بغيرها، "فالحاجة ماسّة الآن، كما كانت في سابق الأيام، مع اختلاف الظروف والأحوال، إلى لغة عربية فصيحة موحَّدة سهلة وميسرة، بعيدة عن التعقيدات الإعرابية، والتخريجات والتقديرات النحوية والتعليل والتفسير. وإن منطق الأشياء ليقضي بأن تُبنى قواعد العربية الموجهة للشادين وعامة الدارسين على الشائع الاستعمال في لغات القبائل الموثوق بفصاحتها، دون التطرق إلى الشاذ أو النادر أو القليل، وأن نميز بين أهداف هذه المصنفات، وبين تلك التي تكون موضع الدراسات التخصصية في مراحل التعليم الجامعي"[٢].

---

١. التربية وأصول التدريس، ص١٠٥.

٢. تيسير العربية، ص١٠١.

لا بد إذاً من "أن نفرّق بين الدراسات المتخصّصة في النحو والصرف، واللغة وفقهها وصوتياتها، وبكل ما يتعلّق بها... وبين ما يجب تقديمه لعامة المتعلمين في إطار عربية فصيحة ميسّرة"[١]. ولا يذهبنّ بك الظن إلى أن المقصود التقليل من شأن تلك الدراسات المتخصصة؛ إنها تعبّر عن نشاط علمي ينبغي تشجيعه، ولكن الغرض ههنا إنما هو "أن نميّز بين هذه البحوث التي يمكن أن تصنَّف في قائمة الأدب النحوي، وبين قواعد العربية التي تهدف إلى تقويم اللسان والقلم، وتسهيل تعلّم اللغة العربية لمن يرغب في تعلّمها"[٢].

وغير خافٍ أن الضعف في اللغة العربية يستوجب تيسير تعلّمها على الناشئة وجمهور المتعلمين، ويقتضي في الوقت نفسه أن نستخدم من الطرق والوسائل ما يحبّب اللغة إلى قلوبهم. وهكذا فإن ثمّة حاجة ملحّة إلى تخليص النحو من تعقيدات النحاة، وتقديمه إليه "دون محاكمات منطقية أو فلسفية، ودون تعليلات وتفسيرات لا وجود لها إلا في خيال النحاة"[٣].

إن كثيراً من النحاة، من قدماء ومحدثين، لم يتبيّنوا الحدود ما بين النحو التعليمي والدراسات النحوية المتخصّصة، فنشأ عن ذلك ما نراه من هذا التشويش والتعقيد في النحو التعليمي، مما ينأى بالمتعلم بعيداً عن طبيعة اللغة ووظيفتها الحياتية. "وربما وقع التداخل الشديد بين مفهوم الشواهد، مما يعتبر المثل النموذج في الفصاحة والبلاغة وجودة التركيب، شعراً كان أو نثراً أو

---

١. تيسير العربية، ص١٠٦.

٢. المكان نفسه.

٣. المرجع نفسه، ص١٠٩.

من آي القران الكريم، وبين مفهوم الأمثلة التي يأخذها المصنّف من بيئة المتعلم ومن شؤونه الحياتية. ونحن نعتقد بأنه يجب أن نميّز بين إيراد الشواهد لإثبات قاعدة نحوية [نحو المتخصصين]، وبين إيراد أمثلة من بيئة المتعلم ومن حياته اليومية لشرح القاعدة النحوية وتوضيحها وتقريبها من فهم المتعلم ومن مجال اهتمامه [النحو التعليمي]"[١].

- قواعد الصرف لها عند الدكتور خليفة أهمية بالغة، وكأنه يرى أن القائمين على التعليم صرفهم الاهتمام بالإعراب وحركات أواخر الكلم عن أن يولوا المسائل الصرفية ما تستحقّه من عناية. إن الخطأ في الإعراب يمكن تفاديه أو الاحتيال عليه بتسكين آخر الكلمة، ولا سبيل إلى مثل ذلك في سائر حروفها، فإن الخطأ في نطق أي حرف منها لا يمكن إخفاؤه أو الفرار منه، والأخطاء التي تقع في لفظ الكلمة نفسها قد تكون أكثر عدداً من الأخطاء في حركة آخرها، يقول: "وإذا اعتبرنا أن اللغة هي النطق بها كما ينطقها أهلها، والتعبير بها وفق قواعد أساليبهم وتراكيبها، نستطيع أن نقول: إن قواعد الصرف، لا سيما الاشتقاق بأنواعه، يجب أن تحظى باهتمام كبير لدى معلمي قواعد العربية ومؤلفي الكتب التعليمية، فنحن نلاحظ أن أخطاء اللفظ الناتجة عن جهل قواعد الصرف وممارستها تطبيقاً وتدريساً، تحتل المقام الأول بين الأخطاء في أوساط المثقفين والمتعلمين ووسائل الإعلام. ولو قمنا بدراسة إحصائية لنوعية هذه الأخطاء، لوجدنا أن الأخطاء في اللفظ قد تفوق الأخطاء في الإعراب، فربما وجد المحاضر أو المتحدث أو المذيع مندوحة له في تسكين أواخر الكلمات، ولكنه يصعب عليه تجنب الوقوع في أخطاء الصرف

---

١. تيسير العربية، ص١٠٢.

وجودة اللفظ، إذا لم يتدرب على اللفظ الصحيح، وإخراج الحروف من مخارجها الصحيحة، كي تصبح عادة في نطقه. فاللغة بالتالي تكتسب اكتساباً، واللفظ هو عمادها وجوهرها الذي تتميّز به"[١].

وينتهي الدكتور خليفة إلى فكرة يتحمّس لها حماسة بالغة، ويردّدها في كتاباته وأحاديثه، وهي ضرورة ضبط حروف الكلمات جميعها بالحركات وليس الاقتصار على ضبط أواخرها. هذه في رأيه "قضية مهمة وخطيرة"[٢] تؤدّي إلى نطق الألفاظ نطقاً صحيحاً، كما تمنع اللبس واحتمال التحريف كذلك[٣]. لقد "كان نقط الشكل [نقط الإعراب] ونقط الإعجام ثورة حقيقة في إصلاح الكتابة العربية"[٤] دفع إليها الحرص على سلامة اللغة العربية وصحة النطق بالآيات القرآنية بعد دخول شعوب مختلفة في الإسلام، وكان لهما أثر في تيسير تعليم العربية لهؤلاء الأعاجم.

لقد أصبح الضبط الكامل بالحركات ميسوراً في عصر الحاسوب بفضل برمجيّة خاصة تستطيع أن تضبط النص العربي المطبوع، "إذ يمكنه [الحاسوب] أن يطبع الحروف مشكلة شكلاً كاملاً، وأن يضع الشكل فوق الحرف وليس تالياً له"[٥]. وهكذا فقد أصبح ممكناً أن تصدر المطبوعات كلها من كتب ومجلات وصحف ونشرات مضبوطة بالحركات "دون أن نخلّ بثوابت الحرف العربي والكتابة العربية"[٦]. وغنيّ عن البيان أن أَولى

---

١. تيسير العربية، ص١٠٦–ص١٠٧.
٢. المرجع نفسه، ص١٠٧.
٣. تأهيل أعضاء هيئة التدريس، ص١٩.
٤. تيسير العربية، ص١٠٧.
٥. المرجع نفسه، ص١٢٠.
٦. الموسم الثقافي الرابع عشر، ص٨.

المطبوعات بالشكل هي الكتب التعليمية، ولكن الدكتور خليفة لا يرى أن يقتصر الأمر عليها، بل يدعو إلى "وجوب شكل جميع الكتب، لا سيما المدرسية منها، بل جميع المطبوعات والمنشورات، شكلاً كاملاً"[١].

ضبط المطبوعات، وأولها الكتب المدرسية، بالحركات ضبطاً كاملاً، وأن كل معلم هو معلم لغة –يعدهما الدكتور خليفة "قضيتين أساسيتين" يؤكّد ضرورة الأخذ بهما. وهو على ثقة بأن ضبط المطبوعات على هذا النحو ستكون له "نتائج بعيدة المدى، فقد لا يمرّ عقدان من الزمن على هذا الوضع الجديد عندما يتحقق، إلا وتكون العربية الصحيحة سليقة للكتّاب، وسيكون لها آثار بعيدة المدى على لغة التخاطب"[٢].

- يقترح الدكتور خليفة على اللغويين، ويرى أن ذلك "من أعظم الخدمات" التي يمكن أن يقدموها – يقترح عليهم المبادرة إلى وضع كتاب شامل في اللغة والنحو والصرف، يضعونه بين أيدي المثقفين العرب وأعضاء هيئة التدريس في الجامعات من المتخصصين في الحقول العلمية المختلفة، ويكون مرشداً لغوياً لهم، يعود إليه الواحد منهم إذا احتاج إلى "تقويم وزن، أو تصحيح تركيب لغوي أو نحوي"، وهذا المرشد اللغوي يهدف إلى معالجة المشكلات اللغوية والنحوية والصرفية التي يمكن أن يواجهها المثقفون العرب[٣]. وفكرة المرشد اللغوي هذه هي تجسيد لمبدأ التربية الدائمة المستمرة التي لا تتوقف عند سنّ معينة، ولا تنتهي بانتهاء المرء من مراحل دراسته، ويُفترض في مثل هذا الكتاب أن يترك الدقائق والجزيئات

---

١. تيسير العربية، ص١٠٨.

٢. الموسم الثقافي الرابع عشر، ص٨–٩.

٣. تأهيل أعضاء هيئة التدريس، ص١٩.

للمتخصصين في اللغة، وأن يقتصر – كما رأينا في موضوع النحو التعليمي على ما يحتاج جمهور المثقفين إلى معرفته.

- تيسير العربية تعليماً وتعلّماً يتصل اتصالاً وثيقاً بمدى قدرتنا على تسخير التقنيات الحديثة من أجهزة الحاسوب بأجياله المختلفة، وشبكة الاتصالات (الإنترنت)، والهاتف المحمول في خدمة اللغة العربية. على أن هذه الوسائل التقنية صمّمت أصلاً لخدمة اللغة الإنجليزية وغيرها من لغات العالم المتقدّم، وينبغي أن نتجاوز مجرد استعمال هذه الوسائل والتقنيات إلى مرحلة بنائها بما يلائم طبيعة اللغة العربية من حيث حروفها وأنظمة نحوها وصرفها وأساليبها وكتابتها، "بدلاً من تطويعها وليّ عنقها، كما هو الحال في الوقت الحاضر"[١].

- تأليف الكتب المقرّرة على هيئة سلسلة من الكتب التعليمية وفق مستويات الطلاب والمراحل التعليمية، وأن يقوم على إعدادها فريق متكامل من علماء العربية وعلماء التربية وعلم النفس وعلم الاجتماع وخبراء التقنيات الحديثة مستعينين أيضاً بخبراء في إخراج الكتب المدرسية[٢]، فإننا "إذا نظرنا إلى كتب اللغة العربية [المتداولة حالياً] نجدها كتباً هزيلة، مادة وإخراجاً وأسلوباً، إذا ما قيست بكتب اللغة الإنجليزية"[٣]. وبالنظر إلى تغيير المناهج بين حين وآخر فإن الدكتور خليفة يؤكد أن الأخطاء في تغيير المناهج ذات آثار بعيدة ومدمّرة، لأن تصويب الخطأ يكون بعد تخرّج أفواج من الطلاب،

---

١. بحوث في القرآن والحديث واللغة، ص١٥٦–١٥٧؛ وانظر أيضاً الموسم الثقافي الثاني والعشرون، ص٧؛ الموسم الثقافي الرابع والعشرون، ص٧.

٢. تيسير العربية، ص١٢٠، وانظر ص١٠٥.

٣. الموسم الثقافي السابع والعشرون، ص١١٥.

ولذلك لا بد من أن يُبنى هذا التغيير على دراسات تربوية ولغوية وعلمية، وأن تمرّ بمرحلة تجريبية قبل تعميمها[١].

- ط -

احترف عبدالكريم خليفة التعليم وخبره في مراحله المختلفة وفي جوانبه المتعددة، فكان معلماً في المدارس، ومدرساً في دور المعلمين، ومشرفاً تربوياً (مفتّشاً)، وأستاذاً جامعياً، كما اتصل بالفكر التربوي صلة وثيقة مباشرة منذ وقت مبكر جداً في حياته، وتجمّع لديه على مدى ما يقرب من سبعين عاماً من الخبرة العملية في تدريس اللغة العربية مؤيّدة بالمعرفة بالفكر التربوي ونظرياته –تجمّع لديه في ذلك كله ما لم يتح لكثيرين غيره، وكنّا نودّ لو أنه أفرغ هذه الخبرة التعليمية الممتدّة والمتنوعة وتلك المعرفة التربوية في كتاب ينتظم مجمل أفكاره وآرائه في تعليم اللغة العربية التي وقف حياته الطويلة على خدمتها تدريساً وبحثاً وتحقيقاً منافحاً عنها وعن تراثها.

لقد حاولت في الصفحات السابقة أن ألقي الضوء على الجوانب البارزة في مذهب الدكتور خليفة التعليمي وفي فكره التربوي، وبيان أهم المسائل التي عرض لها أو نالت قدراً كبيراً من اهتمامه وعنايته، وأرجو أن أكون قد وفِّقت في رسم صورة، ولو كانت أوّليّة، للبعد التعليمي والتربوي عنده. ولعل من الدارسين من يتابع مذهبه التعليمي ونظراته التربوية بالدراسة والتحليل وبيان مصادرها، ولا سيما دراسته في دار المعلمين العالية ببغداد وفي الجامعات الفرنسية، ومدى تأثير معرفته بالفرنسية والإنجليزية فيها، ومقارنتها بما كُتب في أساليب تدريس اللغة العربية، وبيان مدى صلتها

---

١. الموسم الثقافي الثالث والعشرون، ص٩.

–وهذا أمر كان الدكتور خليفة يحرص عليه أشد الحرص– بالفكر التربـــوي في التراث العربي الإسلامي.

وبعد، فقد كنّا نسقي أقلامنا من ذوب عقولنا بما لعلـــه يحظـــى بموافقـــة أستاذنا الدكتور عبدالكريم خليفة ورضاه، واليوم نحن نستسقي الغمام لقبـــره، وندعو الله أن يشمله بعفوه ورحمته، رحمه الله رحمة واسعة وأحسن إليه.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

مصادر البحث ومراجعه

- خليفة، عبدالكريم، بحوث في القرآن والحديث واللغة، عمان، ٢٠١١.
- _____، تأهيل أعضاء هيئة التدريس وتمكينهم من النهوض بأعباء التدريس باللغة العربية، دمشق، ١٩٨٢.
- _____، التربية وأصول التدريس، حلب، ١٩٤٨.
- _____، (مؤلف مشارك)، الفكر التربوي في الإسلام، عمان، ١٩٨٢.
- _____، تيسير العربية بين القديم والحديث، عمان، ١٩٨٦.
- _____، مقدمته لكتاب الواضح لأبي بكر الزبيدي، ط٢، عمان، ٢٠١٠.
- _____، مجمع اللغة العربية الأردني، كلمة رئيس المجمع، الموسم الثقافي الثاني عشر، عمان، ١٩٩٤.
- _____، مجمع اللغة العربية الأردني، كلمة رئيس المجمع، الموسم الثقافي الرابع عشر، عمان، ١٩٩٦.
- _____، مجمع اللغة العربية الأردني، كلمة رئيس المجمع، الموسم الثقافي الحادي والعشرون، عمان، ٢٠٠٣.
- _____، مجمع اللغة العربية الأردني، كلمة رئيس المجمع، الموسم الثقافي الثاني والعشرون، عمان، ٢٠٠٤.
- _____، مجمع اللغة العربية الأردني، كلمة رئيس المجمع، الموسم الثقافي الثالث والعشرون، عمان، ٢٠٠٥.
- _____، مجمع اللغة العربية الأردني، كلمة رئيس المجمع، الموسم الثقافي الرابع والعشرون، عمان، ٢٠٠٦.

- _____، مجمع اللغة العربية الأردني، كلمة رئيس المجمع، الموسم الثقافي السابع والعشرون، عمان، ٢٠٠٩.
- _____، مجمع اللغة العربية الأردني، كلمة رئيس المجمع، الموسم الثقافي الثامن والعشرون، عمان، ٢٠١٠.
- _____، مجمع اللغة العربية الأردني، كلمة رئيس المجمع، الموسم الثقافي التاسع والعشرون، عمان، ٢٠١١.
- الزمخشري، أبو القاسم جار الله، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل، في وجوه التأويل، بيروت، دار المعرفة، دون تاريخ.
- حبيب الله، محمد، أسس القراءة وفهم المقروء بين النظرية والتطبيق، المدخل في تطورات مهارات الفهم والتفكير والتعلم، عمان، ١٩٩٧.
- الحياري، عبدالكريم، بناء المهارات اللغوية لدى طلبة الصفوف الأربعة الأولى، الموسم الثقافي الثامن والعشرون لمجمع اللغة العربية الأردني، مؤتمر اللغة العربية في المرحلة الأساسية للصفوف الأربعة الأولى ومرحلة ما قبل المدرسة، عمان، ٢٠١٠.
- يونس، فتحي، والكندري، عبدالله، اللغة العربية للمبتدئين، الكويت، ١٩٩٨.

- ellek, Rene and Warren, Austin: *Theory of Literature*, Penguin Books, Harmondsworth, 1978.

عبدالكريم خليفة الرئيس المؤسّس للمجمع:
صمود أسطوريّ

الأستاذ الدكتور هُمام غَصِيب

عضو مجمع اللّغة العربيّة الأردني

أستاذ الفيزياء النظرية

الخميس ٢٥ ربيع الآخر ١٤٤٢هـ - ١٠ كانون الأول ٢٠٢٠م

عبد الكريم خليفة، الرئيس المؤسّس للمجمع:
صمود أسطوريّ

أ.د. هُمام غَصِيب (*)

- ١ -

كيف عرفْتُ عبد الكريم خليفة؟

كان لقائي الأوّل بعبد الكريم خليفة (أبي وائل) [مع حفظ الألقاب هنا، وفي بقيّة ورقتي هذه] في حفل التخريج السنويّ لجامعتنا الأمّ، الجامعة الأردنيّة، في مطلع صيْف
تلك الأيّام! فقد

كان هذا الحفل يشمَل خرّيجي الجامعة بأسرهم؛ لأنّ حجمَ جامعتنا كان يسمح بذلك. وظلّ الوضع هكذا حتى نهاية الثمانينيّات من القرْن الماضي. وكان الحفلُ يُقام في مدينة الحسيْن الرياضيّة تحت رعاية ملكيّة؛ بل كان الملك الحسيْن – طيّب الله ثراه – يحرص على حضوره شخصيًّا وتسليمه الشهاداتِ لجيش الخريجين بنفسه، مهما طالت وقفته.

وصلتُ مُبكّرًا إلى الساحة التي يَصطفّ فيها أعضاء الهيئة التدريسيّة قبل ولوجهم أبوابَ المُدرّج الكبير في صفوفٍ بديعة، ليتوجّهوا من على الأدراج إلى المِنصّة المُعدّة لهم أمام جمهور الحضور. التقيْتُ عددًا من الزملاء الذين أعرفهم، وتوجّهنا معًا صوْبَ ثلّةٍ من الزملاء الآخرين يتوسّطهم رجلٌ ذو

---

(١) عضو مَجْمَعِ اللّغة العربيّةِ الأُردني.

وجهٍ وضّاء وابتسامةٍ مُشرقة. تعارفْنا؛ وكما توقّعتم، كان هذا الرجل عبد الكريم خليفة. وكانت محبّة خالصة صافية منذ اللحظة الأولى. ولكمْ أسعدني حين قال لي: "لقد سمعْتُ عن اهتمامك باللغة العربيّة وحماستك لها، وأنتَ الفيزيائيّ الذي قضيْتَ سنواتٍ طوالاً في إنجلترا، بعيدًا عن الوطن. لمَ لا تزورنا في مجْمعكم قريبًا؟"

قبل أنْ أسترسلَ في الحديث، أتوقّف قليلاً عند نقطتيْن. الأولى: توْقيت هذا اللقاء. فكان قد مرّ عام واحد، بالتمام والكمال، على تأسيس المجمع برئاسة أبي وائل[١]. ولم أكنْ قد سمعتُ أو قرأتُ عن مجمعنا. ثمّ إنّني كنتُ قد عدتُ إلى أرض الوطن قبل سنتيْن إلاّ قليلا، بعد غيابِ تسع سنوات (من تخرُّجي في المدرسة الثانويّة حتى ما بعد الدكتوراة في الفيزياء النظريّة). وباشرْتُ العمل بُعيْد ذلك في جامعتنا وأنا في منتصف العشرينيّات من عُمري.

أمّا النقطة الثانية، فتتّصل بأبي وائل نفسه، وما سمعتُ عنه قبل عوْدتي إلى أرض الوطن. فقد حدّثني كثيرون عن حزمه وحكمته وثباته في ذلك الوقت العصيب حين تسلّم دَفّة الجامعة الأردنيّة (١٩٦٨-١٩٧٠م)، وقادَها إلى برّ الأمان وسط الرياح العاتية التي كانت تُزمجر في مِنطقتنا إثر نكسة ١٩٦٧م. لم يكنْ أيّ امرىءٍ ليتجرّأ أنْ يُدخلَ سلاحًا أو شغبًا إلى الحرم الجامعيّ، الذي بقي واحة استقرار في وسط المعمعان السائد. فيا له من ثباتٍ عزّ نظيرُه! يا له من صمودٍ لن يُنسى! وأضاف والدي، بشارة غَصيب، رحمه الله، إلى ذلك أنّ أهلَ حلب ذات يوم لم يَرضوْا أنْ يُعلّم بناتَهنّ في دار المُعلّمات أحدٌ سوى الشاب عبد الكريم خليفة، الذي كان يعيش هناك آنذاك،

لخُلقه القويم وأمانته واستقامته. وكان والدي صديقًا مُقرّبًا لشقيقه الأكبر، محمّد عبد الرحمن خليفة، أبي ماجد[٢]؛ بل إنّهما شاركا مكتبَ مُحاماة واحدًا، قبل أنْ يُصبحَ أبو ماجد قُطبًا من أقطاب النظام السياسيّ في بلدنا. وما زلتُ أذكر تلك الدمعةَ السخينة التي طفرت من عيْنيّ أبي ماجد حين جاء يُعزّي برحيل والدي عام ١٩٨٢م؛ تمامًا مثل الدمعةِ السخينة التي طفرت من عيْنيّ حين رحتُ أعزّي برحيل أبي ماجد في ديوان عشيرة النسور عام ٢٠٠٦م.

شددْتُ الرّحال بعد ذلك بوقتٍ قصير إلى مقرّ المجمع. كان آنذاك بيتًا مُستأجَرًا بجبل الحسيْن في عمّان. كان الوَقارُ يُخيّم على المكان، والناس يَروحون ويَجيئون؛ وكأنّنا في خليّة نحل. تعرّفتُ، وأنا أنتظر، عيسى الناعوري (أبا سمير)، الأمين العامّ للمجمع. وشعرتُ وكأنّني أعرفه طوال عُمري. كنت أقرأ مقالاتِه الغزيرةَ في الصحف اليوْميّة بشغف. أسَرَني ببساطته وأسلوبه المُباشر. ولنْ أنسى ضحكته المتصاعدة دَفْقةً دَفْقة من أعماق قلبه: تتوالدُ بسرعة، وتذوي بسرعة[٣]. تجاذبْنا أطراف الحديث قليلاً قبل أنْ بَتسنّى لي التقاءُ الرجل الكبير، أبي وائل. وكم كان مُلهِمًا لقاؤنا هذا! حدّثني بحماسةٍ كبيرة عن المَجْمع ومشروعاته المُقبلة، وعمّا يجول في خاطره من أفكارٍ وآمالٍ وطُموحات. ودعاني إلى عُضويّة "لَجنةٍ فنيّة" تُعنى بالمُصطلحات والرموز العلميّة العربيّة. وفعلاً، سُرعان ما بدأتُ أشارك في عمل هذه اللجنة وسواها بصفتي "خبيرًا" [كما سُمِّيت]. وهكذا، غدوْتُ أرتاد المجمع بانتظام. وكان يَجذبني إليه أكثرُ من عامل، عدا عِشقي للعربيّة، وعدا واجباتي الجديدة فيه التي كانت أشبهَ بالهوايات. ولعلّ أبرزَ هذه العوامل كانت تلك الأجواءَ الحضاريّة النبيلة التي تَمكّن الرئيسُ المُؤسّس من توْفيرها. كان هناك وَقار وهيبة ونُضج. وبعد صخب الحياة ومعمعانها، كان المجمع

يُمثل ملاذًا آمنًا لي: تسكن فيه نفسي، وتتفاعل بإقبالٍ وحيويّة مع خِلاّنها وإخوانها. ذلك أنّ العملَ عمومًا كان جَماعيًّا. فالأفراد يُبدعون ويُنتجون؛ لكنْ، ضمن الفريق الواحد المُتكامل، بمنأى عن كلّ أثرةٍ وذاتٍ مُتورّمة. ومهما كان الخِلافُ في الرأي حادًّا، كانت الغَلَبة في نهاية المطاف للأُخوّة والمودّة والوئام.

كان أبو وائل حريصًا على متابعة كلّ صغيرةٍ وكبيرةٍ في المجمع بهمّة كبيرة واهتمامٍ بالغ. وأكثرُ ما لفت نظري قدرتُه العجيبة على الإنصات والإصغاء بصبرٍ جميل دون أنْ تفوتَه شاردة أو واردة. ولي تجاربُ شتّى معه تشهد على ذلك؛ حتى حين كان الموضوع علميًّا بحتًا. وحُسن الاستماع فضيلة كبرى؛ سيّما إذا تبعه فعلٌ مؤثّر، إن اقتضى الأمر. وهذا ما كان يحدث مرارًا وتكرارًا. كان مُلهِمًا بكُلّ معنى الكلمة. ولا عجب! فهو صاحب رسالةٍ سامقة، حملها بأمانةٍ وتفانٍ عزّ نظيرُهما؛ وكأنّ كتابَ أجَله من المهد إلى اللحد كان تجسيدًا لهذه الرسالة. إنّها رسالة "اللغة العربيّة والتعريب في العصر الحديث"[٤]، النابعة من إيمانه العميق بعدالة القضيّة التي تبنّاها بكُلّ جوارحه، "وإيمانه بأنّ العربيّة الخالدة، لغةَ القُرآن الكريم، ستُصبح لغةَ العلم والبحث العلميّ والتقنيّات الحديثة في المُستقبل القريب، إن شاء الله"[٥]. من هنا جاء صموده النادر، الذي وصفته غيْرَ مرّة، بعد بعض التدبّر والتفكّر، بأنّه "أسطوريّ". لِمَ؟ لأنّ "الأسطورة"، بوَجه من وجوهها، "تروي أحداثًا خارقة للعادة"[٦]؛ أي بطوليّة. فلعلّها الصفة الأنسب في هذا المقام. ولا شكّ أن عضويّتَه الفعّالة الطويلة في "اللجنة الأردنيّة للتعريب والترجمة والنشر"[٧]

(١٩٦١- ١٩٧٦م) مهّدت الطريق؛ فقد كانت هذه اللجنة النواة التي حُوّلت إلى المجمع، وذابت فيه.

والحقّ أنّ القضيّة كانت أكبرَ ممّا يبدو لأوّل وهلة، كما حدّثنا أبو وائل نفسُه[٧]. ذلك أنّ المرحوم الملك محمّد الخامس دعا في عام ١٩٦١م جميع الحكومات العربيّة إلى مؤتمرٍ في الرباط لمُناقشة موْضوع "التعريب الشامل في الوطن العربيّ". ويا له من موْضوع! فواضح ضمناً أنّه عُدّ عاملاً من عوامل التحرُّر الوطنيّ ونهوض الأمّة. وكان المؤتمر علامة فارقة في توْصياته التي نُفّذت برشاقة نادرة. وشمِلت هذه التوْصيات ما يأتي: أنْ يُنشأ في كلّ قُطرٍ عربيّ، لا يُوْجد فيه مجمعٌ للغة العربيّة، لجنةٌ تُسمّى "اللجنة الوطنيّة للترجمة والتعريب والنشر". وكانت استجابة الأردنّ فوْريّة. وهكذا أُسّستْ لجنته الوطنيّة في العام نفسه. وكان مقرّها في وزارة التربية والتعليم. العبرة من ذلك كُلّه أن قضيّتنا كانت، وما زالت، قضيّة سياسيّة بامتياز؛ إضافة إلى أبعادها الأخرى. وهذا هو الإرث النبيل، أو جُزء منه، الذي حمله أبو وائل بتفانٍ يكاد لا يُجارى، ومسؤوليّة كبرى، وعزيمةٍ لا تلين.

يُضاف إلى هذا الإرْث حَدَثٌ لمعَ كالشهاب في سماء بلدِنا قبل أنْ يَنطفىء، مأسوفًا على شبابه! أعني تأسيس مجمع علميّ عربيّ في عمّان بتاريخ ١٩٢٣/٧/١٧م. فقد أصدر حينَها المغفور له الأمير (فيما بعد الملك) المؤسّس إرادته "المُطاعة" (على حدّ التعبير السائد آنذاك) بتأسيس المجمع؛ بعد شهريْن إلاّ قليلاً (وتحديدًا في ١٩٢٣/٥/٢٥م) من اعتراف بريطانيا رسميًّا بحكومةٍ مُستقلّة في شرق الأردنّ[٨]. وكان الثاني في الوطن العربيّ بعد مجمع دمشق، الذي أسّسه في عام ١٩١٩م المغفور له الملك فيصل الأول.

ومع أنّ مجمعَ عمّان لمْ يعشْ طويلاً، لقلّة الإمكانات، فقد سطّر لنا تاريخُه الوجيز جِدًّا دروسًا وعِبَرًا بليغة، ألخّصها فيما يأتي: (أوّلاً) إنّ اللغة العربيّة كانت أُولى الأولويّات لدى سيّد القوم وأحكم حكمائه، رغم انشغاله بجِسام الأمور. (ثانيًا) إنّ عضويّة المجمع (العاملة وعضويّة الشرف) ضمّت في جَنَباتها رموزًا كبيرة من المشرق العربيّ بأسره؛ دلالة على أهمّيّة اللغة العربيّة الفصيحة رابطًا وجامعًا أو قاسمًا مُشترَكًا بيْن أبناء أمّتنا. (ثالثًا) إنّ هذه التجربة الفريدة سلّطت الضوْء على العَلاقة العُضويّة بيْن اللغة والنهضة؛ بلى النهضة! فالعمل المجمعيّ يقع في صُلب المشروع النهضويّ للأمّة.

لقد تغلغل هذا الإرْثُ الغنيّ في وجداننا جميعًا، نحن أعضاءَ المجمعِ؛ ولو بدرجاتٍ مُتفاوتة. إلاّ أنّه تجسّد في أبي وائل بكامل روْنقه. فكان قائد المسيرة بلا مُنازِع؛ بل كانت كلّ خليّةٍ فيه تنطق بذاك الإرثِ الذي حمَله على مَنْكِبَيْه العريضيْن بثباتٍ وصمودٍ عجيبيْن. وتجلّى ذلك – أكثرَ ما تجلّى – في مشروعات المجمع الكبيرة. ولا غرابةَ هنا! فمثل هذه المشروعات هي التي تُحقّق النهوض والطفَرات الراسخة؛ وليس الأعمال المُشرذمة التي لا تُغني ولا تُسْمِن، فتذروها الرياح وكأنّها لمْ تكنْ! ولعلّ أجلّ مشروعٍ نهض به مجمعنا حتى اللحظة كان مشروعَ أبي وائل في المقام الأوّل؛ أعني "حمْلة تعريب التعليم الجامعيّ" التي شغلته وشغلت المجمع منذ أوائل ١٩٧٨ حتى ١٩٩٧م. فيَا له من صمودٍ أسطوريّ! ولست أبالغ؛ فقد كنْتُ شاهدَ عِيَان! دعْني أُفصّل.

-٢-

"حمْلة تعريبِ التعليمِ الجامعيّ"

لاحظوا أوّلَ كلمتيْن في هذا العنوان: "حملة"، و"تعريب". الكلمة الأولى تُوْمىء، بمعنىً من المعاني، إلى وجود قضيّةٍ جديرةٍ ببذل كُلّ جهْدٍ وتضحيةٍ من أجلها. و"الحملة" ليستْ عسكريّة بالضرورة. فهنالك حمَلات البِرّ والتقوى؛ والحمَلات الكُبرى التي تُشنّ لمُحاربة الفقر، والبطالة، والأمّيّة، والأوْبئة، وغيْر ذلك. ولعلّ حمْلتَنا تلك كانت من هذا النوْع الأخير. فهي تحمل معاني الإدارة الحصيفة، والإرادة الصُّلبة، والنفَس الطويل، والصبْر الجميل. بدأتْ برسم الخُطط ومعالم الطريق في بواكير ١٩٧٨م. وبلغتْ أشُدّها بيْن ١٩٧٩ و١٩٨٥م. واستمرّت، بشكلٍ من الأشكال، حتى ١٩٩٧م؛ مع أنّ مثلَها قد يتباطأ، لكنّه لنْ يتوقّفَ!

أمّا "التعريب"، فهو الآخَر مُثقَلٌ بالإيماءات والإيحاءات، التي تجاوزتْ كثيرًا المعنى الأصليّ للكلمة؛ أعني إخضاع المُصطلح الأجنبيّ للجَرْس العربيّ والأوْزان العربيّة. وقد كتب عنه أبو وائل باستفاضة[٤]. فكان التكامُلُ والتتامّ بيْن القوْل والفعل. وكتب عن هذه الحملة أيضًا محمود السمرة (أبو الرائد)[٩]، الذي تبوّأ منصب نائب رئيس المجمع منذ تأسيسه حتى وقع ضحيّة المرض، وأحمد سعيدان (أبو زاهر)[١٠]. كما تطرّقتُ إلى تجربة المجمع العميقة في تعريب العلوم غيْرَ مرّة[١١]: التعريب بوصفه نقيضَ التغريب؛ التعريب بمعنى تبنّي لغتِنا لغةً للعلم والمعرفة، دون إهمال اللغات الأجنبيّة، وعلى رأسها اللغة الإنجليزيّة، لغة العلم العالميّة *lingua franca*؛ التعريب الذي يُعزّز ثقافة الإتقان، ويصل بيْن قادة المُجتمع في مُختلِف المجالات

وقاعدته العريضة، وبيْن أصحاب القرار والشعب، فيكون عنصرًا أساسيًّا في التنمية الشاملة المُستدامة، وفي رفع سويّة الإعلام بأذرعه ووسائلِه المُختلِفة.

انطلق أبو وائل، مع صحبه الكرام، من التساؤل: لِمَ ما زلنا نتعثّر في هذا الشأن؛ لا سيّما في ضوْء تجارب سائر الأمم؟ وأراد في استجابته لهذا التساؤل أنْ يتجاوزَ التنظير، مع أنّ التنظير المُتقَن ليس سُبّة، إلى الحلول العمليّة. وكانت المُحصَّلة تجربةً غنيّة عميقة، تستحقّ التحليلَ وإنعامَ النظر. ونالت إعجاب الداني والقاصي؛ باستثناء أولئك الذين كانوا يُعادون التعريب والمجمع ورئيسه! وتُوّج هذا الإعجاب، ولو جاء مُتأخّرًا بعض الشيء، بجائزة الملك فيصل العالميّة للمؤسّسات في اللغة والأدب للعام ٢٠١٧م. كانت هذه الجائزة المرموقة اعترافًا بالجهود الجماعيّة التي تميّز بها المجمعُ وأصدقاؤه. لكنّ الانصاف يَقتضي أنْ نقرّ بفضل أبي وائل في هذا الإنجاز المُذهل. فالجائزة كانت له في المقام الأوّل.

بدأتُ أستمع إليه يتحدّث عن "المشروع الطَّموح الكبير" منذ أوائل عام ١٩٧٨م؛ أي منذ بداية الحملة، التي أخذتْ تتبلور سريعًا. كانت الخطوة الأولى اختيار الكتب العلميّة المنهجيّة بمستوى السنة الجامعيّة الأولى: في الرياضيّات، والفيزياء، والكيمياء، والأحياء (البيولوجيا)، وعلوم الأرض (الجيولوجيا). تبع ذلك خطوتان مُهمّتان، بناءً على إصرار قائد الحملة: (١) تعميم أسماء الكتب المُختارة ومؤلّفيها وناشريها على جميع المؤسّسات المعنيّة في الوطن العربيّ، ورغبة المجمع في ترجمتها إلى العربيّة؛ وذلك تفاديًا للازدواجيّة في العمل، والهَدْر في الوقت والجهْد والمال. (٢) الحِرْص على نيْل حُقوق الترجمة من الناشرين، ودفع مُستحقّاتهم التي كانت آنذاك "مقبولة"؛ قبل أنْ يتفاقمَ جشعهم واستغلالهم.

الغريب في الأمر أنّ أبا وائل كان دائمًا، فيما يبدو، على رأس عمله في المجمع؛ رغم أعبائه الثقيلة – الأكاديميّة والإداريّة – بقسم اللغة العربيّة وآدابها في الجامعة الأردنيّة. والأغرب من ذلك أنّني لم أرَ قطّ، طوال تلك الأيّام والشهور والسنين، أيّ علاماتٍ للإعياء على وجهه الصبوح؛ بل، على العكس، كان مُشعًّا متوهّجا على الدوام، شأنه شأن أيّ مؤمنٍ بقضيّةٍ نبيلة. كان يُقابل كُلّ مُترجمٍ أو فريقِ ترجمة على حِدة لتجاذُب الأفكار والآراء حول الموْضوع، وللتوقيع على العَقد الذي أعدّه المجمع حسب الأصول. وأذكر أنّه حين جاء دوْري للتوقيع، مع زميلٍ فاضل في بواكير ربيع ١٩٧٩م، أحجمت. فنظر إليّ نظرة عتبٍ يُخالطها شيء من خيبة الأمل. سألني: "لِمَ لا؟" أجبت: "لأنّ مدّة الشهريْن المنصوص عليها في العقد لا تكفي؛ حتى لو كنْتُ مُتفرّغًا للترجمة! فكيف بكلّ الأعباء المُلقاة على كاهلي؟!" وبعد نقاشٍ مُنهك، وافقتُ على ستّة أشهر؛ قائلاً: "لا أريد أنْ أزعجك أكثرَ من ذلك يا أستاذَنا؛ إنّما لا بُدّ من تأكيد التحدّيات الكبرى في مثل هذا العمل الرائد، كما سيتّضح فيما بعد." وهكذا كان.

لكنّ أبا وائل كان يَجمع، جنبًا إلى جنب مع الحزم والصلابة، قدْرًا كبيرًا من المرونة. ولعلّ كُلّ هذه العناصرِ وغيْرِها هي التي كوّنت كيمياء ذلك الصمودِ الأسطوريّ سنة بعد سنة. هاكمْ عددًا من الأمثلة على ذلك. المثال الأوّل: تناهى إليه أنّ بعض الترجمات كانت ركيكة مُتهافتة. فلمّا تأكّد من ذلك، بالاستئناس برأي الخبراء المُتخصّصين، لم يتردّدْ في رفضها، بعد صرْف المكافأة المُقرّرة لأصحابها كاملة. ثمّ كلّف غيْرهم، ممّن رشّحهم خبراء ثقات. مثال آخَر: بلغه أنّ أحدَ الكتب المُترجَمة كان خلوًا من شرح الأشكال المُتعدّدة فيه. وكان هذا تقصيرًا فادحًا من فريق الترجمة، ومن

المشرف الذي كان قد غادر البلاد ليتسلّم منصبًا في الخارج. فماذا فعل أبو وائل؟ أوعز بالتخلُّص من نُسخ الكتاب كافّة، وعهد إلى خبيرٍ بإضافة شرْح كُلّ شكل؛ حتّى تُعادَ طباعة الكتاب. فلم يأبهْ بالخسارة المادّيّة في سبيل تحقيق المستوى اللائق. مثال ثالث وأخير، من تجربتي الشخصيّة: كنْتُ المُترجمَ الرئيسيّ للمُجلّد الأوّل من كتاب "الفيزياء الكلاسيكيّة والحديثة"، والمُشرفَ عليه، شكلاً ومضمونًا. وحين تأخّر صدور الكتاب كثيرًا عن موْعده المُحدّد، كما توقّعْت، حُمّلت امطبعة المسؤوليّة الكاملة. ودبّ الهلعُ في نفس صاحبها ومديرها، بسبب الغرامات الكبيرة المُترتّبة على هذا التأخير. فوعدتُه أنْ أشفعَ له لدى رئيس المجمع، على أنْ نسيرَ قُدُمًا في الطباعة وإنجاز الكتاب بالسرعة الممكنة. وفعلاً، كتبْت رسالة إلى أبي وائل بخطّ اليد بُعيْد تجليد النسخة الأولى منه، تحمّلتُ فيها جُزءًا من مسؤوليّة التأخير جرّاء تصويباتي المُكثفة التي لا تنتهي. وكنّا في غمرة الفرحة بصدور هذا المُجلّد أخيرَا، حين صدر القرار بإعفاء المطبعة من الغرامات كافّة.

سنواتٌ سبع (١٩٧٩–١٩٨٥م)، أحبّ أنْ أطلقَ عليها لقب "السنوات العجيبة" [أُسوة بالسنة العجيبة للفيزيائيّ العظيم ألبرت آينشتاين التي نشر فيها إنجازاتٍ باهرة]. ألخّص فيما يأتي مُسوِّغات هذا اللقب، مع المعذرة عن أيّ تكرار: (أوّلاً) صدر خلال هذه السنوات مُعظم مُجلّدات حملة التعريب؛ وتحديدًا سبعة عشر (١٧) من مجموع اثنيْن وعشرين (٢٢). وشمِلتْ هذه كتبًا منهجيّة للسنة الجامعيّة الثانية، وأحيانًا ما بعدها، في مُعظم التخصّصات العلميّة. أما البقيّة، فقد صدر منها مُجلّد في عام ١٩٨٧م [المُجلّد الثاني من كتاب "الفيزياء الكلاسيكيّة والحديثة"]؛ وأربعة مُجلّدات في عام ١٩٩٧م [الأربعة أجزاء التي تُكوّن الترجمة الكاملة لكتاب "الموجز في مُمارسة

الجراحة"]. كلّ ذلك كان قبل "النشر الحاسوبيّ"! ولكُمْ أنْ تتخيّلوا ضخامة هذا المشروع؛ من حيث "الجيشُ العرمْرم" الـذي شـارك فيـه مـن مُتـرجمين ومُراجعين ومُشرفين، ومن حيث إدارةُ هذه الموارِدِ البشريّةِ، والموارِدِ الماليّة المحدودةِ حقًّا! فماذا نُسمّي ذلك؟ ألم يكنْ صمودًا مَلحميًّا أسطوريًّا؛ سـيّما أنّ "القوى المُناوئة" هبّت لإجهاض المشروع منذ ولادته؟ ومع أنّها – للأسـف – نجحت أخيرًا في ذلك، إلاّ أنّ المُحصّلة من أعلاقٍ قيّمة في المكتبـة العلميّـة العربيّة تظلّ "شاهدًا على فنّ الممكن" في هذا المجال"[١١]. (ثانيًـا) مشـروعٌ جليلٌ آخَرُ كان من ركائز حملة المجمع هذه؛ أعني: "تعريب الرموز العلميّة"، والنظر المُتعمّق في سلسلتَي الأرقام المشرقيّة والمغربيّة. شُكّلت "لجنة الرموز العلميّة" عام ١٩٨٣م بقيادة أحمد سـعيدان. ونُشـرت حصـيلة عملهـا عـام ١٩٨٥م[١٢]. وكان أبو وائل يُتابع هذا العمل عن كثب. كما ترأس فريقًا لدراسة سلسلتَي الأرقام هاتيْن. ونوقش مشروعُ المجمع هذا، جنبًا إلـى جنـب مـع مشروع آخرَ لمجمع اللغة العربيّة بالقاهرة، ومع الردود الواردة مـن هيئـاتٍ علميّةٍ عربيّةٍ شتّى، في ندوة عقدَها بمجمعِنا اتّحادُ المجامع اللغويّـة العلميّـة العربيّة في بواكير ١٩٨٧م. وكانت المُحصّلة مشروعًا مُوحّدًا للرموز العلميّـة العربيّة[١٣]. ومع أنّ هذا المشروع الرائد الأصيل وُضع فـي الأدراج، فـإنّ منهجيّته تُعَدّ إنجازًا يُعتدّ به. (ثالثًا) شهد عام ١٩٨٣م انعقاد أوّل موسمٍ ثقـافيّ للمجمع[١٤]. ومن ثمّ أصبح الموْسم الثقافيّ تقليدًا سـنويًّا لا يُسـتغنى عنـه. (رابعا) جرى كلّ ذلك في معمعة انتقال المجمع إلى مقرّه الدائم الحـاليّ فـي عام ١٩٨١م. والفرحة بالبيت الجديد العامر جعلتْ أبا وائل وصـحبَه الكـرام ينسوْن العناء والعَنَت والنّكد.

بلى! كانت تلك سبعَ سنواتٍ "عجيبة" بإنجازاتها الأصيلة، وأجوائها الفريدة، وصمود الرئيسِ المُؤسّس للمجمع صمودًا أسطوريًّا أعزّ نظيره. لا أبالغ؛ فقد كنتُ هناك: شاهدَ عِيان.

-٣-

ثمّ ماذا؟

أستطيع أنْ أذكرَ أوقاتًا أخرى تجلّى فيها صمودُ أبي وائل. أكتفي هنا بذكر وقفتيْن. أولاهما: حين شغر منصب الأمين العام باستقالة عبد اللطيف عربيّات (أبي سليْمان) كي يَتسنّى له الترشيح لمجلس النوّاب، حسب الأصول. ولمْ تتأخّرْ بعض القوى المتنفّذة في محاولاتها الضغط على أبي وائل لتعيين أحد الأشخاص أمينًا عامًّا جديدًا، مع أنّه لم يكن مُؤهّلاً قطعًا لذلك المنصب! وثبت رئيسُ المجمع ثباتَ الأبطال، يُسانده رجالات المجمع، رغم الضغوط الهائلة عليه من كُلّ حدْبٍ وصوْب. كان ذاك صمودًا وأيَّ صمود!

أمّا الوقفة الثانية، فهي تأسيسُه "اللجنة الوطنيّة الأردنيّة للنهوض باللغة العربيّة للتوجّه نحو مُجتمع المعرفة". جاءت هذه بقرار من رئيس الوزراء في بواكير عام ٢٠١٠م، بعد تنسيب أبي وائل بأسماء أعضائها. وهي "هيئة مُستقلّة"؛ والمجمع مُضيفها. وأصبح "تقليدًا" أنْ يترأسَها رئيسُ المجمع نفسُه. وكان مؤتمر القمّة العربيّة الذي عُقد في دمشق عام ٢٠٠٨م قد أقرّ تأسيس لجان قطريّة كهذه، وأكّد هذا القرارَ المؤتمرُ التالي في الدوحة عام ٢٠٠٩م. فاستجاب الأردنّ فوْرًا. وغنيّ عن القوْل أنّ تأسيس لجنةٍ محوريّةٍ كهذه إنْ

هو إلاّ صمودٌ بحدّ ذاته. وإنجازات هــذه اللجنــة، واســتمرارها بنشــاط لا يَستكين، لخيْر شاهدٍ على حُسن التأسيس.

أبا وائل الغالي:

إنّي أفتقدُك؛ ونحن جميعًا نفتقدك. نفتقد فيك الهيبــة والوقــار والنزاهــة والاستقامة. وقبلَ كُلّ شيء وبعدَه، نستذكر صمودَك البطــوليّ الأســطوريّ طوال حملة التعريب، وقبلها وبعدَها. فقد علّمتنا، وســتظلّ تعلّمنــا، الكثيــر. أقول: إنّ إرثَك حيّ فينا لا يَذوي ولا يَخبو.

فإلى جِنان الخُلدِ أيّها الغالي.

المراجع والهوامش

(١) أُسّس المجمع بإرادةٍ ملكيّةٍ سامية (عدد **الجريدة الرسميّة** المؤرّخ ١٩٧٦/٧/١م). وباشر عمله رسميًّا في ١٩٧٦/١٠/١م. وعقد مجلسُه أوّلَ اجتماعٍ له في اليوم التالي، برئاسة وزير التربية والتعليم. وفي هذا الاجتماع، انتُخب الدكتور خليفة رئيسًا للمجمع، والدكتور السمرة نائبًا للرئيس، والأستاذ الناعوري أمينًا عامًّا للمجمع. وبموجب قانون المجمع المُؤقّت رقم (٤٠)، صدرت الإرادة الملكيّة بتعيين الدكتور عبد الكريم خليفة رئيسًا للمجمع في ١٩٧٦/١٠/٢٠م. [انظر: الكتاب التذكاري للمجمع في الذكرى الأربعين لتأسيسه: **مجْمع اللغة العربيّة الأردنيّ في أربعين عامًا**، عمّان، ١٤٣٧هـ/ ٢٠١٦م.]

(٢) **ويكيبيديا** (العربيّة): محمّد عبد الرحمن خليفة (١٩١٩-٢٠٠٦م): المُراقب الثاني للإخوان المُسلمين في الأردنّ، وصاحب أطول رئاسة لهذه الحركة (١٩٥٣-١٩٩٤م).

(٣) هُمام غَصيب: عيسى الناعوري – عِصاميّة وبساطة وحماسة: مؤتمر **عيسى الناعوري**؛ مركز الحسين الثقافيّ، رأس العين – عمّان، ٣-٤/٤/٢٠٠٦م.

(٤) عبد الكريم خليفة: **اللّغة العربيّة والتّعريب في العصر الحديث**، مَجْمع اللّغة العربيّة الأُردنيّ، ط٢، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

(٥) المرجِع السابق (٤)، ص ٧-٨.

(٦) **ويكيبيديا** (العربيّة): بنْد "أسطورة".

(٧) عبد الكريم خليفة: "ومضات حول نشأة مجمع اللغة العربيّة الأردنيّ بمناسبة مرور أربعين عامًا على تأسيسه"، **مجلّة مجمع اللغة العربيّة الأردنيّ**، عدد خاصّ في الذكرى الأربعين لتأسيس المجمع، عمّان، ١٤٣٧هـ/٢٠١٦م؛ ص ١٥-٢١.

(٨) كان ذلك بعد فصلها عن سورية الكبرى؛ على أنْ ترتبطَ بالمندوب البريطانيّ في القدس.

(٩) محمود السّمرة: "تجربة مَجْمع اللّغة العربيّة الأُردنيّ في تعريب العلوم"، **مجلّة مَجْمع اللّغة العربيّة الأُردنيّ**، العدد المزدوج ١٥-١٦، ١٩٨٢م؛ ص ٩٦-١٠١.

(١٠) أحمد سعيدان: "نحو نظام عربيّ للرّموز العلميّة"، **مجلّة مَجْمع اللّغة العربيّة الأُردنيّ**، العدد ٣٠، ١٩٨٦م؛ ص ٣٩-٤٧.

(١١) انظر: المُحاضرة التي ألقاها كاتبُ هذه السطور في رحاب المَجمع، في ٢٦ جُمادى الأولى ١٤٢٨هـ/١٢ حَزيران ٢٠٠٧م، ضمن **الموسم الثقافيّ الخامس والعشرين** للمجمع، بعنوان "تجربة مَجمع اللغة العربيّة الأردنيّ في تعريب التعليم الجامعيّ: الإنجازات، والصعوبات، والتحدّيات". وقد نُشرت (مع المناقشة التي تلتها) في كتاب هذا الموْسم الذي صدر في وقتٍ لاحق من ذلك العام، بعنوان "مجمع اللغة العربيّة الأردنيّ: إنجازاته، وأهدافه، وتطلّعاته المُستقبليّة"؛ ص ٢١٣-٢٤٠. انظر أيضًا:

هُمام غَصيب: "مجمعنُا: شهادة""؛ **مجلّة مجمع اللغة العربيّة الأردنـــيّ**، عدد خـــاصّ فـــي الـــذكرى الأربعـــين لتأســـيس المجمـــع، عمّـــان، ١٤٣٧هـ/٢٠١٦م؛ ص ٢٧-٣٠.

(١٢) مُقرّر لَجنة الرموز، أحمد سعيدان: **مشـــروع مجْمـــع اللغـــة العربيّـــة الأردنيّ للرموز العلميّة العربيّة**، عمّان، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

(١٣) اتّحاد المجامع اللغويّة العلميّة العربيّة: **الرموز العلميّة وطريقة أدائهـــا باللغة العربيّـــة**، نـــدوة عمّـــان، جُمـــادى الأولـــى ١٤٠٧هـ - كـــانون الثاني/يناير ١٩٨٧م، اتّحاد المجامع اللغويّة العلميّة العربيّـــة، القـــاهرة، ١٤٠٨ هـ/١٩٨٨م؛ ط٢، الرباط، ١٩٩٥م.

(١٤) **الموســـم الثّقـــافيّ الأوّل**، مَجْمـــع اللّغـــة العربيّـــة الأُردنـــيّ، ١٤٠٣هـــ/١٩٨٣م.

اليوم الثاني من الموسم

"الأستاذ الدكتور محمد حمدان"

- كلمة الأستاذ الدكتور رئيس المجمع.
- شهادة لصاحب المعالي الأستاذ الدكتور محمد أحمد حمدان بعد زمالة ثُلث قرن من تاريخ عمله الأكاديميّ، الأستاذ الدكتور ضياء الدين عرفة.
- مواقف ووقفات مع أبي أحمد رحمه الله، الأستاذ الدكتور موسى الناظر.
- المرحوم الأستاذ الدكتور محمد حمدان العالم والإنسان، الأستاذ الدكتور عدنان عوض.
- شهادة ابن، الأستاذ الدكتور أحمد حمدان.

كلمة الأستاذ الدكتور رئيس المجمع

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمدلله ربّ العالمين

والصلاة والسلام على النبي العربي الأمين

وعلى آله وصحبه أجمعين

ضيوفنا الكرام الأخوة الأعزاء ضيوف هذا اللقاء

باسم هذا الجمع من أعضاء المجمع زملاء أبي أحمد من العلماء الأجلاء أرحب بكم هذا النهار، ونحن هنا في المكان الذي ما زال غيابه عنه حاضراً فيه.

أبو أحمد، المجمعي الكبير، والأكاديمي المتميز، والوطني الممتد من يافا إلى عمان، وبعد زمان من العطاء والصَّبر والامتداد إلى أرض الأمة والعالم غادر ذات فجرٍ مع ساعة السّرى، وأظنه عرّج على يافا، وعلى قريته الأولى، سلّم، ثم وصل في الظهيرة للوداع.

أيها الجمع من أهلنا،

مرّة ثانية: السلام على روح محمد حمدان، والسلام عليكم، ولحضوره النبيل معنا على مدى سنوات، على العالم، والأخ، والصديق....

فلماذا غبت!! أما وعدتنا بيافا يا أبا أحمد، وانظر ما يجري بعد رحيلك... لقد استباحنا الحزن على فلسطين يوم استباحنا الآخرون ونحن ما زلنا عند قول الشاعر:

"لكلّ شيء إذا ما تمّ نقصان".

أقول:

"رجلٌ طِينهُ من العنبر الوردِ"...

وكأن التوحيدي الكبير أشار إليه وإلى من هم في مثل مودّته:

"الصديق آخرُ هو أنت"

"أبو أحمد"، هو كما نحبّه،

"صاحب المعالي" في الحكومات،

"الأستاذ الرئيس"، وهو الأستاذ الجامعي والرئيس، والعالِم في حضـــوره البعيد على امتداد زمان توالت فيه الفصول على هذا الصاحب العزيز.

صاحبي أبا أحمد؛

"صاحبي!!"

نقرأ في كتـــاب الله الكـــريم: ﴿ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ إِذۡ هُـمَا فِي ٱلۡغَـارِ إِذۡ يَـقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَـنَا﴾صدق الله العظيم

وقالت العرب:

"بكى صاحبي لما رأى الدرب دونه"

إلى أن نادى مالك بن الريّب:

"فيا صاحبي رحلي"

وكأنّ "كُثيراً" كان يردّ عليه:

"خليلي هذا ربع عزّة"... .....

ومنذ ذاك الزمان في ربيع الأمة ونحن "صَحبٌ"، و"أصحابُ"... والنداء فيا صاحبيّ... أو "فيا صاحباً..."

أبا أحمد،

أكتب عن حضورِكَ، وقد افتقدتك في غيابك الطارئ الأخير فناديت يوم افتتاح مؤتمر المجمع:

يعــزّ علــيّ حــين أديــر عينــي أفــتش فــي مكانــك لا أراكــا
ولو أنّي استطعتُ خفضــت طرفــي فلــم أبصــرْ بــه حتــى أراكــا

أبا أحمد،

تلك يافا على مرأى وردة من القلب، وليس من حقي أن أنافسك عليهــا، ولا أن أجرح التذكّر الذي في روحك عنها، لكنني، وقــد عاينــت ســطوراً لياقوت الحموي منشورة في مقدمات "تهذيب اللغة للأزهري" (الهروي) عــن مدينة هَراة؛ وهي إحدى المدن العظيمة –آنذاك– فــي خراســان: "ولــم أرَ بخراسان عند كوني بها سنة ٦٠٧ مدينةً أجلّ ولا أعظم ولا أفخر ولا أحسن ولا أكثر أهلاً منها. فيها بساتين.. ومياه.. وخيرات.. محشوّة بالعلماء... وقد أصابتها عين الزمان، ونكبتها طوارق الحُدثان، وجاءها الكفّــار مــن التتــر فخرّبوها حتى أدخلوها في خبر كان، فإنّا لله وإنّا إليه راجعون وذلك في سنة ٦١٨."...

أرأيت أيها العالم.. تلك مدينتك الأولى وهل ترى معي كيف أن "محشوة" هذه لم تقع في نص أجمل ممّا هي عليه الآن!!.

أعود إلى التذكر..

ها نحن معاً ذات مساء في قصرِ بسمان، نتقاسم التعليم والثقافة، معنا أكاديميون أو قلة من هذا "الجنس" في العلماء، والدّنيا لا تهدأ من حولنا، فتعلمت منك صبر العالمِ، وأناقته، ودقّته... ومرّ زمان يصل إلى عقدين ونصف.

فكنّا معاً في المجمع.. كلّ شيء خطر بالبال إلا أن تعلّم درساً جديد في خُلُق العلماء.. أنا رئيس للمجمع بعددٍ من الأصوات مقبول، أما أنت فنائب للرئيس بالأصوات كلّها.. سامحك الله يا أبا أحمد... والله ما رأيتُ نفسي قبلك في أمرْ... لكنّ فرحي كان هائلاً، لأنني حين كنا رفيقَي سفر إلى الرّياض عرفت أن الرئيس الأول في الوفد لا يخفى على العلماء هناك، وكنتَ أنت الرئيسَ والصاحبَ والصديق .

أبا أحمد،

أدوّن هنا من قصيدة لممدوح عدوان عنوانها: "ولا تحسبنّ"

"إن فلسطينَ من جيلِنا،

طفلةٌ كبُرت في الهموم التي فاجأتنا صغاراً

وجاءت فلسطين نحو القرى كلْمة في كتابٍ

وأهل القرى يجهلون القراءة

جاءت غناءً وهم يطلبون الرّغيف

. . .

فلسطين عمرٌ لنا، وملامحُ وجهٍ وعشقٌ..

وها أنت، لا زلت فينا، تمدّ قنطرة نحو يافا، وتُعلي مسجداً شرقي البلاد، ومدرسة غربيها، وتقرأ أسئلتي الحائرة في السياسة والديمقراطية والتكنوقراط، فما عُدت أعرف وصفاً لنا نحن الذي خرجنا من المدارس البسيطة وواجهنا غبار الطرق، وهجير الاستعباد، ثم غلبت الحيرة عليهم في تصنيف أبناء الفلاحين، فقد كبروا، وتجاوزت أسئلة المرحلة إلى وعيهم العالي، بينما الجامدون والجاحدون والخائفون يقودون قطار المرحلة العثمانية بالعقلية نفسها إلا من بدّل العثماني بآخر بريطاني..

لقد امتدّ هذا الزمان الشقيّ بنا حتى رأينا الأمة وقد تشظت، وحين أطلّ الربيع كثرت مناجل قوى الضدّ (بين رجعي ومستلبٍ وعميل) حتى ماتت السنابل وهي بعدُ في أوّل النهار..

فيا صاحبي،

أنا لا أتذكر شيئاً عنك الآن، فلسنا من الماضي، ولسنا في رحابه، نحن ما نزال –كما أنت، عقلٌ يتوهجّ بين أيدينا في الجامعات التي كنت بين من جعل رايات الإبداع والحرية فيها حاضرة، ونحن وعيٌ لا يمكن تجاوز دوره، فجيلنا هو الذي نقل الوطن، وأجزاء من أرض الأمة، إلى الوعي الوطني والقومي في مواجهة بقايا الزمن العثماني الذي ظلّ فينا على الرغم من ثورة العرب، وأجهز على ادعاءات الاستعمار في بلادنا يوم تكشف وجهه القبيح فيما وقع لفلسطين.

نحن بعض هذا،

وهذا ليس في باب الادعاء،

بل هو في باب الضرورة يوم اختلطت الأمور، ووقع الاضطراب الذي نحن فيه.. ورأينا أمّهات العواصم تحت سيطرة العلوج.. هل تتذكر بيـــروت وبغداد أم نسينا ذلك!!

أيّها المعلّم،

ذُلّني على المزيد من صفحات الرّضا، ومعنى الحياة.

ويوم دار حوار حول قول ديوجين:

"يكون الأسد حبيساً، ولكن لا يجعله الحبس عبداً"

ويوم كنّا نرى الحريّة حريّة الأمة "قاب قوسين أو أدنى."

بإيقاعك العذب وأنت شيخ بين العلماء، وعالمٌ بين الشيوخ، أيّها الجدول العذب منذ أوّل زمان في يافا إلى زمانك في عمّان، وما بـــين هـــذا وذاك... زمان الوحدة بين ضفتي النهر، وصبغ ذلك الزمان من رؤى، وتاريخ، وآمالٍ عِذاب.

كنت سأبدأ من اليرموك وأنت تلمّ جراحها، وتهدهد أجزاءهـــا، أو مـــن الهاشمية وأنت تجلب لها نهراً ما تزال تغرف منه،

وما غابت عنك الأندلس ولا عنّي..

وما نزال بأوجاعنا العذبة نستغيث، وأرى في صمتك المهيـــب حكمـــة أراها أيضاً في ساعات غضبك النبيل؛ سواء أكنا في المجمع، أم في لجـــان المناهج، أم في مجلس الوزراء... ومهما استبد بنا السؤال الصعب: هذه الأمة

إلى أين.. وأتذكر أن العربي عمر فاخوري قد نشر كتاباً سنة ١٩١٣م، وهو في التاسعة عشرة عنوانه: "كيف ينهض العرب".

وقد نشرت بحثاً فيه منذ ثلاثين عاماً، لذلك، أقترح في هذا الصبّاح الكريم، ومن منبر هذه المؤسسّة العزيزة:

أن تعقد المؤسسة مؤتمراً بهذا العنوان، وأضيف أن الكتاب الذي غاب سبعين عاماً موجود، وأنّ الفتى الذي حكم بالإعدام ثم اختفى حتى جلاء الاتحاد والترقي يستحق التكريم.. لا أقول إن المؤتمر عنه، بل عن أزمة الأمة، ومن كان لا يدرك بعد أنها في أزمة، فالدعوة له بالرحمة والغفران..

فسلام على الصادقين اليتامى في أرض الأمة،

سلام ما هبّت الرّيح حباً وجنوباً،

سلام لشهداء فلسطين والأردن منذ أن خرجت كتائب العرب في الثورة، ويوم أن خرجت ثلاث جنازات من سجن عكا... وامتد الغناء الحزين: "من سجن عكا طلعت جنازة".

سلام إلى أن تستيقظ الأغلبية الغافلة أو الممتدة في رمال النسيان،

أقول:

ما زال النفط يتسرب من بين أصابعنا،

والورد يذبح في شوارع مدننا

والجيل الغاضب يسكب على الدم نجيعاً ويزيد،

وقد دهمتنا أدواء الأمية والعامية، والإرهاب، والتطـــرف، والانغـــلاق، والفتاوى التلفزيونية، والتغريب والاستلاب...

والأمرُ له علاج واحد في ثلاثة:

"الحريّة- والوعي- والعلم"

لذلك لا بدّ أن نبدأ الدرس الأول:

"تعليم الحريّة للمضطهدين"

والدرس الثاني: إذا الشعب يوماً أراد الحياة.

والدرس الثالث: وكتابه في الشهداء.

والدرس الرابع: اللغة المقدّسة.

والدرس الخامس: خطبة محيي الدين بن الزكي يوم تحريـــر القـــدس/ بحضور صلاح الدين.

.. وهناك دروس ودروس... والله أعلم.

أيّها الصاحب،

لقد سبقتنا إلى كثيرٍ مما كنّا نتمنى..

وأنا واحد من هؤلاء،

لذلك أقول لك :

"ما حيلتي وخطاي أقصرُ من خطاك!!"

وكان الذي سبقت إليه في سبيل وطنٍ تعلّمنا من حركة الزمـــان علـــى الجغرافية أنّه في قلب أمّة عظيمة، وأن الذين توحّدوا في التعليم من خريجي الكلية العربية والسلط الثانوية قد مهّدوا لإنجاز في التعليم والوعي هائل.

أمّا الذين توحّدوا من أهل القرى والمدارس الطينية على ضفتي النهـــر فكان عليهم عبء الامتداد الأفقي للوطن والأمة، وهم –كما نحن– أبناء رجال كل واحد منهم كان "حرّاث الأرض" و"حرّاث المنايا.".

ولك التحية والسلام

شهادة لصاحب المعالي الأستاذ الدكتور محمد أحمد حمدان
بعد زمالة ثلث قرن من تاريخ عمله الأكاديميّ

الأستاذ الدكتور ضياء الدين عرفة
المجلس الأعلى للعلوم والتكنولوجيا

الخميس ٢ جمادى الأولى ١٤٤٢هـ - ١٧ كانون الأول ٢٠٢٠م

بسم الله الرحمن الرحيم

أصحابَ الدولةِ والمعالي والعطوفةِ والسعادة

السيداتُ والسادةُ

أيُّها الجَمعُ الكريمُ

السلامُ عليكم سلامَ الأوفياءِ الصابرين،،

ورحمةُ الله على أستاذنا سادِنِ الرقم والحرفِ،،

وبركاتُ ربِّنا عليه وعلينا أجمعين،،

وبعد،،

فأبدأُ بكلامِ ربِّ العالمين في مُحكَـم كتابه المبين:

﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ۝٢٧ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾... فـــإلى الـــروح الطاهرة روح الفقيد سلام بمجموع كلِّ الأرقامِ، وعلى سيرته العطرة نجتمـــع اليوم في مجمع اللغة العربية الأردنيّ في موسمه الثقافي لعام ٢٠٢٠م؛ لتكريم شخصية استثنائية بكلّ ما هو إيجابيّ؛ فهو عَلَـــمٌ من أعلام الفكر، ومنارة في التربية والثقافة والمعرفة والبيان والإرادة وفن الإدارة، وهو قبل كـــلّ هـــذا إنسانٌ نبيلٌ وعالِمٌ جَليلٌ، العطاءُ الجزيلُ سَجيّتُه، والتنـــوع العلمـــي ميزتُـــه، والسلوك الحميدُ صفته؛ لما يحمله ويجسّده من فكر منفتح معتـــدل، ومبـــادئ تعلو بالإنسان العربيّ ويسمو بها مكاناً وزماناً وبياناً بلسانٍ عربـــيّ مبـــين؛ فلسان المرء يُنْبِئُ عن عقله، ويدُلّ على فضله، فلأهـــل التقـــوى علامـــات يُعرفون بها فيمتازون بصدق الحديث، ووفاء العهد، وصلة الرحم، ورحمـــة الضعفاء، والتواضع، وحسن الخلق وسعة الصدر.

هو ابن الجيل التنويري في الأردن وفلسطين، ذلك الشاب الذي قدم من يافا عروس البحر هادئاً في سلوكه وعميقاً في تفكيره كبحرها الأبيض المتوسّط، مروراً بنابلس جبل النار ليصبح شعلة عمل لا تنطفئ، إلى أن كان مستقرّه في عمان عاصمة الوفاق والاتفاق؛ ليمتاز عن كثيرين بشموخه كجبالها وزيتونها، كان رحمه الله كريماً معطاءً مثل كرومها، استطاع بجده واجتهاده أن يرتقي إلى أعلى الدرجات العلمية والأكاديمية والسياسية والإدارية، حتى ليَضيقُ عليَّ أفقُ اللغة على اتساعها في وصف هذا الإنسان الذي لن يكرره الزمان، إنه المربي، والتربية أعلى رُتب الإنسان .. هو معالي الأخ الأستاذ الكبير الدكتور محمد حمدان.

اسمحوا لي ابتداءً أن أزجي خالص الشكر والتقدير إلى معالي الأخ والصديق الدكتور خالد الكركي –أطال الله في عمره– رئيس مجمع اللغة العربية الأردنيّ، وإلى أعضاء هذا المجمع البهيج على تشريفي بدعوتهم الكريمة للحديث عن فقيدٍ فارسٍ من هذا الزمان، ترجّل بكلّ عزٍّ وعنفوان، وسأنتهز هذه المناسبة لأتحدث عن التاريخ الأكاديمي لفقيدنا، وعلاقتي به، وشهادتي له...

ففي الجامعةِ الأردنيّةِ وعلى مدى يزيد على ثلاثين عاماً حظيت بلقاء معالي أبي أحمد حينما كنت عائداً من بريطانيا في بعثة دراسية لدراسة الدكتوراه على نفقة المجلس الثقافي البريطاني والجامعة الأردنية .. وكان لقاء ممتعاً مع شخصيةٍ استثنائيّةٍ في كلية العلوم، ملكتِ الإدارةَ والعبارةَ، ولها حضور علمي جاذب آسر بين الأساتذة والطلبة، يتحدثون عنه عالماً في الرياضيات .. متمكناً بلا قرين، وضليعاً مفكراً بلا مثيل، يبهرك بذكائه، ويثير الدهشة في حضوره؛ متحدثاً بلكنته الفصيحة الصافية.. لتكون العربيةُ

الجميلة لغةَ حواره باستمرار .. فهو العالم الأردني العروبي الذي عشق لغة أجداده، وآمَنَ أنَّها ركنٌ أساسٌ من أركان الأمة العربية، ولا يمكن أن تتقدم إلا بها، فاللغة جزء لا يتجزأ منها، وشعاره أنه لن يكون لنا مشروع ناجح للنهضة ما لم تكن اللغة العربية حاضرةً فينا بقوة وبحيوية؛ لنقوم بنشرها وتوظيفها على المستوى العالمي، لأنها رسالةٌ مهمةٌ، وسببٌ رئيسٌ من أسباب التطور والتقدم .. هذا عدا صوْلاتِ أستاذنا وجولاته في علم الإحصاء الرياضيّ والاحتمالات، واستشرافه المستقبلَ الواعد، ودقة ملاحظته، ونقده البنّاء، وقدرته على التعبير بسهولة ووضوح ويُسر، وتزداد إعجاباً به عندما صارَ حالة إبداع يشهد لها الجميع، يشار به بالبنان، لأنَّه قامة وطنية علمية وثقافية، لها حضور علمي وتعليمي وتربوي وفكري وثقافي بارز على المستوى الوطني والعربي والدولي.

محمد حمدان: علامةٌ فارقة ومتميزة في طريقته العلمية والمهنية؛ وعطائه اللامتناهي حتى غدا نجماً من نجوم العلم والمعرفة والتربية في سماء عمّان، فقد تسنَّمَ منبر عدد من مؤسساتنا التعليمية؛ ليمزج بين العلم والتربية والثقافة متولياً مسؤوليات في التدريس والبحث العلمي.

لعلَّ من أهم إنجازاته وإسهاماته إنشاء بعضِ مؤسسات التعليم العالي، وبعضِ مدارس القطاع الخاص، وهو صاحب شخصية قيادية فذّة، صقلها بالقدرة الإدارية، والمرونة، ورسم الإستراتيجيات والتخطيط السليم، والقدرة على التنفيذ، والجرأة في اتخاذ القرارات الصعبة الحاسمة، يرافق هذا كله حسه الإنساني وتواضعه ولطفه اللامحدود بتعامله العادل المنصف مع الجميع، كما شهد له بذلك جميعُ مَن تعاملوا معه رؤساءَ ومرؤوسين في عدد من المؤسسات التعليمية في داخل الوطن وخارجه.

الجامعة في فكر الدكتور حمدان هي معقل الإبـــداع والريـــادة والبحـــث والمعرفة، وهي عقل الدولة، وموئل الحكمة والحرية، فهي منظمة تنسج فـــي كيانها وثقافتها قدرةً متجددةً لرسم ملامح الرقي والتقدم في المجتمع بـــالتعلّم والتكيف والتغيير وزرع الأمل الإيجابي في نفوس العـــاملين فيهـــا، لتجنـــي المؤسّسة والوطن ثمار هذا الأمل في إحداث ثقافة تغيير إيجابي حقيقي مثمر، لدفع العاملين في الجامعة لإنجاز أعمالهم بكفاءة وفاعلية عاليتين، ورغبة في الإنجاز والعطاءِ؛ لأنه منحهم الثقة بإدارةٍ جامعية تقدر الإنجاز أحسن تقديرٍ.

وللدكتور حمدان ذاكرة قويّة للعاملين في قطاع التعليم العالي ومؤسســـاته التي شغل عدة مناصب فيها عميداً ورئيساً ووزيراً ومستشاراً، مدركا أن هذه المؤسسات هي المكان المناسب لبناء الشخصية المتوازنة في العقل والفكـــر والثقافة والأسلوب من أجل تطوير قدرات الشباب وقابليتهم واستعدادهم؛ لكي يصبحوا فرساناً قادرين على الإسهام في تطور المجتمـــع وتقدمـــه وصـــنع المستقبل وصياغته وحل مشكلاته. فكان الاستثمار في التعلم والتعلـــيم فـــي مقدمة أولوياته الوطنية، مرتكزاً بذلك على الإنجازات التي حققها في مسيرة التعليم في الأردن حتى تفوق الأردن لسنوات طويلة على دول الإقليم كلّهـــا، ولامَسَتْ إنجازاتُه التميزَ العالميَّ كمّاً ونوعاً. وقد كان متطلعاً في الوقت نفسه إلى عقليات المستقبل بأنواعها الخمسة حسب تصنيف (Howard Gardner) هوارد جاردنر، وهي: العقلُ القادرُ على التوليف والربط، والعقل المعرفـــيُّ المنظم – المبني على المنطق، والعقلُ القائم على الاحترام، والعقل المبـــدع، والعقل الأخلاقي.

وقد رسَّخَ أثناءَ عمله عميداً لشؤون الطلبة وعميداً لكلية العلـــوم وعميـــداً للبحث العلمي في الجامعة الأردنية ثقافة الحوار الهادف البنـــاء الـــذي يقـــدم

مصلحة الجامعة والمصلحة الوطنية على كل المصالح الذاتية الشخصية، فهو كشجرة الزيتون دائم العطاء أخضر الطباع، يقف من الجميع على مسافة واحدة، لا ينظر إلى منابتهم، ولا إلى أصولهم، ولا إلى ألوانهم، ولا إلى ميولهم وأهوائهم، ولا إلى علاقاتهم، ولا إلى جامعاتهم التي تخرّجوا فيها. فمن وجهة نظره الجامعة تضم داخل صرحها أطياف الوطن كافة منفتحةً على المجتمع المحلي والوطني والإقليمي والعالمي تتعامل مع الجميع بمنظومة راسخةٍ من القوانين والأنظمة والتعليمات والأعراف المتراكمة بالخبرة والعمل.

وأشهد أنه كان يحترم الطلبة والموظفين وجميع العاملين معه ليصبح كل من التقى به صديقاً له من حُسن ما يلقى من معاملته له، ولا سيما أنَّه أوتيَ نعمةَ الاستماع حتى آخر الكلام؛ فقد استطاع أن يحول أطياف الطلبة إلى اتجاهٍ يصبُّ في مصلحة الجامعة والوطن، يمارسون المسؤولية في إطار جامع منيع من الولاء والانتماء والحرص على كلّ مؤسسة عمل فيها، وأعلى رؤيتها ليقتنعَ العاملون معه بأنّهم مبدعون ما داموا يعملون بجدٍّ واجتهاد، وليساعدَهم على إخراج مواهبهم في المجالات كلّها بتشجيعه المستمرّ لهم؛ فليس الإبداع في أن تزرع الشجرة وتمضي، بل الإبداع هو أن تصنع بيئة صالحة لبقاء الشجرة في حالة نموّ وعطاء، هكذا كان رحمه الله وإن لم تطاوعه الإمكانيات أحياناً.

الدكتور محمد حمدان من الرعيل الأول الذين حملوا هموم الوطن، وبذلوا ما بوسعهم لرفعة مؤسساتنا التربوية لإثراء جيل غني مسلح بالمعارف العلمية الجديدة والمنتجة، وعمل على توسيع مداركه وصقلها بمهارات العلوم

الأخرى ومناحيه المتداخلة. ومن خلال أحاديثي الجانبية معه اتضح لي إيمانه الراسخ باستقلالية الجامعات، وهو أول من عمل على تكريس هـذا المبـدأ. وآمن بأن تقدم الدول يكون من خلال محور العلوم والتكنولوجيا إذا وضَعتْهُما الدولُ ضمن أولوياتها. وآمن أن التحديات تفرض التغييـر لإزالـة الجمـودِ الفكري، والتكلّسِ العلميّ ذلك لأنه ضرورةٌ حتميةٌ لمجابهة التحـديات لكنهـا غير مجدية في غياب سلطة القانون؛ لأن الضعف العلمي يؤدي إلى ضـعف اقتصادي واجتماعي وثقافيّ، بل قد يؤدي إلى ضعفٍ وجوديّ.

إنَّ اتباع العمل المؤسسي في فِكر الدكتور حمدان يوازي بأهميته المـنهج الحديث في الارتقاء بالعملية التعليمية؛ إذ استثمر على مدى عقـود طويلـة خبراتِه المتعددةَ من أجل التخطيط والنهوض بهذا القطاع حتى ذاع صيته في هذا المجال محليّاً وخارجيّاً. ولم يكن ذلك بالأمر السهل لإيجاد كتلة حرجـة تحدث تغييراً إيجابياً في السلوك والنهج والتفكير؛ إذ خاض رحمه الله معاركَ شرسةً على جبهات عدة متحلّياً بالصبر والإيثار والأنفة، وأعطى من عمـره ما يزيد على أكثر من ستة عقود في نقل علمه وخبراتـه ورؤاه إلـى جيـل المستقبل حتى أصبحت شخصيته قدوةً في العمل والتشبث بالأمل.

وأشهد أنَّه كان الصارمُ الليّن، والقويّ الحنون، والصلب المتسامح، صاحبُ التميز والأفكار والإبداع .. وفي الوقت نفسه هو للتواضع عنوان، فابتسامته التي ترتسم على محياهُ تعكس طيبته وكرم أخلاقه، فهي جواز سفره إلى قلب كل من عاصره، وكانت من أهمّ أسرار نجاحه بالرغم من كلّ قـوى الشـد العكسي التي واجهته.

ومع أنَّ أستاذنا الذي نحن في ضيافة ذكراهُ وسيرتُهُ كان يعـاني ضـيقَ الحال في بعض الأحيان بسبب الموارد الوطنية المحدودة، إلا أنه كان دائـم

التحرّك ضمن تلك الموارد المحدودة التي تفرض الاقتصاد في الإنفاق والإنفاق باقتصاد. ولما كان يشعر دائماً بحاجات التغيير وأولوياته، كان محرك التطوير لديه أن يتحرك بأنشطة منظمة ومرتبة ومدروسة لإنتاج مخرجات ومسارات تأثيرية قابلة للتطوير ومبنية على استراتيجية واضحة، تعتمد الشمولية في الطرح ضمن منظومة متكاملة للتغيير تشمل القيم، والإدارة والأداء المتميز، والعمل التعاوني، لإحداث تنمية مستدامة ضمن مسارين: الأول في المجال المعرفي، ويتمثل بتكوين المعرفة وإنتاجها ونقلها وتوظيفها. والثاني في المجال الاجتماعي والثقافي؛ من أجل بناء مجتمع متماسك ومتشارك ومتعاون، في القناعات الوطنية والاتجاهات الاجتماعية وتوحيدها من أجل تطوير القابليات والسلوكيات والاستعدادات وتوزيعها بالعدل، والعدلِ ليس غير.

وبعدَ ذلك حظيتُ بشرف تكليفي رئيساً لجامعة آل البيت في العام ٢٠١٤م؛ لأعمل بمعية شيخِنا رئيس مجلس أمناء الجامعة آنذاك، ما ساهم بقربي منه. وفي مدى يزيد على أربع سنوات كانت أيامها تراكماً كبيراً في الإعجاب والتقدير بالدكتور حمدان وبشخصيته، من خلال حضور مجلس حاكمية الجامعة إلى جانبه، لفتني فيها بقدرته المذهلة في إدارة المجلس المميز برئاسته وأعضائه الذين هم من خيرة الخبراء في الأردن، مستفيدين جميعاً من خبراته التراكمية وبراعته في الحياة والعلم؛ فإذ بنا أمام قياديّ أكاديمي خبير، يحسنُ استحضارَ الماضي وإدارةَ الحاضر، واستشرافَ المستقبل، إذا تحدث؛ استحوذ آذان المستمعين وعقولهم وقلوبهم؛ لدفء حديثِهِ، وعمقِ أفكاره، ونُضوجِ خبرته ووضوح رؤيتِه، وإقناعِ مَنطِقِه، مستذكراً تاريخ التعليم في الأردن وماضيه ورفعة شأنه. فهو صاحب قرار حر ومسؤول

وجريء، لا يتأخر عن اتخاذ القرار الصائب في الوقت المناسب عندما يقتنع بأن معطيات صناعته صحيحة. ومع ذلك فهو لا ينفرد بالقرار، ويؤمن باللامركزية، ويمنح الثقة لمن يعمل معه؛ وهو في الجانب الآخر كان على ثقة تامة بحسن الاختيار لمن أرشحه في موقع القرار، فمتابعته المستمرة، وإشعاره بالثقة حافزان قويّان للإبداع في العمل؛ ولعلّنا في صدقنا مع ذاتنا لا نملك إلا أن نُقِرَّ بأنَّه قد أخرج الطاقات الإبداعية من العاملين معه؛ لأنه على يقين بأن الجامعة العاملة بقيادةٍ وفريقٍ منسجم هي مصنع المبدعين الذين لا يحتاجون في الغالب إلا إلى دعم نفسي وإداري، واحترام لقدراتهم، وتحفيز لها، ما دام الكل يسير في طريق واحد ونحو هدف واحد، إطاره تقديم المصلحة العامة في الجامعة والوطن. علاوة على أنه يتميز بدبلوماسية قل نظيرها، يبدع في محاورته واحتوائه وتشجيعه للآخرين مهما كانت الفكرة، فهو في حواره وكلامه دبلوماسي حصيف طويل النفس في الحوار من غير انفعالٍ أو تلويح باستعمال سلطة الإجبار، يقوده حسه الإنساني، وتجربته المتنوعة في العمل العام. كما أنه مستمع موهوب كما أسلفتُ، يحسن الإنصات باحترام للآخر؛ لأن الحرية في فكر الدكتور حمدان حق مقدس لكل إنسان، وقيمة عليا من قيم الوجود وفهم الحياة على حقيقتها في المجتمع الإنساني شريطة أن تكون حرية البناء لا الاعتداء، وحرية الإيمان بالحوار، لا الاستئثار بالقرار.

وتبقى إحدى محطات الزمان في الذاكرة والنفس لجامعة آل البيت أنَّها مرت بمنعطفات خطيرة عصفت بالجامعة، تمثلت بتصاعد وتيرة العنف الطلابي وتراجع سمعة الجامعة ومكانتها وصورتها بالإضافة إلى انكماش

نشاطاتها العلمية؛ ولعل منهجية التشاركية بالتنسيق مع أستاذنا والتوافق مع الجهات المعنية في وزارة التعليم العالي والبحث، أدت ثمارها باتباع سياسة جديدة قوامها البحث في الأسباب ومعالجتها بمنهجية علمية، وتفعيل حزمة من القرارات الحاسمة والإجراءات القاسية، كان لها الأثر في عودة الهدوء والأمن والأمان إلى الحرم الجامعي، فنشطت حركة البحث العلمي في الجامعة وعادت الأنشطة الفكرية والعلمية والثقافية والفنية والطلابية لتملأ المكان من جديد. وقد تكللت هذه الإنجازات والزيارات التي قمنا بها إلى سفارة المملكة العربية السعودية بما تحصّل من اعتراف وزارة التعليم العالي في المملكة العربية السعودية الشقيقة بالدرجات العلمية والشهادات التي تمنحها الجامعة بعد كفاح طويل وجهد متفان متناغم متواصل مع وزارة التعليم العالي والبحث العلمي في الأردن آنذاك، وفتح موئلاً وباباً واسعاً أمام الخريجين وفرصاً أمام العديد من الطلبة السعوديين لاستكمال دراستهم في الجامعة. وهو الذي أصرَّ على مشاركة الجامعة وأسرتها افتتاح المشروعات الجديدة التي أنجزتها، ومنها: مشروعات الطاقة (حاجة الجامعة ٣.٥ ميجاواط ومشروع استثماري آخر بقدرة ٢٠ ميجاواط)، ومشروعات الأتمتة، ومبادرات الشراكة والتشبيك العالمي مع الجامعات، والهيئات، والمجامع العلمية، والروابط العالمية (شمس، وبادليا، وهوبس، والتعلم المباشر عن بعد في مخيم الزعتري للاجئين السوريين).

أما الأعمال التشاركية وأساسيات التخطيط الإستراتيجي فهي إحدى الركائز الأساسية في نجاح عملية التطوير المؤسسي التي يجب التركيز عليها بغية توحيد الأفكار وتنسيق الجهود ورسم السياسات وتحديد الأولويات

وصولاً إلى تعزيز أدوارها العلمية والثقافية والتنموية، تحقيقاً لأهداف الجامعة الإستراتيجية.

ومن أجل استكمال لبنات البناء المؤسسي وتعزيز مكانة الجامعة على جميع الصعد قام الدكتور حمدان بوضع مؤشرات واضحة للأداء المؤسسي، وانفرد مجلس أمناء الجامعة بطلب من رئيسه وضع معايير ومؤشرات لتقييم أداء الجامعة ولرئيسها في منتصف مدة التكليف وأنه ليس بالضرورة الانتظار حتى نهاية مدة التكليف، وذلك في ضوء التقرير الذاتي المقدم للمجلس في حزيران عام ٢٠١٦م. وقد تم بالفعل تنفيذ ذلك وتطبيق المعايير والمؤشرات جميعها حيث تم تحديث التقرير الذاتي ومراجعته مع مطلع تشرين الأول ٢٠١٦م. وتمَّ اعتماد تقييم الأداء لرؤساء الجامعات الأردنية بشكل دوري وجرى تضمينه في الإستراتيجية الوطنية لتنمية الموارد البشرية للأعوام ٢٠١٦-٢٠٢٥م، وتم أول تقييم أداء لرؤساء الجامعات الأردنية من قبل وزارة التعليم العالي والبحث العلمي في حزيران عام ٢٠١٧م.

والدكتور حمدان مسكونٌ بالانتماء الصادق للهاشميّين، وكان يتحدّثُ دائماً باعتزاز كبير وانتماء مطلق عن تجربته الفريدة في المناصب التي تقلدها والحقائب الوزارية التي شغلها؛ إذ كان مقرَّباً من الملك الباني المغفور له جلالة الملك الحسين بن طلال طيّبَ اللهُ ثراه، وبقي مقرّباً في عهد الملك المعزِّز جلالةِ عبدالله الثاني ابن الحسين المعظّم حفظه اللهُ ورعاه، ونهل من مدرسةِ الهاشميين كيف تتكامل الرؤيةُ الثاقبةُ والواعيةُ مع التواضع والإنسانيّةِ والوفاء، الذي هو أبرز سمات شخصيته. فهو أينما حلَّ، وحيثما رحل، وكيفما صار ينظر إلى المصلحة العامة والوطن في ضرورة أن يكون جزءاً وفياً

يقوم بواجبه في حركة بناء الوطن وتطوره وتقدمه من بوابة المؤسسة التي يعمل فيها ضمنَ أفقه الأعلى في الولاء المطلق للعرش الهاشمي الأردني، وإيمانه بالدور المستقبلي الذي سيقوم به قطاع التعليم العالي من أجل رفع سوية التعليم العالي، والنهوض بمؤسساته وصولاً إلى مستوى الرؤية الملكية السامية المنشودة للتعليم باعتباره رافداً رئيسا للإنجاز الأردني في المعرفة والعلم والتكنولوجيا والتقدم في البحث العلمي في أردن أجمل، وأكثر تطوراً وتقدماً وانفتاحاً.

ويشاء القدر أن أنال ثقة صاحب السمو الملكي رئيس المجلس الأعلى للعلوم والتكنولوجيا الأمير الحسن بن طلال المعظم لأشغل اليوم منصب أمين عام المجلس، وكان قبلي فقيدُنا الغالي في القَدْر والزمن قد شغل إدارة هذه المؤسسة الرائدة منذ سنوات خلت. وانطلاقاً من خلفيته المعرفيّة العلمية فقد أدرك تماماً أن توظيف المعرفة بكل أشكالها حالة واحدة لا تنفصل ولا تتفاضل؛ لأنها إحدى شروط التقدم والتطور؛ فالبحث العلمي الناجح والمؤثر في النهضة العامة يتوازن مع مخرجات الجامعات من المجموعات الطليعية وتشمل: المهنيين القادرين، والعلماء المتميزين، وقادة الفكر والرأي والفلاسفة المثقفين؛ ونتاجاتهم العلميّة والإنسانيّة وتتضمن إنتاج المعارف الجديدة اللازمة لتطوير القدرات وتوافر الفرص لإيجاد حلول للمشكلات؛ فنجاحهم شرط للتقدم الحقيقي؛ لهذا شهد المجلس الأعلى في عهده نقلة نوعية عامة على مستوى الإدارة والإنجاز، والبحث العلميّ والتطوير، والمؤتمرات والندوات، واستقطاب الدعم العلمي، والانفتاح على المجتمع وقضاياه ضمن توجهات تعزيز اقتصاد المعرفة للنهوض برؤى مستقبلية تدعو إلى تحرير العقل، وإقامة العدل، ونشر الإبداع.

ومن خلال اطلاعي على طبيعة عمل المجلس أشهد أن علاقته بمن تعامل معه من رؤساء ومرؤوسين كانت مميزة، تدعو إلى نظام جديد وجيل مستقبلي معتمد على الذات في التنافسية والمعرفة والمهارات وقادر على اختصار الزمن؛ لأن ذلك هو بداية تحقيق العدالة والديمقراطية وشهادة دخول المجتمعات المتطورة تعزيزاً لثورة التكنولوجيا والتحول الرقمي ودورهما في تكريس المعارف المتجددة المولدة للإنتاج، المغروسة بالقيم والثقة بالنفس والإيمان بها والتفكير بالمستقبل والعمل بروح الفريق والاهتمام بالآخر واحترامه تقديراً لإنسانيته وعطائه اللامتناهي في عمله.

ولعله كان يسهب في القول عن التطورات الحديثة والحلول المعتمدة على التحول الرقمي؛ فلديه قناعاته الراسخة أن الموجة الكاسحة من الحلول المعتمدة على التطور الرقمي قامت على استخدام أساليب وتصاميم من ضمن مكتشفات الذكاء الاصطناعي المعتمدة على جذور نظرية في العلوم الأساسية، يرجع تاريخها إلى قرون مضت منها: **الفلسفة** (كيف يمكن استخدام قواعد منهجية وصولاً إلى استنتاجات مؤكدة؛ وكيف يمكن للعقل الذهني أن ينبثق من الدماغ العضوي؛ ومن أين تأتي المعرفة؛ وكيف للمعرفة أن تقود إلى العقل)، **والرياضيات** (كيف يمكن استخدام قواعد منهجية وصولاً إلى استنتاجات سليمة – المنطق المنهجي؛ وما الذي يمكن حسابه – الخوارزميات؛ وكيف تتم عملية التسويغ والتفسير من خلال العمليات غير المؤكدة – نظرية الاحتمالات والمجموعات الضبابية)، **والاقتصاد** (كيف تصنع القرارت بهدف تعظيم الفائدة – نظرية الخدمات ونظرية القرار؛ كيف تقوم بذلك عندما لا يتفق معكَ الآخرون – نظرية اللعبة؛ كيف تقوم بذلك عندما يكون العائد المتوقع بعيداً في الزمن – بحوث العمليات)،

وعلم الأعصاب (كيف يقوم الدماغ البشري بمعالجة المعلومات – الشبكات العصبونية)، **وعلم النفس** (كيف يتصرف الإنسان والحيوان – سلوكيات علم النفس الإدراكي)، **واللغويات** (علاقة اللغة بالتفكر).

وأشهد أنه كان يحترم أهل العلم من العلماء والمفكرين والمثقفين والأدباء، ويعاملهم بتواضع وتودد، وينزلهم أعلى منازل التبجيل والتوقير والتقدير؛ لأنه كان يرى فيهم حلم الوطن والأمة في التقدم والازدهار، وكان يتقرب منهم، ويسعى جاهداً لتلبية طلباتهم، وحل ما يصادفهم من مشكلات، وتذليل العقبات.

السيدات والسادة ... أختم فأقول:

إن ما أنجزه الدكتور حمدان هو موروث سيبقى صالحاً للاستمرار في البناء والازدهار في الزمنِ الواعد القادم؛ فقد آمن أن ترسيخ القيم الإيجابيّة في الحرية والمساواة والحوار والمسؤولية والعملِ الجاد والبحث العلمي والديمقراطية والانفتاح وحماية الذات والتعلم المستمر والالتقاء والتواصل هي القيم التي تدفع إلى التعلم والتكيف والتطور، وتؤدي بالمجتمع إلى التغيير الإيجابي؛ لأن مؤسسات التربية والتعليم والثقافة ستبقى وفقاً لفكره مركزاً للديمقراطية المسؤولة ومنارة للإشعاع الثقافي وهي مؤسسة تغيير قبل أن تكون مؤسسةَ تعلم وتعليم.

وتمضي الأيام والأعوام على هذا النحو، في وطن لا يقبل القسمة أو الانحناء، فكثيرون يعيشون أمواتاً؛ دون عطاء، ولا بناء، ولا صدق، ولا مصداقيّة، ولا انتماء. أما العظماء فهم أحياء حتى بعد مماتهم، يبحرون بأشرعتهم في أذهاننا وقلوبنا ما حيينا، نستلْهِمُ منهم الصدق، والأمل، والتفاؤل، والعطاء. فهو بحق خالد من مات محموداً بخصائله، وساهم في

تربية أجيال وطنه، وترك بصمة ولا أروع في حياته، وحصد مودة الناس في حله وترحاله؛ إنَّه على الكلمة التي ألقى ربّي فيها: مبدِعٌ في كلّ شيءٍ.

وأخيراً لا يسعني إلا أن أتقدم من عائلة الفقيد بأصدق مشاعر العزاء والمواساة، ففقيدهم هو فقيدنا وفقيد الوطن والأمة، ولا نملك إلا أن ندعو له بالرحمة والغفران: إنا لله وإنا إليه راجعون، ولنا في أولاده وأحفاده بعضٌ منه، والشكر موصول لجميع المشاركين والحاضرين والقائمين على إعداد هذا الموسم وحسن الرعاية والتنظيم..، وأدعوكم لقراءة الفاتحة على روحه الطاهرة... سائلاً الله العلي القدير أن يحفظ أردننا الغالي بقيادة عميد آل البيت جلالة الملك عبدالله الثاني ابن الحسين المعظم.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

مواقف ووقفات مع
أبي أحمد رحمه الله

الأستاذ الدكتور موسى الناظر
عضو مجمع اللغة العربية الأردني

الخميس ٢ جمادى الأولى ١٤٤٢هـ - ١٧ كانون الأول ٢٠٢٠م

الحضور الكرام،

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته،

أسعد الله أوقاتكم،

مآثر أبي أحمد لا تحصى، ورصيده في الخدمة العامة زاخر، وقد لامس كثيرون بعضها في استذكارهم لحياة، انطلقت عام ألف وتسعمائة وسبعة وخمسين معلماً للرياضيات في كلية تدريب المعلمين، معلماً للمعلمين. ووصلت في نهايتها رئيساً لمجلس أمناء جامعة آل البيت، وعبرت خلال تجاوزها ستة عقود:

- عضوية مجلس الأعيان عدة دورات.
- رئاسة ثلاث جامعات.
- وزارة في ثلاث حكومات.
- عمادة لثلاث أكاديميات.
- أمانة عامة للمجلس الأعلى للعلوم والتكنولوجيا.
- إدارة لكلية تدريب المعلمين.
- أستاذية للرياضيات والإحصاء في نخبة من الجامعات في الوطن العربي وخارجه.
- وكثيراً غيرها.

لذا أود أن أتوجه نحو استحضار وقفات مع أبي أحمد تتمثل فيهاعلاقة خاصة وشخصية تكشف عمّا تميَّزَ به شخص أبي أحمد.

عرفت عنه عن بعد معلماً مبدعاً للرياضيات، ومتعلماً لها متفوقاً، إلى أن حلّت المناسبة لأعرفه إنساناً رفيع الخلق، كريم العطاء، سديد المشورة والرأي. كانت البداية في الجامعة الأميركية في بيروت عام ألف وتسعمائة وثلاثة وسبعين، في الأيام الأولى من التحاقي بالجامعة الأميركية في إجازة تفرغ علمي. فما أن التقيت به حتى بادر بتقديمي لكافة زملائه في الجامعة ويدعوني وأسرتي لمرافقته في الزيارات إلى بيوتهم والمشاركة في نشاطاتهم الاجتماعية. شعرت وكأن علاقة حميمية كهذه عمرها عقود وليس بضعة من أيام. إحساس قيمته مدركة لدى من ينتقل بأسرة، زوجة وأطفال ثلاثة، ليُقيم في غير بلده، ويبدأ حياة لا تخلو من تحديات معيشية.

في مطلع صيف العام التالي، ما أن علم أنني أبحث عن شقة في بيروت لقضاء شهور الصيف، مستكملاً إجازة التفرغ العلمي حتى أتاني بنسخة من مفتاح شقته مع إصرار بأن أقيم فيها كونه سيقضي صيف ذلك العام خارج لبنان، وطلبه الوحيد كان أن لا أتأخر في إكرامية حارس العمارة عند نهاية كل شهر. كانت الشقة بكل محتوياتها متاحة لي ولزائري بيروت من أهلي وأصدقائي. عادي أن يسكنك صديق في بيته خلال غيابه، لكنه غير عادي أن يضع كل ما يحتويه بيته تحت تصرفك وأن يسدد ما يستحق عليه من فواتير. هذه اللمسات الإنسانية تكشف عن معدن المرحوم وكرمه.

مع اندلاع الاضطرابات واشتدادها غادر الدكتور حمدان لبنان، وبمقدوره أن يلتحق بأي جامعة أجنبية مرموقة، لكنه آثر البقاء في الوطن العربي. وبدعوة من جامعة اليرموك عند تأسيسها عام ألف وتسعمائة وستة وسبعين شغل فيها منصب عميد كلية الآداب والعلوم، لكن الجامعة الأردنية كانت مبتغاه، فالتحق بها بعد محط قصير زائراً في الجامعة الأمريكية في القاهرة.

وما أن عُيّن أستاذاً في قسم الرياضيات في كلية العلوم في الجامعة الأردنية حتى تبيّن لإدارة الجامعة من خصال المرحوم وميزاته ما استدعى تعيينه عميداً لشؤون الطلبة. هذا منصب يعوزه غير قليل من الحكمة والليونة والهدوء وسعة الصدر والعناية الأبوية.

من بين مناصب أخرى في الجامعة الأردنية تقلّد عمادة كلية العلوم وأثناء ذلك شغر منصب رئيس قسم الكيمياء، لم يفاجئ القسم برئيس يعيّن بين عشية وضحاها، كما اعتاد كثيرون قبله وبعده، بل زارني في مكتبي وسألني عن أعضاء القسم، تقديراً منه بأني على دراية بخباياهم العلمية والإدارية، ثم أجرى جولة على مكاتبهم ليتحدث إليهم ويسألهم عن رأيهم في رئيس قسمهم، تلك ديمقراطية غير مألوفة في جامعاتنا الأردنية.

عندما رئس جامعة اليرموك كان أعضاء قسم الكيمياء فيها يعدون مخططات لمبنى جديد فاتصل بي مبدياً رغبته في أن ألتقي بهم للتشاور فيما يعدون، وعندما التقيته بادرني بالقول: معظم أعضاء القسم هم من تلاميذك وأود أن أطمئن أنهم في مخططاتهم يمثلون رؤيتك لما يجب أن يكون عليه القسم ومبناه. إنها ثقة مقدّرة أعتز بها.

إثر قرار إنشاء جامعة رسمية في الزرقاء، كانت تدعى جامعة الزرقاء الحكومية، وأصبحت فيما بعد الجامعة الهاشمية، ترأس أبو أحمد لجنة تأسيسية، كنت عضواً فيها، مهمتها إعداد ما يلزم من تشريعات وأعمال تأسيسية، فكان لسلاسة أسلوبه في إدارة جلسات اللجنة والأخذ بما تُجمع عليه كبير الأثر في الإنجاز. تلك هي إدارةٌ مؤسسةٌ على الخلق العام، خُلق غير مقتصر على مهمة معينة، بل سائد في كافة المواقف والمهمات، متعاملاً معها

بكل سلاسة وأريحية ودون تعصب أو تمسك برأي مسبق. ومن ثم تبوأ رئاسة الجامعة كأول رئيس ومؤسس لها. وليس خفيّاً ما نلمسه من مكانة للجامعة الهاشمية هذه الأيام.

من أبرز المواقف التي تمثل خلق المرحوم في أداء المهام العامة ما تم في العام الرابع بعد الألفين، اسمحوا لي أن أقدم في إطاره بعضاً من تفاصيل قصة لما لها من علاقة أيضاً بحدث كان له أثر ووقع في مسيرة الجامعات الأردنية:

التقى وزير التعليم العالي والبحث العلمي آنذاك بخمسة من الأكاديميين ذوي الخدمة الطويلة، كنت أنا والدكتور حمدان من بينهم، ونقل لنا رغبة الحكومة في إجراء تغييرات على رئاسات بعض الجامعات الرسمية، وأنه يود تكليفنا كلجنة برئاسة الدكتور حمدان، إجراء الدراسات اللازمة والتنسيب بأسماء في قوائم من خمسة مرشحين. لكل جامعة قائمة دون تحديد لأولويات، مع جواز ورود اسم مرشح في أكثر من قائمة، على أن يتم ذلك بسرية، ووفق شروط تعيين رؤساء الجامعات والتي من ضمنها أن يحمل المرشح رتبة الأستاذية وأن يكون عضو هيئة تدريس غير متقاعد (لا يتجاوز في السن السبعين). كان لهذا التكليف وقعُ مفاجأة كبيرة، لكنه بدا لنا أن فيه ما قد يقود لتوجه ديمقراطي جديد في اختيار رؤساء الجامعات، مع أنه بهذه الآلية لا يخلو من التحفظات.

منذ اجتماعنا الأول أصرّ الدكتور حمدان أن يُسمى مقرر اللجنة لا رئيسها تقديراً منه لأعضائها، وكان توقيعه على جميع محاضر اجتماعاتها

التي استمرت متواصلة لشهور ثلاثة، تحت هذا المسمى. كان يقدم المحاضر لوزير التعليم العالي مكتوبة بدقة وتنسيق بخط يده، توخياً للسرية التامة.

قاد الدكتور حمدان أعمال اللجنة بسرية وبما يتميّز به من خلق وعدالة، وحصلت اللجنة أثناء ذلك على السير الذاتية لجميع أعضاء هيئة التدريس في الجامعات الرسمية ممن يحملون رتبة الأستاذية، وبعد دراسات مستفيضة لها، دون أن يعرف أحد من هيئات التدريس مبتغاها، قدمت اللجنة ترشيحاتها وفق ما كلفت به، لكن ما أخذ به منها كان محدوداً للغاية. أسوق هذه القصة للتأكيد على مدى الالتزام والموضوعية والعدالة في تعامل أبي أحمد بالشؤون العامة.

قبل أعوام ثلاثة كانت لي وقفة مع أبي أحمد في ميدان هـذا المجمـع، مجمع اللغة العربية الأردني، آنذاك اتصل بي مصرّاً على ترشيحي لعضوية مجلسكم الكريم. لم أستطع إقناعه بأن هذا الأمر أكبر مني، وأنا تلميذ في هذا المجال. لم يتحقق مقصده آنذاك، لكنه عاود الأمر في المناسبة التالية، ما أتاح لي، بدعمكم، أن أنتمي إلى هذا المجلس وأن أكون بينكم متعلماً أولاً ومشاركاً فيما أستطيع ثانياً.

رحمك الله يا أبا أحمد، أنت كبير، وفي القلب باق، كنت مثالاً لحاضـر الناس وإنجازاتك حق للأجيال وستظل مصدر اعتزازهم.

والسلام عليكم

المرحوم الأستاذ الدكتور محمد حمدان
العالم والإنسان

الأستاذ الدكتور عدنان عوض
أستاذ الرياضيات في الجامعة الأردنية سابقاً

الخميس ٢ جمادى الأولى ١٤٤٢هـ - ١٧ كانون الأول ٢٠٢٠م

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على نبينا ورسولانا محمد.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

المقدمة

كيف أنسى من كان كالبدر نوراً قد أضاءت من نورهِ كلُّ ساح

كان في ليلنا سراجاً منيراً فتوارى بنوره في الصباح

قد سما للسماء والروح صارت في جوار العليم بالأرواح

يُعدّ العلمُ ضرورةً من ضروريات الحياةِ، بل هو عمودٌ من أعمدةِ بناءِ الأمم وتقدمِها وعلو شأنِها. ولا ننسى أن العلم هو إرث الأنبياء، والعلماءُ هم ورثتُهم. وقال تعالى في شأنهم: ﴿قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾. ولقد رفع الله سبحانه وتعالى من قدر ومكانة العلماء في قوله تعالى: ﴿يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ﴾.

وحين نذكر العلماءَ، فإننا نستحضرُ في أذهاننا تلك الشخصياتِ الراقيةَ التي كان وما زال لها شأنٌ في حياتنا، ومن هؤلاء: المرحوم بإذن الله تعالى معالي الأستاذ الدكتور محمد أحمد حمدان الذي كان له في وطننا الاردن صولات وجولات في مجال تطوير هذا البلد المعطاء والارتقاء به، هذا بالإضافة إلى شهرته على الساحتين العربية والعالمية.

الباب الأول

السيرة الذاتية

ولد محمد أحمد حمدان غنيمة في يافا بتاريخ ٣-١١-١٩٣٤ وانتقل إلى رحمة الله تعالى في عمان يوم الثلاثاء ٤-٢-٢٠٢٠. ويلاحظ المتتبع لسيرته أنه كان يتمتع بمسيرة متميزة، خيرة حافلةٍ بالعمل والعطاء في ميدان التربية والتعليم، والتعليم العالي، والبحث العلمي، والاستشارات العلمية، والإدارة والتخطيط، والسياسة، حيث تولى مسؤوليات التدريس، والبحث العلمي، والمهام الإدارية والقيادية في العديد من المؤسسات التعليمية داخل الأردن وخارجه، وكان وزيراً وعيناً. ومن حقه علينا بعد رحيله أن نستذكر بصماته الواضحة في مختلف الميادين التي عمل بها، وإسهاماته في جميع المواقع التي شغلها.

١) **المؤهلات العلمية:** حصل فقيدنا على المرتبة الأولى في امتحان "المترك" على مستوى الضفتين عام ١٩٥٢م، ودرجةِ البكالوريوس في الرياضيات (مرتبة الشرف الأولى) من جامعة القاهرة ١٩٥٧م، والدكتوراه في الإحصاءِ الرياضي من جامعة سيدني ١٩٦٣م، والدكتوراه الفخرية في إدارة الأعمال من الجامعة الهاشمية ٢٠١٥م.

٢) **التعليم والتعليم العالي:** عمل أبو أحمد مفتشاً مركزياً للرياضيات في المملكة الأردنية الهاشمية، ومدرس رياضيات في كلية تدريب المعلمين في عمان. وعمل أستاذاً للرياضيات في جامعة الرياض-الرياض، والجامعة الأميركية – بيروت، ومعهد فيرجينيا بوليتكنك وجامعة الولاية، والجامعة الأمريكية- القاهرة، والجامعة الأردنية.

٣) **العمل الإداري:** كان أبو أحمد مدير كلية تدريب المعلمين في عمان الأردن، وعميد كلية الآداب والعلوم / جامعة اليرموك، وعميد شؤون الطلبة وعميد البحث العلمي وعميد كلية العلوم في الجامعة الأردنية.

٤) **تأسيس الجامعات:** كان أبو أحمد عضو لجنة تأسيس جامعة اليرموك ورئيس لجنة تأسيس الجامعة الهاشمية ومساهماً في تأسيس الجامعة العربية المفتوحة في كل من السعودية والكويت والأردن.

٥) **رئاسة الجامعات:** كان أبو أحمد رئيس جامعة اليرموك، والرئيس المؤسس للجامعة الهاشمية، ومدير الجامعة العربية المفتوحة في السعودية وفي الكويت.

٦) **كان مستشاراً أولاً في الجامعة العربية المفتوحة ثلاث فترات،** ورئيس أمناء جامعة آل البيت، ومستشاراً ومديراً عاما لمؤسسة عبدالحميد شومان، وعضو هيئة المديرين في جامعة عمان العربية.

٧) **الوزارات:** عين أبو أحمد وزيراً للتربية والتعليم، ووزيراً للتعليم العالي ثلاث فترات.

٨) **الأعيان:** عين عضواً في مجلس الأعيان ثلاث فترات، وكان عضو لجنة التربية والتعليم فيه ورئيسها.

٩) **الجمعيات والمؤسسات الأكاديمية والثقافية العلمية:** كان زميلاً منتخباً لأكاديمية العالم الإسلامي للعلوم في الأردن، وعضواً في مجلس أكاديمية العالم الإسلامي للعلوم في الأردن، وأميناً عاماً للمجلس الأعلى للعلوم والتكنولوجيا، ورئيس اللجنة الوطنية الأردنية لأخلاقيات العلوم والتكنولوجيا، ونائب رئيس اللجنة الدولية لأخلاقيات العلوم الحياتية – منظمة اليونسكو. ونائب رئيس مجمع اللغة العربية الأردني – الأردن،

ونائب رئيس الأكاديمية العالمية للعلوم، وأكاديمية العالم الثالث للعلوم. ورئيس اتحاد الإحصائيين العرب، وعضواً في منتدى الفكر العربي.

١٠) **أنشطة اليونسكو:** كان رئيس اللجنة الوطنية الأردنية لليونسكو، ورئيس وفد الأردن في المؤتمر العالمي للتعليم للجميع. ورئيس اللجنة الثالثة: "الدورة التاسعة والعشرون" للمؤتمر العام لليونسكو، (حيث اعتمدت اللجنة الإعلان العالمي بشأن الجينوم البشري وحقوق الإنسان). ونائب رئيس لجنة اليونسكو الدولية لأخلاقيات علم الأحياء (أربع سنوات)، وعضو لجنة اليونسكو الدولية لأخلاقيات علم الأحياء (أربع سنوات). وقد شارك في عدة دورات للمؤتمر العام لليونسكو كرئيس أو عضو لوفد الأردن، وشارك في العديد من المؤتمرات والندوات وورش العمل الإقليمية والدولية لليونسكو حول التعليم العالي والبحث العلمي كمؤتمر باريس ١٩٩٨م, ومؤتمر بودابست ١٩٩٩م، وكان عضو وفد أجفند إلى منتدى التعليم العالمي / تقييم التعليم للجميع عام ٢٠٠٠م/ داكار.

١١) **البحث العلمي الأكاديمي:** نشر أستاذنا (١٠٦) أبحاث ومقالات علمية منها: (٦٠) بحثاً في الإحصاء والاحتمالات: وتناولت هذه البحوث ثلاثة مجالات رئيسة هي: نظرية التقدير، وتحليل البيانات الفئوية، ونظرية التوزيع. هذا بالإضافة إلى (٤٦) بحثاً وتقريراً شملت مجالات تتعلق بأمور الجامعات، والبحث العلمي والتعليم، وخدمة المجتمع، والأخلاق العلمية. وكان أبو أحمد عضو هيئة تحرير العديد من المجلات البحثية. وأشرف على عدة رسائل وأطروحات دكتوراه وماجستير. وكان المتحدث الرئيسي في العديد من المؤتمرات العلمية المحلية والدولية في الرياضيات، والإحصاء الرياضي، وفي مجالات التعليم، والتعليم العالي. وساهم في العديد من

الاستشارات الوطنية والدولية في مجالات: الرياضيات والإحصاء الرياضي، والتعليم، والتعليم العالي.

١٢) **الأوسمة:** تقلد أبو أحمد كلاً من وسام الكوكب الأردني من الدرجة الأولى، ووسام التربية من الدرجة الأولى، ووسام الملك عبدالله الثاني للتميز من الدرجة الأولى.

الباب الثاني

العناية بالمعلم والعلم والمجتمع

كان فقيدُنا يستشعرُ دوماً همومَ المجتمعِ والتعليم والبحث العلمي، ويتألم للصعوبات والعقبات التي قد تعيق تطورَ جميعِ هذه الأمور في بيئةٍ سليمةٍ متحابةٍ ومتعاونة.

ومن خلال موقعه كعين وكوزير تعليم عالٍ ووزير تعليم، نجده قد ساهم في العديد من أوراق العمل، والمشاركة في عدة ندوات ومؤتمرات ذات صلة بالتعليم، بالإضافة الى نشر ست وأربعين مقالة تلخص مساهماته في عدة مجالات تخدم المعلم والعلم والمجتمع. ويمكننا أن نصنف إنجازاته في هذا المجال كما يلي:

الهم الأول: الإصلاح التربوي، وتطوير الموارد البشرية، واستعمال التكنولوجيا في التعليم وذلك من خلال:

١) موقعه وزيراً للتعليم العالي الأردني ورئيساً للجنة الوطنية الأردنية لليونسكو؛ فقد شارك قي العديد من المؤتمرات والندوات وورش العمل الإقليمية والدولية لليونسكو، حول التعليم العالي، والبحث العلمي، والتعليم للجميع.

٢) جهوده في مجلس الأعيان، حيث كان عضو لجنة التربية والتعليم في المجلس ثلاث دورات، ورئيساً لها مرة واحدة. فقد ساهم في وضع خطة لزيارات ميدانية يقوم بها بعض أعضاء المجلس للمدارس والجامعات للاطلاع على واقعها واقتراح الخطط لتحقيق الإصلاح المنشود.

٣) قيادته لفريق عمل أردني، لتصميم وإنتاج أربع حقائب حاسوبية تعليمية، للتفاضل والتكامل وطرق الإحصاء لطلبة البكالوريوس، بالإضافة الى تدريب أعضاء الهيئات التدريسية على هذه الحقائب في بعض الجامعات في كل من الأردن ولبنان وسوريا ومصر واليمن. وكانت مدة هذا المشروع ستة أعوام بدعم من اليونسكو.

٤) وضعه تصوراً لإصلاح البيئة التعليمية في الجامعات، وكان ذلك واضحاً من خلال مشاركته في ندوة عقدها منتدى الفكر العربي، حول تحديات التعليم العالي ومستقبله، حيث ركز أبو أحمد على:

أ) اعتماد أسس الكفاءة والجدارة في تعيين أعضاء هيئة التدريس، والموظفين في الجامعات، ومؤسسات التعليم العالي.

ب) تنفيذ برامج تدريبية لأعضاء هيئة التدريس والموظفين الجدد، وكذلك برامج تدريبية لأعضاء هيئة التدريس المكلفين بمهام إدارية قيادية لأول مرة.

ج) التوسع في إعداد المزيد من أعضاء هيئة التدريس الجدد الأكفياء من خلال الإيفاد إلى جامعات عالمية مرموقة.

د) اعتماد مبدأ العدالة المطلقة في تطبيق الأنظمة والتعليمات على الطلبة والموظفين وأعضاء هيئة التدريس والإداريين.

هـ) تحديد عدد الطلبة المقبولين بما يتفق مع معايير الاعتماد العام والاعتماد الخاص.

و) التوسع في برامج الأنشطة الطلابية والسعي إلى شمول العدد الأكبر من الطلبة فيها.

ز) إبقاء أبواب الإدارة العليا للجامعة، وأبواب مسؤولي شؤون الطلبة مفتوحة أمام الطلبة، لعرض قضاياهم ومشاكلهم مباشرة، وبالتالي فتح باب الحوار حول هذه المشاكل، وصولاً إلى الحلول المنطقية، التي تحفظ حقوق الطلبة، ولا تتعارض مع المصلحة العامة للجامعة.

٥) ملاحظته، وهو الأب الحنون المعطاء الحريص على الطلبة، حاجة الطلبة في بعض المناطق إلى مدارس قريبة منهم، فقام بإنشاء وقفية من ماله الخاص لبناء مدرستين. وبالإضافة إلى ذلك كان فاعلاً في البحث عن دعم تمويل بناء المدارس ومرافقها.

الهم الثاني: ربط التعليم الجامعي بتطوير جميع متطلبات نمو المجتمع وازدهاره وذلك من خلال:

١) استعمال التكنولوجيا في التعليم الجامعي: (أربع مقالات).
٢) ضبط جودة التعليم الجامعي وصولاً إلى التميز فيه: (ثماني مقالات).
٣) أهمية ربط البحث العلمي بمؤسسات التنمية والإنتاج: (ثلاث مقالات).

الهم الثالث: توفير البيئة المناسبة للقائمين على التعليم والبحث العلمي وذلك من خلال:

١) العناية بالمعلم والتعليم المدرسي: (أربع مقالات).
٢) الاهتمام بالباحثين ممن شردتهم الحروب: (مقالتان).
٣) تدريب الإحصائيين في الأردن: (مقالة واحدة).

الهم الرابع: توفير الفرصة لغير المتفرغين لإكمال تعليمهم العالي من خلال:

١) التخطيط والتنفيذ والمتابعة لإنشاء الجامعة المفتوحة (أربع مقالات).

الهم الخامس: دراسة مشاكل المجتمعات والتعاون الوطني والإقليمي والدولي للتوعية والحلول وذلك من خلال:

١) التعامل العلمي بأمور حياتية عامة، مثل الوعي المجتمعي بخصوص المحافظة على المياه، ومعالجة العنف الناشئ عن الرياضة، ويتطلب ذلك جمع البيانات والمؤشرات الاجتماعية من مصادرها المعتمدة، والتضامن والتعاون الدولي في العلوم والبحوث العلمية للتوصل إلى الحلول الفعالة: (خمس مقالات).

الهم السادس: أخلاقيات البحث العلمي وعلى الأخص البحوث الحيوية:

ولخطورة هذا الموضوع فقد كان فقيدُنا عضواً في بعض اللجان المحلية والدولية المهتمة بأخلاقيات علوم الحياة، وشارك في العديد من المؤتمرات التي تناولت هذا الموضوع. وتمثلت مساهمته في هذا المجال من خلال:

١) التركيز على أخلاقيات البحث وعلى الأخص البحوث الحيوية (اثنتا عشرة مقالة).

٢) إبراز دور اللجان الوطنية المهتمة بأخلاقيات علوم الحياة (ثلاث مقالات).

الباب الثالث

التخصص العلمي

تخصص أبو أحمد في الإحصاء الرياضي. ولقد نشر في الفترة (١٩٦٢-١٩٩٧) (٦٠) بحثاً علمياً في الإحصاء الرياضي والاحتمالات.

ومن الضروري أن نستقرئ الاهتمامات البحثية لفقيدنا ونسبر أغوار منهجه العلمي ونذكر أهمية بحوثه من الناحيتين النظرية والتطبيقية. إن المطلع على بحوثه المنشورة يلاحظ ما يلي:

١) لقد عالجت بحوثه مسائل فى توزيعات بعض النماذج الاحتمالية المتصلة والمنفصلة، وجبر المتغيرات العشوائية، والاستدلال الإحصائي بفرعيه التقدير واختبار الفرضيات، وذلك لبيانات متصلة ولبيانات فئوية: في حال وجود بيانات مفقودة، وعينات متداخلة، ونماذج مبتورة.

ولم تقتصر بحوثه على الأمور النظرية بل تعدتها إلى تطبيقات عملية في حقول مختلفة منها حوادث السير، والصناعة والإنشاءات، والفيزياء، والبيولوجيا، والألعاب الرياضية.

٢) امتاز أستاذنا بشهرة عالمية تعود إلى رصانة بحوثه، وأثرها فى تطور معالجة البيانات الفئوية، وتحليل جداول التوافق الكامن، هذا بالإضافة إلى نشر بحوثه في (٢٣) دورية علمية عالمية متخصصة مقراتها في العديد من الأماكن.

٣) كان محباً للعمل الجماعي: ويظهر هذا جلياً من خلال نشره (٢٨) بحثاً مشتركاً مع (١٨) باحثاً من جنسيات عدة.

٤) كان ناقداً بناء منصفاً: ويظهر ذلك جلياً من خلال ملاحظته أن قيمة مقياس بيرسون للتوافق لا تصبح واحداً عندما يكون هناك توافق تام بين الصفوف والأعمدة. وهذا يؤول إلى تناقض منطقي لمفهوم التوافق.

ولهذا اقترح تطويراً لمقياس لينفوت للمعلومات ليكون بديل مقياس بيرسون.

وبيّن أن المقياس الذي اقترحه يعاني من مشكلة مقياس بيرسون نفسها ولكنه يتفوق عليه لأن قيمة المقياس المقترح أقرب إلى الوحدة في حال التوافق التام.

وبهذا يكون أستاذنا قد فتح الباب أمام الباحثين لاقتراحات أخرى قد تكون أكثر قرباً إلى الوحدة، أو حتى مساوية للوحدة في حال التوافق التام.

٥) إن أحد الخطوط الرئيسة في بحوثه هو تحليل جداول التوافق الكامن.

ومن أبرز مساهماته في هذا المجال:

اقتراح أسلوب جديد لحساب مقياس الارتباط الكامن، ويمتاز هذا الأسلوب بالسهولة في حساب ذلك المقياس، على خلاف ما كان معروفاً من قبل.

ومن الجدير بالذكر أن طريقته قد أثرت في بحوث لاحقة لباحثين آخرين وأدت إلى نمو المعرفة العلمية في مجال جداول التوافق الكامنة على مرحلتين:

المرحلة الأولى: استعمال أي توزيع متصل لكل من الأسطر والأعمدة.

المرحلة الثانية: استعمال أي توزيعين مختلفين أحدهما للأسطر والأخر للأعمدة.

وأخيراً تجدر الإشارة إلى أنه كان أستاذاً جامعياً فلم ينسَ الطلبة والمحاضرين إذ نجده قد نشر بحثاً يتحدث فيه عن طريقة منظمة لتدريس طرق العد، التى قد تلتبس على الطلبة، ونشر بحثاً آخر حول كيفية تعيين نقاط القطع في علامات الاختبارات.

الباب الرابع

خبرة التعامل الشخصي

وإنه ليشرفني في هذا المقام أن أذكر أنني عملتُ مع أخينا الأستاذ الدكتور محمد حمدان في الجامعة الأردنية في مجالَيّ: التعليمِ الجامعِي، والبحثِ العلمِي الذي كان رائداً له ومثالاً يحتذى به في هذا المجال. وقد نشرنا معاً ثلاثة بحوث في الإحصاء الرياضي، وأسهمنا معاً في مناقشة عدة أطروحات ورسائل لطلبة الدراسات العليا، في كل من جامعتي اليرموك والأردنية، كما عملنا معاً وبمبادرة من اليونسكو لإنجاز مشروع التدريس المحوسب لأربعة مقررات في التفاضل والتكامل، وطرق الإحصاء، وتشاركنا معا في إنتاج مسرد باللغة العربية لمفاهيم، ومصطلحات الإحصاء والاحتمالات. وقد كنت عضواً في لجنةٍ برئاسته، لاختيار البحث المميز في الرياضيات، من بين الأبحاث المقدمة لإحدى جوائز وزارة التعليم العالي.

ومن خلال التعامل الشخصي عن قرب مع أستاذنا وبناء على وقائع حقيقية كنت شاهداً عليها: أستطيع أن أقولَ في حقِه كإنسان عالم ما يأتي:

١) لقد عرفته –من شهرته– قبل أن أراه. (قصة جامعة ييل–أمريكا: عندما قدمت طلباً للدراسة في جامعة ييل، طلبوا مني رسالتيْ توصية، صادرتين عن شخصيين معروفين للقسم. كان أحدهما أبو أحمد)

٢) كان بمثابة الجد الذي يحسد عليه أعضاء قسم الرياضيات في الجامعة الأردنية. (أبو أحمد درس غازي حمزة في معهد المعلمين، والذي بدوره درس مفيد عزام في كلية الحسين، والذي بدوره درس في الجامعة الأردنية أعضاء آخرين أصبحوا زملاء في القسم)

٣) كانت له لمساتٌ إنسانيةٌ أخويةٌ اجتماعية. (قصة غرفة العناية الحثيثة: عندما كان في زيارتي في العناية الحثيثة في المستشفى، على إثر عملية في القلب، أخبرني الطبيب أن أحضر نفسي للخروج، فحاولت الاتصال بأحد أبنائي، فمنعني وأصر أن يوصلني إلى البيت بنفسه، لتكون مفاجأة لأهلي)

٤) كان لا يفوّت عيداً أو مناسبةً إلا وبادر بالاتصالِ وتهنئةِ المقربينَ منه. (واقع مألوف من قبل الكثيرين)

٥) كان يخطط وينفذ ما خطط له. (قصة التدريس المحوسب: لم نتمكن من تدريس الرياضيات المحوسبة في جامعة حكومية، لعدم وجود مختبرات، فاستعمل أبو أحمد صلاته الشخصية مع جامعة البنات الأردنية، التي كنت أقضي فيها إجازة تفرغ علمي، فجهزوا مختبراً ومشرفاً خلال أسبوع، وقمت بتطبيق التجربة الأولى، وبعدها بعام واحد، قامت بعض الجامعات الرسمية والخاصة. بتدريس الحقائب التي أعدها فريقنا)

٦) كان لطيفاً صادقاً في مقابلةِ الرأيِ بالرأيِ الآخر. (قصة إغلاق الشعب: عقدت ندوة في جامعة اليرموك، حول تطوير التعليم الجامعي في المنطقة العربية، وخلال الجلسة الختامية، طرح أحد الحضور موضوع إلغاء الشعب إذا قل عدد المسجلين عن حد مقرر مسبقاً من قبل الجامعة. فكان التعليق من أبي أحمد بعد سماع عدة مسوغات من جهات مختلفة، أنه عندما كان طالباً في جامعة القاهرة في تخصص الرياضيات شعبة مرتبة الشرف، فتحت له شعبة وكان هو الطالب

الوحيد في تلك الشعبة، وهو طالب غير مصري. وأكتفى بهذه الملاحظة دون زيادة.)

٧) كان مبادراً في تيسيرِ الأمورِ دون إفراطٍ ولا تفريط. (قصة جائزة: اجتمعت لجنة ثلاثية لتحكيم البحوث المقدمة لجائزة وزارة التعليم العالي للبحث المميز، ولما فتح أبو أحمد الجلسة قال: هناك تقرير يوصي بحجب الجائزة، واثنان أوصيا بمنحها لأحد المتقدمين، ومسوغات جميع أعضاء اللجنة مقنعة، ولكنني أود أن أذكر: أن أحد أهداف منح الجائزة هو تشجيع الباحثين)

٨) كان لا يترددُ في استشارةِ مَن حَولَه. (قصة اختيار نائب رئيس في جامعة اليرموك: المقصود واضح)

٩) كان يتفاعل إيجاباً وبسرعة مع الهم الوطني والاجتماعي والعلمي. (واضح من خلال كثافة مقالاته في هذا المجال)

١٠) لم يكن ليتردد في قول: لم أطّلع على ذلك، أو لا أعلم وهذه من سمات العلماء (قصة كلمته في مؤتمر تونس: كنا معاً في مؤتمر للرياضيين العرب في تونس، وقدم أبو أحمد بحثه في إحدى الجلسات، وخرجنا معاً مساء ذلك اليوم، فعلقت على عبارة أوردها في كلمته عن اختبار كاي تربيع، وأوضحت له في جملة واحدة أن هذا الاختبار مضلل، لأن زيادة حجم العينة يؤدي إلى رفض النموذج الاحتمالي، بينما تقليلها يؤدي إلى قبوله. فقال فوراً أصبت، ولكنني لم أسمع بهذا الرأي من قبل، وأستغرب لمَ لم يرد في أي دراسة من قبل)

١١) كان يمتاز بقوةِ الملاحظة والنقد البناءِ، والوضوحِ في التعبير. (واضح من خلال أسلوبه في البحث العلمي)

١٢) كان يعمدُ إلى تبسيطِ عرضِ المادةِ العلميةِ، دونَ التفريطِ في الدقة العلمية. (واضحة في بحوثه ومحاضراته)

١٣) كان وزيرَ ميدانٍ لا وزيرَ مكتبٍ. (قصة تأليف كتب الرياضيات: عندما كان وزير تربية وتعليم، حصل خلاف بين فريق تأليف كتب الرياضيات، وأعضاء شعبة المناهج في الوزارة، فحضر شخصياً لحل الإشكال)

١٤) كان محباً للعملِ الجماعي. (واضح من خلال كثرة المشاركين معه في البحوث المنشورة)

١٥) كان نشيطاً على وسائطِ التواصلِ الاجتماعيِ بمشاركاتٍ جادةٍ وطريفة. (قصة أحجية اللوحة وشخوصها: التي طلب فيها الإجابة عن خمسة أسئلة، من خلال اللوحة، أحدها عمر مرسل اللوحة، فأرسلت له الأجوبة، فقال أجبت عن ٤ من ٥، والخطأ في العمر، فأرسلت له مسوغاً لإجابتي، فقال مسوغ منطقي، ولكنه معقد، والجواب واضح جداً في اللوحة بدون تفكير، وكان مصيباً في ملاحظته)

الخاتمة

هذا غيض من فيض، ومهما قلنا فلن نفيَ هذا العالمُ الإنسان حقَه فهوَ يستحقُ عن جدارةٍ أن نحتفيَ به ونذكرَ مآثرَه وأن نترحمَ عليه.

نسأل الله أن يجعلَ جميعَ مساهماتِه في ميزانِ حسناتِه، وأن يكرمَه برحمتِه وعفوِه ورضوانِه وأن يسكنَه فسيحَ جناتِه.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

شهادة ابن

الأستاذ الدكتور أحمد محمد حمدان

عميد كلية طب الأسنان - الجامعة الأردنية

الخميس ٢ جمادى الأولى ١٤٤٢هـ - ١٧ كانون الأول ٢٠٢٠م

بسم الله الرحمن الرحيم

أصحاب الدولة والمعالي والعطوفة

أصدقاء وأحبة والدي الراحل محمد أحمد أحمدان

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته،،

عندما طلب مني معالي الأستاذ الدكتور خالد الكركي رئيس مجمع اللغة العربية الأردني هذا الصرح العربي الهاشمي القدير، أن أكتب كلمات في ذكرى والدي الراحل محمد أحمد حمدان للموسم الثقافي لمجمع اللغة العربية الأردني لعام ٢٠٢٠م، سعدت كثيراً بهذا الطلب وأعتقدت أنه سيكون أمراً سهلاً، فأنا من أقرب الناس إلى أبي ولم أفارقه إلا بضع سنين وقت دراستي للماجستير والدكتوراه وبضعاً أخرى عندما ذهبت للعمل خارج الوطن. ولكن حينما جلست لأكتب هذه الكلمات وجدت صعوبه بالغة في نقل كل ما أشعر به تجاه والدي من حب واحترام وتقدير وامتنان وغيرها من المشاعر النبيلة والجياشة إلى الورقة الفارغة التي جلست أنظر إليها مطولاً. وأحسست بالضعف وقلة الحيلة لأنني علمت أنني لا أملك المفردات اللغوية والأدوات النحوية اللازمة لنقل ولو جزء قليل من هذه المشاعر إليكم،،،

فكيف تكتب على ورقة شهادة عن شخص قد أثر على كل خلية في جسمك، وكيف تصف مسيرة عمر، فمهما كتبت ومهما قدمت في شهادات فإنه من المستحيل أن أوفيك حقك يا أبي الحبيب..

من هو معالي الأستاذ الدكتور محمد حمدان؟

هو الأب، هو الأخ، هو الصديق، هو المربي، هو المثل الأعلى، هو الرفيق،،،

هو من علمني أن أحترم كل الناس وأن أُحسن معاملتهم مهما كانت مكانتهم الاجتماعية والاقتصادية لا وبل أن أعامل الضعيف منهم أحسن من القوي لأن الحياة قد قست عليه وهو بحاجة إلى من يهون عليه ذلك،،، فكان يبحث عن طرق لمساعدة كل من حوله حتى لو كان ذلك على حساب راحته وفي بعض الأحيان صحته.

هو من علمني الجد والاجتهاد والإتقان في العمل، فكان يجلس الساعات الطويلة على طاولة غرفة الطعام، لأنه لم يكن لديه مكتب في البيت في تلك الأيام، وبتركيز تام لإنجاز ما عليه من عمل، وأذكر أنه وبعد أن صدرت الإرادة الملكية السامية بتعيينه الرئيس الأول المؤسس للجامعة الهاشمية، وفي جلسة واحدة استغرقت أكثر من (٥) ساعات وضع النظام المالي والإداري للجامعة. وكانت والدتي حفظها الله، تأتي له بالشاي والكعك، فيبرد الشاي دون أن يشربه من شدة انشغاله وتركيزه في عمله.

وقد كنت أتذكر هذا الموقف ومواقف عديدة مثله خلال دراستي في بريطانيا، حينما كنت أشعر بالتعب ووحشة الغربة، فكان منارة مضيئة لي تحثني على المثابرة والاستمرار.

وهو المثل الأعلى الذي يُقتدى به، فمن بداياته المتواضعة من عروس البحر يافا إلى نابلس ومن ثم إلى عمان استطاع بجده واجتهاده أن يرتقي إلى أعلى الدرجات العلمية والأكاديمية والإدارية والسياسية، فقد تولى عمادة العديد من الكليات في جامعة اليرموك والجامعة الأردنية، ومن ثم عُين رئيساً

لجامعة اليرموك في أصعب الظروف واستطاع في وقت قصير أن يُخرِج الجامعة من الأزمة التي كانت تمر بها وذلك من خلال تعامله العادل والمنصف مع أعضاء هيئة التدريس والطلبة، وبعدها تولى منصب وزير التربية والتعليم والتعليم العالي، وقد شغل هذاالمنصب (٤) مرات مع أربعة رؤساء وزراء مختلفين، وإن دل ذلك على شيء فإنما يدل على أنه كان الرجل المناسب في المكان المناسب. وقد كان الرئيس المؤسس للجامعة الهاشمية والتي منذ تأسيسها وحتى الآن كانت نموذجاً مضيئاً للجامعة الأردنية الرشيقة المستقلة مالياً، وما كان ذلك ليتحقق لولا أن كان تأسيسها على قواعد صلبة وسليمة.

إن محمد حمدان مثل حي على أن من يجد ويجتهد ينال مراده وفي زمن قد طغى عليه الوساطة والمحسوبية، فنحن بأشد الحاجة لمثل هذا المثل والذي يبعث الأمل في روح الشباب الذي لا وساطة له.

وبالرغم من كثرة انشغاله في عمله فلقد كان الأب الحنون والمعطاء الذي يلعب مع أولاده ويساعدهم في دراستهم ويستمع إلى مشاكلهم ويحاورهم ويساعدهم على إيجاد الحلول المناسبة لها.

لقد كانت شهاداته الجامعية في الرياضيات والإحصاء وقد داوم على مساعدتي في دراسة هذه المواد في المدرسة ما ساعدني في الحصول على علامة ١٠٠% في الرياضيات في التوجيهي، وقد كان لذلك الأثر الكبير في تنمية التفكير والتحليل المنطقي لدي، وحين انتقلت إلى بريطانيا لدراسة الماجستير والدكتوراه في تقويم الأسنان كان لذلك الأثر الكبير في تفوقي في البحث العلمي هناك، وما زال هذا التأسيس القوي في الإحصاء يساعدني في إجراء البحوث الرصينة ليومنا هذا.

وقد كان يداوم على صلة الرحم وخصوصاً في رمضان والأعياد، كان يصل القريب والبعيد من رحمه، وكان يداوم على إقامة مأدبة إفطار في اليوم الثاني من رمضان في كل عام لجميع أفراد العائلة، كما وأنه كان يداوم على زيارة رحمه في الأعياد وحتى إذا كان ينوي السفر خلال فترة العيد فإنه كان يقوم بزيارتهم قبل سفره ويأخذني وحفيده "محمد" معه، ما عزز هذه السُّنة الطيبة في نفوسنا.

وكان يعشق الرياضة وقد نمَّى في نفوس عائلته هذا الحب، فقد كان يلعب مع فريق كرة القدم للنادي الأهلي في صغره. وقد كان رئيساً لاتحاد ألعاب القوى ورئيساً لاتحاد التنس الأرضي وعضواً في اللجنة الأولمبية الأردنية، وهو رياضي في الطراز الأول وقد علمني لعب كرة القدم، والتنس الأرضي، وكرة السلة والسباحة. وكان ومع كثرة مشاغله يداوم على ممارسة الرياضة ولو مرة في الأسبوع، فكان يستيقظ باكراً يوم الجمعة ويذهب إلى كلية التربية الرياضية في الجامعة الأردنية أو مدينة الحسين للشباب ليلعب التنس الأرضي أو يسبح، وكان يداوم على إيقاظنا أنا وأختي للذهاب معه.

وكان يتذوق الفن ويعشقه وبالأخص المسرحيات الموسيقية، فحينما كانت العائلة تسافر في إجازة كان حضور هذه المسرحيات من أهم ما في البرنامج الترفيهي الذي كان ينظمه لنا الوالد رحمه الله، وكنا أنا وإياه ننتظر الساعات الطويلة في الدور على أبواب المسارح في لندن ونيويورك للحصول على أفضل التذاكر لمثل هذه المسرحيات وقد انتقل هذا الحب للفن لي، وأنا الآن بدوري أعززه في أبنائي.

وبحكم ما تفضل المولى عليه من رزق ومكانة أكاديمية وسياسية فقد دأب على مساعدة القريب والغريب بما يرضي الله، فهناك العشرات من طلبة

التوجيهي الذي ساعدهم في الحصول على القبول في الجامعات وعشرات من خريجي الجامعات الذين ساعدهم في الحصول على عمل، ما ساهم في تمتعهم بالعيش الكريم.

ولم يكتفِ بهذه المساعدات الشخصية وإنما وفي سياق حبه وولائه للوطن كان من أكبر إن لم يكن أكبر من تبرع لوزارة التربية والتعليم، فقد تبرع ببناء مدرستين، إحداهما في عين الباشا والأُخرى في ماركا، كما وأنه تبرع بتأثيث قاعة تدريسية في كلية طب الأسنان في الجامعة الأردنية وحديثاً تبرع للأكاديمية العالمية للعلوم (TWAS) بجائزة سنوية نقدية مستمرة لأفضل بحث في الرياضيات والإحصاء لباحث من الدول العربية والإفريقية، وكل ذلك مع محدودية موارد الرزق لديه.

ولو أن أبناء هذا الوطن الذي أنعم الله عليهم بالرزق احتذوا بهذا المثل لما كان هناك منطقة في الأردن بحاجة إلى مدرسة، ولكانت جميع المدارس الحالية في أفضل حال ومزودة بأحدث المعدات والأجهزة.

وفي الختام، ومع أن شهادتي قد تكون مجروحة، فإن هذا الرجل الذي يكرمه اليوم مجمع اللغة العربية الأردني العريق من أحق من استحق التكريم على هذا المنبر.

شكراً جزيلاً لمجمع اللغة العربية الأردني على هذا التكريم الذي أعتبره تكريماً لي.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.